الحُب الحقيقي

د. بشير عبد الواحد يوسف

الكتاب : الحُب الحقيقي (رواية)

المؤلف : د. بشير عبد الواحد يوسف

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٨

رقم الإيداع : ٥٩٧١ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 978 - 977 - 493 - 302 - 8

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٢٧ ش الثلاثين. برج الشانزليزيه. زهراء المعادي. القاهرة

ت فاكس : ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

تصميم الغلاف : رمزي معيدي ثامر



الحُب الحقيقي

رواية

د. بشير عبد الواحد يوسف

إهـداء

إلى كل الرجال الشرفاء

الذين يحبون بصدق

ويخلصون لحبيباتهم

ويحافظون عليهن ،

حُب حقيقي ، نقي ، طاهر ، عُذري...

(١)

"الفيصلية" محلة في مدينة البصرة تقع بين العشار والمعقل... تم بناؤها في العهد الملكي للكادحين ووُزعت هذه الدور مقابل مبلغ بسيط وبأقساط مريحة... بُدَل اسمها إلى محلة الجمهورية في العهد الجمهوري.

"فلاح" طالب متفوق في المرحلة المتوسطة في مدرسة "العزة"، ومنتقل إلى الإعدادية المركزية في "العشار"... والده عامل كادح يعيش على رزق يومه الحلال.

يسكن "فلاح" في نفس الشارع الذي تسكن فيه "سميرة" التي تدرس في إعدادية البنات في العشار في نفس مرحلة جارها فلاح أحيانًا تحتاج توضيح لبعض الدروس مثل الفيزياء والكيمياء والرياضيات، فتطلب مساعدته فلاح ليشرح لها ما لا تفهمه من الدروس بحكم أنهما جاران وأن أُمه وأمها صديقتان.

فلاح سعادته عندما يرى سميرة ويشم عطرها المميز وأسلوبها الهادئ الجميل في الكلام، وتركيزها وانتباهها عندما يشرح لها الموضوع بكل إخلاص ومودة.

في البداية كانت سميرة تزور فلاح في بيتهم برفقة أمها، مع الوقت تطور الحال وبسبب كثرة السؤال أصبحتِ تزور بيت فلاح لوحدها، وأم فلاح تعاملها وكأنها ابنتها.

في مرحلة الثالث متوسط نجح فلاح بتفوق وكان ترتيبه الأول على محافظة البصرة في امتحانات البكلوريا، وكانت نتيجة سميرة مكملة في الرياضيات... طمأنها قائلاً:

- لا تخافي، العطلة الصيفية طويلة، وأنا سأبذل قصارى جهدي إذا وافقتِ على تدريسك الرياضيات على أصولها، والله سأجعل الرياضيات عندك مثل الزلاطة.
- إذن سأعتمد على الله وعليك، وسأقول لأمي هذا الكلام.
- اطمئني، ولكن تمتعي هذا الشهر بالإجازة ونبدأ مع بداية شهر تموز (يوليو) القادم.
- شكرًا فلاح.

يفكِّر كثيراً بسميرة ويتمنى رؤيتها باستمرار، ولكنها تسافر مع أهلها إلى مدينة "العمارة" لزيارة أجدادها هناك، وهو في حيرة من أمره يعدّ ساعات عودتها، أُمه تلاحظ عليه السرحان وقلة أكله ونومه، فانتبهت للموضوع لكنها غير متأكدة:

- فلاح، ما الأمر؟... ماذا دهاك؟... هل تشكو من شيء؟
- ماما، أشكو من الفراغ.
- ابني حاول أن تلهو مع أصحابك أو تقرأ بعض القصص.

لكنه يحب رؤية سميرة ولو في الخيال والأحلام، لا يعلم ما هذا الشعور الذي ملأ كيانه، وشغل عقله، وملك قلبه... ويفكر بعمق: هل هذا هو الحب أم ماذا؟... وإذا كان هو يحب سميرة

فيا ترى هل هي تبادله مثل هذا الحب ؟... يهمس لنفسه : يقولون الحب سواقي ، طالما أنا أحسُّ بها وقلبي ينبض بحبها ، أكيد لديها نفس الإحساس والشعور، والله أعلم.

شعور غريب لم يتعود عليه ، حرارة خفيفة يحبها تجتاح كيانه كله حُب للحياة ، حُب للناس ، حُب للزهور ، حُب للطيور ، حُب لقراءة القصص الغرامية... تعجبه قصص المنفلوطي وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ والسباعي ، لكنه لا يتفق كثيراً مع إحسان عندما يسيء الحبيب لحبيبته وتتغلب الشهوة على الحب النقي الطاهر.

سيعيش فلاح شهرًا كاملاً في حلم وأمل ، ينتظر عودة سميرة من العمارة بفارغ الصبر ، وعيناه ترنو على بيتها في ذهابه وإيابه ، وأحيانًا يحلو له الوقوف ببابهم ، أو يصعد إلى سطح داره عسى ولعله يراها وهي تنشر ملابس الغسيل أو تحضِّر دروسها كما تعودت أن تقرأ وهي تمشي فوق سطح الدار فيلمحها... يتصور أنها موجودة في دارها وأنها تتحرك فوق سطح الدار وبوده لو يناديها، لو يقدر أن يتحدث معها... يفكِّر إن كان بإمكانه أن يبوح لها بهذا الشعور الجارف... لا، لا، ربما سيفقدها... عليه ألا يتهور أو يتسرع، فهو لا يستطيع تقدير ردة فعلها... عليه أن يتحلى بالمزيد من الحكمة والعقل، فالعقل بالصبر، والصبر مفتاح الفرج.

هكذا تمر الأيام والليالي ثقيلة على فلاح ، لكنه يحس بحالة من النشوة والراحة والقوة... في سبيل إرضاء سميرة لديه استعداد أن يهد الجبال ؛ أن يفعل المستحيل ؛ أن يشاركها في كل ما يملك من ذكاء وعاطفة وحب للحياة والمستقبل... يضرب أخماسًا في أسداس ، ويمنِّي النفس بالآمال العريضة ، ويبني بيوتًا ومُدنًا وآمالاً في الهواء ، ولكنه سعيد بذلك ؛ وهذا هو المهم عنده...

يستغل الوقت ليراجع درس الرياضيات رغم أن معدله مائة في المائة، ولكن ليزداد علمًا ومعرفةً ليُبهِر سميرة بقدراته ومعلوماته... يتمنى أن يقدِّره الله في مساعدة سميرة على النجاح في امتحان الرياضيات بتفوق، وأن يسمع منها: شكرًا يا فلاح أنتَ معلم ناجح وفضلك هذا لا أنساه.

• • • •

الوقت يمر بطيئًا ؛ بطيئًا جدًا، لم يمضِ سوى ثلاثة أيام على سفر سميرة، قالت إنهم سيعودون بعد شهر من زيارة أهل والدها في ريف العمارة الجميل... إذن عليه أن يفكِّر في عمل لإشغال وقته ومساعدة أهله...

حصل على عمل كموزِّع في مصنع ثلج ، ولكن ليس براتب مقطوع ، كان المصنع ينتج ألفًا وأربعمائة قالب يوميًا من الثلج،

وسعر القالب الواحد ثمانون فلسًا ؛ أي بإجمالي مائة وعشرين دينار ، كان على فلاح أن يدفعها بالتمام والكمال تنقص منها القوالب التالفة لأسباب فنية وكذلك القوالب التي توزع مجانًا للجامع والحسينية ومركز الشرطة والمستوصف والمختار والحارس والسواق، ويبيعها هو في الأسواق بعد إضافة ربحه.

كان نهاية شهر مايس وبداية شهر حزيران؛ والجو معتدل، وماء الإسالة بارد نوعًا ما، ولذا فالقليل من الناس فقط من يحتاجون قوالب الثلج... اتفق فلاح مع صاحب المصنع أن يسري الاتفاق من الأسبوع التالي أي في ٢٢-٥-١٩٦٠ ، فوافق الرجل وأبرم العقد بمغامرة من فلاح ، رغم أنه متأكد من نجاحه بتسخير كامل ذكائه وجهده وعلاقاته الطيبة مع الناس.

تحرَّك فلاح على بياعي السمك واللحوم ، واتفق معهم على تصريف مائة قالب يوميًا بسعر مائة فلس للقالب الواحد لغاية ١٥-١٠-١٩٦٠ ، ثم تحرَّك على مديرية السكك في المعقل وتعاقد على أربعين قالب يوميًا بسعر مائة وعشرين فلس طول فترة الصيف، ثم تحرك على بائعي الثلج في الجمهورية وخمس ميل والحكيمية ومنطقة الموفقية والبصرة داخل والمعقل وغيرها ، واتفق أن يبيع لهم الثلج بثمانين فلس فقط للقالب الواحد طوال فترة الصيف للكمية المحددة بالعقد ؛ وما

زاد عن ذلك يتم بالاتفاق في حينه، واشترط عليهم انه ملزم بتوريد الكمية المتفق عليها يوميًا إلى صناديق خزن الثلج سواء كانت ممتلئة أم فارغة...

تمكن من التعاقد على بيع ألف قالب يوميًا ولكن بأسعار بخسة غير مربحة، وتبقي لديه أربعمائة قالب لا تصريف لها فاضطر لفتح محل في الجمهورية وأخر في خمس ميل، ووضع صندوقًا مع منضدة كبيرة لبيع الثلج في باب المصنع للبيع بالقالب وأجزاء القالب.

مرَّ شهر مايس بخسارة أربعين دينار سُجِلت دينًا على فلاح... كان مبتئسًا من النتيجة، فرغم جهده وذكائه وحركته المكوكية ؛ إلا النتيجة كانت سلبية، لكنه أدرك بذكائه المتميز أن الشهور القادمة ستكون في صالحه مع ارتفاع درجات الحرارة ولعدم وجود أجهزة تبريد في البيوت، ولأنه لا يوجد مصنع ثلج آخر ينافسه في المنطقة.

بدأ في الاتفاق مع بائعي السمك واللحوم في السوق الرئيس على أن يتقيد بالكمية المتعاقد عليها طول فترة الصيف فيرغبون بزيادة الكمية نوعًا ما... لكن المشكلة مازالت قائمة، اقترح على أحد السائقين أن يرسل يوميًا مائة قالب ثلج إلى الهارثة يبيعها بسعر بين الثمانين والمائة فلس وفق العرض والطلب، وطلب من سائق آخر أن يأخذ يوميًا مائة قالب ثلج يحاول بيعها في مناطق متفرقة وبأي سعر ممكن.

بعد العشرة أيام الأولى من شهر حزيران/ يونيو ؛ تقلصت الخسائر إلى النصف تقريبًا، لكن الوضع مازال حرجًا ويحتاج مزيدًا من العمل والاستعانة بأصدقائه الذين يتمتعون بإجازة العطلة الصيفية مقابل دراهم قليلة.

انتهى شهر حزيران بخسارة خفيفة بحدود ثمانية عشر دينار، وبدأ شهر تموز، وبدأت درجات الحرارة ترتفع بشكل غير مسبوق، فازداد الطلب على الثلج، فلم يوافق فلاح على التعاقد على ما تبقى لدية بحدود أربعمائة قالب وحدَّد لها سعرًا مائة وعشرين فلس ، وبعد أسبوع مائة وخمسين فلس ، وبعد أسبوعين مائتي فلس... واستمر الطلب في الزيادة مع ازدياد درجات الحرارة والتي ارتفعت في النصف الثاني من تموز ارتفاعًا لم يعهده أهل البصرة منذ عشرين عام مضت ، فارتفع سعر قالب الثلج إلى أربعمائة فلس لأول مرة منذ انشاء مصنع الثلج.

"سميع" المشرف على تشغيل المصنع صديق حميم لفلاح، يلتقي به ويناقشه في إمكانية زيادة الإنتاج برفع كفاءة كل ضاغطات المصنع وزيادة كمية الأمونيا وبذلك يكون بالإمكان إنتاج وجبة ثلج كاملة ، أي ألف وأربعمائة قالب كل ثمانية عشر ساعة بدلاً من أربعة وعشرين ساعة ، ولكنه يطالب بنسبة معقولة من الأرباح يحددها فلاح، فيوافق فلاح على الفور

تدور عجلة العمل، وفلاح يتفاءل بالنتائج وزيادة نسبة الأرباح، فيطلب من الحارس أن يهيِّئ يوميًا إفطارا جيدًا للعُمَّال على حسابه الخاص ، ويعطي إكراميات إلى الكادر الميكانيكي للسهر على كفاءة عمل المصنع والمحافظة على الماكينات والضاغطات ورفع كمية الإنتاج.

درجات الحرارة تزداد ، ويزداد معها سعر الثلج حتى يصل سعر القالب الواحد ستمائة فلس، وفلاح ملتزم بكافة العقود وبالكميات المحددة بهذه العقود وبالأسعار المثبتة عند التعاقد، ولكن ما زاد عن ذلك فيبيعه بسعر السوق السائد مع مراعاة أصحاب العقود وبائعي اللحوم والسمك باعتبارهم زبائن دائمين.

رغم كل هذه المشاغل والمشكلات ؛ لم ينسَ سميرة لحظة واحدة يفكِّر بعودتها ويعدّ الليالي والأيام، وأحيانًا يرى صورة سميرة في قالب الثلج وهو يلمع.

توطدت علاقة فلاح بصاحب المصنع لصفاته الحميدة وصدقه وأمانته في التعامل، حتى أن صاحب المصنع أعفاه من الخسارة السابقة والتي مقدارها خمسة وخمسون دينار ، فساهم فلاح مساهمة جادة في تكاليف صيانة المصنع وتطويره.

بعد أن جرد أرباح شهر تموز وجدها تجاوزت الألف دينار ، مبلغ كبير في الستينات... قرَّر استثماره في إعادة إعمار بيتهم

وتطويره ليثبت لسميرة انه رجل أعمال ناجح إضافة لتفوقه في المدرسة... اتفق مع مقاول البناء على أن يبدأ العمل فورًا وينجز العمل كاملاً خلال خمسة وأربعين يومًا كأقصى حدٌّ وتحت إشراف أبيه وأخيه الأصغر سنًا منه، يبرم عقدًا مع المقاول ويدفع ثلاثمائة وخمسين دينار تمثِّل نصف المبلغ المتفق عليه، ويباشر المقاول العمل في اليوم الثاني وفق الخارطة الجديدة بإضافة غرفتين وصبغ البيت بطلاء جيد وعمل ديكور لواجهة البيت مع مرافق صحية إضافية في سطح الدار ومطبخ وحمام وتبليط البيت بالسيراميك والسطح بالبلاط.

يعمل المقاول بجدٍّ، وفلاح يحثه على سرعة الإنجاز، يتمنى عندما تعود سميرة أن تجد كثيراً من المتغيرات التي تعجبها، وبالتالي تعجب بهِ وبقدرتهِ على إنجاز الأعمال بنجاح متميز.

أصبح فلاح اسمًا معروفًا في عموم محلة الجمهورية والمحلات المجاورة... كل أهل المحلة يحبونه ويطلبون وده ورضاه، لدماثة أخلاقه ولشطارته، ولكونه قدوة حسنة يضرب به المثل في المدرسة وفِي المحلة.

• • • •

تزداد درجة الحرارة في بداية أيلول، فيزداد سعر قالب الثلج ويصل في مركز المدينة العشار إلى دينار، لكن فلاح يكتفي برفع السعر إلى ثمانمائة فلس أي عشرة أضعاف السعر المتفق عليه مع صاحب المصنع في بداية الموسم، هو إنسان قنوع لا يحب الاستغلال رغم الضغوط التي تُمارس عليه من صاحب مصنع الزبير وصاحب مصنع العشار بسبب سفر صاحب مصنع الجمهورية للمصيف في لبنان، يلتقيان مع فلاح ويحاولان إقناعه برفع سعر القالب إلى أكثر من دينار:

- يا فلاح إنها فرصة قد لا تتكرر، ولا تنسى أنه ربما يكون هذا أخر شهر للكسب الجيد، وربما تنخفض درجات الحرارة في شهر أيلول.
- أنا لم أتدخل في أموركما ولا أنافسكما ولا أحب أن اختلف معكما.

بعد نقاشات طويلة يستأنس فلاح برأي مهندس المصنع صديقه فينصحه برفع السعر إلى دينار كحل وسط، ويُفهمه أن هؤلاء أصحاب خبرة أكثر منه وليكسبهم أصدقاء أفضل من يكونوا أعداءً له، وفعلاً انها فرصة للكسب. يقتنع فلاح برأي المهندس ويتفق الجميع على أن يكون سعر القالب دينارًا كحد أدنى.

يكرم فلاح العاملين وخاصة مهندس المصنع بمبالغ مجزية، يعتبر شهر أيلول شهر خير وبركة عليه وعلى عائلته حيث

تتحسن ظروفهم المعيشية نحو الأفضل... يعطي أُمه مبلغًا من المال لشراء ملابس جديدة لها ولأبيه ولإخوته وأخواته ويطلب منها تجديد المفروشات، كما يعطي لوالده مبلغًا من المال ويرجوه تجديد الأثاث البيت عند إكمال إعمار البيت.

يكمل المقاول البيت في أقل من شهر، ويسلمه على أحسن ما يكون، يختار فلاح غرفة يطل شباكها على الشارع ويؤثثها على ذوقه تأثيثًا جميلاً، ويشتري ثلاث مراوح سقفية ومبردة هواء، ويجدِّد إنارة البيت، تفرح عائلته بهذه النقلة النوعية في حياتهم بفضل ولدهم البكر.

والد فلاح يعمل في دكان بالإيجار في سوق شعبي في العشار يصلح صوبات نفطية وجولات وبريمزات، يستأجر له فلاح دكانًا جديدًا في سوق المغائز ويجهزه ببعض الأجهزة الكهربائية الضرورية لكل بيت، ويخلِّص أبيه من رائحة ووساخة ودخان النفط ومشاكله... كل شيء يتطور للأحسن... أهل المحلة فيما بينهم يقولون: الله يبارك بفلاح الذي تمكن بشطارته وعمله أن يحسِّن من مستوى عائلته بهذه السرعة.

يسابق فلاح الوقت لإكمال تجديد البيت وتأثيثه قبل قدوم سميرة وأهلها من مدينة العمارة، لكنهم تأخروا في العودة لبيتهم في البصرة، فاستغرب الأمر وسأل أُمه عن السبب، فأخبرته أنهم سيعودون بعد ثلاثة أيام كما أخبرتها خالة سميرة، إذن عليه أن

يوزِّع وقته بين العمل وتدريس سميرة ساعتين يوميًا في المساء يبدأ العمل في السادسة صباحًا ويرجع للبيت في الثانية عشر ظهرًا، ثم يعود للعمل في الثانية ظهرًا ويرجع للبيت الساعة السادسة مساءً، كافة أيام الأسبوع ؛ حتى الجمعة والعطلات الرسمية. ويدير الأمور الحسابية محاسب رجل كبير أمين يعمل في المصنع من سنين ينادونه "أبو منقذ" يسكن الجمهورية قرب المصنع علاقته ممتازة بفلاح وكأنه أحد أولاده وهو من ناحيته يكرم أبا منقذ بين الحين والآخر، فيرد عليه باللهجة النجفية: الله يبارك فيك يا ولدي.

أبو فلاح ينتهي من تأثيث البيت على ذوقه وذوق فلاح، فيغدو البيت جميلاً مفرحًا ومن أحسن بيوت المحلة وأجملها، يشتري فلاح لنفسه ولأخيه الأصغر منه دراجة هوائية من النوع الجيد كما يشتري مكتبًا جميلاً وكرسيين استعدادًا لتدريس سميرة عند عودتها.

(٢)

ظهيرة يوم الجمعة وفلاح عائد للبيت ؛ تقف سيارة أُجرة بباب بيت سميرة، وتنزل منها مع عائلتها... أخيرا، يكحِّل عينيه برؤيتها... يسلِّم على الجميع، ويصافح سميرة فيسري في جسده تيار وإحساس يهزه هزًا، يحمَّر وجهها وتهمس همسًا:

- كيف صحتك فلاح؟

فيرد عليها بصوت مرتبك:

- الحمد لله

- متى نبدأ الدروس؟

- طبعًا يجب أن نبدأ من الغد، أمامك أربعون يومًا لا غير.

- أنا جاهزة، فهل أنتَ جاهز؟

- ضروري أكون جاهز.

- طيب على بركة الله.

يساعدهم في إدخال الحقائب للبيت، ويذهب ليخبر أُمه، التي تفرح بعودة أم سميرة صديقتها، ولكي تُريها الخير الذي هم فيه من بيتهم الجميل والأثاث الجديد وتحدِّثها عن محل أبي فلاح وعن شطارة ولدها وعمله في مصنع الثلج وعن الأرباح التي حققها... لديها كلام كثير لصديقتها.

أم فلاح لديها من الخبز ما يكفي، إذن لتشجر التنور وتشوي

سمكة كبيرة وترسل صينية غداء إلى بيت سميرة ، هذه هي الأصول في المناطق الشعبية أيام زمان... تحضِّر الصينية، ويتعاون فلاح وأخوه في حملها إلى بيت سميرة الذين يفرحون بهذه المبادرة الجميلة ويشكرون فلاح وأخاه.

سميرة تسأل فلاح عن موعد الدرس الأول، فيقول لها:

- سأكون بانتظارك في بيتنا غدًا الساعة السادسة مساءً.

- شكرًا فلاح.

قالتها وفمها ينطق عسلاً لحلاوة صوتها، فوقعت في قلبه وحرّكت مشاعره الجيَّاشة وعواطفه المكبوتة، ولولا انشغاله بالعمل خلال فترة غياب سميرة لمات حسرةً وكمدًا، ولكن الله يحبه فشغله بهذا العمل، ومع هذا لم تفارق سميرة تفكيره لحظة واحدة.

يرتِّب غرفته، وتحضِّر سميرة كتاب الرياضيات ودفتر التمارين والملاحظات استعدادًا ليوم غد... يراجع دروس الرياضيات ويضع خطة لإكمال المنهج خلال أسبوعين وفي الأسبوع الثالث إعادة المنهج وفي الأسبوع الرابع حلّ عدد كبير من التمارين الرياضية في المنهج وأسئلة عامة من كراسات البكلوريا التي يضعها معلمو الدروس الخصوصية المشهورون في بغداد وثلاثة أيام لحل أسئلة البكلوريا للسنين المنصرمة..

انتهى من وضع المنهج والتوقيتات، وبدأ يفكِّر كيف يَستقبل سميرة وماذا يقدِّم لها؟ وعلى أي كرسي تجلس؟ وهل يتعامل معها كمعلم مع طالبته، أم حبيب مع حبيبته؟ ولكن لابد من الجدية بالعمل، هذا واجب مقدس، وضروري سميرة تنجح وبتفوق... أفكار كثيرة تخطر على باله.

ينتصف الليل وفلاح مازال يفكِّر ويحلم بلقاء حبيبة العمر، يجافيه الكرى ويتقلب في فراشه الجديد الوثير على أن يغلبه التعب وتزاحم الأفكار فيخلد إلى النوم...

مع أول خيوط الصباح تناديه أُمه:

- فلاح... فلاح اصحى ماما الفطور جاهز.

يستيقظ مرهقًا، يتحامل على نفسه، يرتدي ملابسه، يفطر ثم يركب دراجته... يرى سميرة واقفة بباب بيتهم تودِّعه بابتسامة.

العمل في المصنع منظَّم والكل مرتاحون رغم حرارة الجو، يتفق فلاح مع المحاسب أبو منقذ أن يكون دوامه اعتبارًا من اليوم من السادسة صباحًا لغاية الثانية ظُهرًا ويكون دوام أبو منقذ من الثامنة صباحًا لغاية الثانية عشر ظُهرًا ومن ثم من الثانية ظُهرًا لغاية السادسة مساءً، ليتفرغ هو لدروس سميرة، بحيث يصل البيت في الثانية والنصف ظهرًا، يتناول غداءه ثم ينام حتى الساعة الرابعة، ثم يستحم، ثم يراجع بعض المسائل المهمة الضرورية ويطلع على برنامج اليوم الدراسي، ويرتب

الغرفة ويعطرها استعدادًا للحدث المهم في حياته.

في الساعة السادسة من مساء يوم السبت ؛ تأتي سميرة ومعها كتبها برفقة أم سميرة ومعها الصينية وعلبة حلويات هدية ، تستقبلهم أم فلاح بالأحضان والقُبلات، وتشكرهم أم سميرة على الغداء وعلى تبرع فلاح لتدريس سميرة.

تنبهر سميرة وأمها ببيت أهل فلاح وبهائه وحسن تنظيمه وجمال أثاثه الجديد، وتهنئ أم فلاح وتبارك لها وتقول:

- ضروري أبو سميرة يشوف أبو فلاح كيف طور بيتهم.

- والله يا أم سميرة الحقيقة كلها جهود فلاح، وليس فقط البيت، فقد اشترى لأبيه دُكانًا جديدًا في سوق المغائز في العشار لبيع الأدوات الكهربائية ، والله يا أختي نحن صرنا بخير بجهود ولدنا فلاح الله يحفظه.

تبقى الوالدتان تتجاذبان أطراف الحديث ، بينما يصحب فلاح سميرة إلى غرفته لبدء الدرس ، فتنبهر بالغرفة الجديدة والمكتب الجميل والأثاث الجديد، كل شيء جميل زاهي، وتشم رائحة العطر وتنظر إلى باقة الورد...

- ما هذا كله يا فلاح؟ ما هذا التطور السريع؟ والله إني مندهشة ولكن ألف مبروك أنتم تستاهلون كل خير ، حقيقة كلنا نحبكم ونتمنى لكم الخير والسعادة.

- ونحن كذلك يا سميرة.

تجلس سميرة على كرسيها ويطلعها فلاح على البرنامج فتزداد سعادتها، يبدأ معها الدرس الأول بكل أدب واحترام، وهي تركِّز كل انتباهها... عند الساعة الثامنة يقول لها:

- الودُّ ودي أن يقف الزمن، لكننا في مهمة علينا أن ننجزها على أكمل وجه، وأنا أشكر لكَ تركيزك وانتباهك ، ومن ناحيتي سأجعلك تحبين مادة الرياضيات لأنها ضرورية في المراحل الدراسية القادمة.

تغادر سميرة وأمها، وتودعهما أم فلاح بأحلى الكلمات.

في الطريق تقول أم سميرة لابنتها:

- أمنيتي يا ابنتي العزيزة ان يكون فلاح من نصيبك ، حال ومال وجمال وعائلة طيبة نحبهم ويحبوننا.

فينزل ماء بارد على قلب سميرة وتتنهد.

- يبدو أن كلامي أعجبك...

- نعم ماما اعجبني...الله كريم مازلنا طلاب مدارس ويمكن فلاح يفكر يصير طبيب أو مهندس يعني أمامنا سنين طويلة...

- صحيح يا ابنتي والله صحيح يا سميرة كبرتِ يا أم عقل الكبير الله يبارك فيكِ ويحميكِ يا سميرة بنت فائزة.

• • • •

فلاح مشغول بجني أرباح الثلج بسبب اشتداد درجة الحرارة والهواء الشرقي القادم من جنوب البلاد من الخليج العربي محملاً بالرطوبة العالية، وأهل البصرة حينها لديهم طاقة كهربائية مستمرة ولكنهم لا يمتلكون أجهزة كهربائية للتبريد لأنها نادرة وباهظة الثمن - إن وُجِدت - لا تستطيع الناس الكادحة شراءها، معظم الناس تستعين بالمهفة المصنوعة من خوص النخيل التي تحرِّك الهواء فيبرد قليلاً، وهناك المروحة الكهربائية بنوعيها السقفية والمنضدية والتي أحيانًا تدفع هواءً حارًا إذا كان الجو وخمًا عالي الرطوبة، طبعًا الناس تضطر ليلاً للنوم على سطوح المنازل، عند المساء يُرش سطح الدار بالماء وتُفرش السرائر لتُهيأ للنوم، وعند اول خيوط النور عند الفجر تهب نسمات منعشة تغفو الناس عليها سويعة من الزمن، أحلى النوم قبل أن تبزغ خيوط الشمس المؤذية فيسخن الجو فتغادر الناس النوم مرغمة.

فلاح وسميرة حالهما حال الناس من أُسر كادحة، ولكنه أصبح قادرًا ماديًا نوعًا ما، فلماذا لا يفكِّر في شراء مكيف هواء مثلاً، الظاهر قد تعودت الناس على ذلك وليس عند أحد من أقربائهم أو معارفهم مكيف.

أثناء النهار في المصنع الجو مثالي قرب أحواض التبريد رغم أصوات الماكينات العالية... فلاح يحكي لسميرة كيف أن الجو

بارد في معمل الثلج، ويحكي لها عن راضي أبو حصان موزع الثلج على الدور وكيف أنه يجلس بالظل والحصان يوزِّع الثلج على بيوت المشتركين لكونه تعود ذلك ويكافئ راضي حصانه بقنينة بيبسي كولا باردة... ويحكي لها عن أرملة يعطيها فلاح كل يوم ستة قوالب ثلج بسعر بسيط لتقسِّمها إلى أربعة أجزاء وتبيعها بسعرٍ مجزي نوعًا ما لتشتري الطعام لأطفالها الأربعة وقد أعطاها مبلغًا بسيطًا من المال لشراء ملابس لأطفالها في العيد القادم:

- أنا يا سميرة أتبارك بدعاء هذه المرأة الطيبة التي تعيش على الكفاف دون معين، وفِي نيتي أن أعطيها خمسين دينار لتكون لها "بسطة" تعتاش منها عندما يغلق المصنع أبوابه في فصل الشتاء القادم، الله اوصانا باليتيم والفقير والأرملة: اكسوا العريان، واشبعوا الجوعان، واسقوا العطشان.

وحكى لها طُرفة حدثت هذا اليوم عندما تسرب غاز الأمونيا من أنابيب التبريد وشكَّل غيمة بيضاء في المصنع، وإذا بالمهندس يصيح بأعلى صوته على الحارس "رحيمة" ليعيد غاز الأمونيا إلى المصنع، فيتناول رحيمة عصاه ويركض باتجاه الغيمة محاولاً إرجاعها، والجميع يضحكون على رحيمة الجاهل البسيط، ويهز فلاح بيده تفضل هذا الفرق بين المتعلم والأُمي... فتبتسم سميرة ابتسامة عريضة لكنها تضع يدها على فمها حياءً منه.

يلاحظ فلاح قدرة سميرة على سرعة الاستيعاب، ويستغرب كيف رسبت في مادة الرياضيات، فتشكو له من مُعلمتها "حليمة" التي لا تحبها وبالتالي لا تحب درسها... يفسِّر كلامها لصالحه، بمعنى أنها تحبه وبالتالي تحب درسه، لكنه يهمس لنفسه: إنها لم تقل ذلك يا فلاح، قالت حليمة ولَم تقل فلاح، تمهل قليلاً ولا تندفع وتخسرها لأنها حساسة وربما لا تتقبل منك مثل هذا التشبيه.

يحاول تغيير الموضوع:

- علينا أن نستغل كل دقيقة لإنهاء المنهج لنسيطر على الوقت.

سميرة بأدب جَمّ:

- حاضر... حاضر.

كان المخطط له أسبوعان لإنهاء المرحلة الأولى للمنهج، لكنهما أنهياها في أسبوع واحد وبكفاءة عالية.

- اسمعيني سميرة، اليوم أنهينا المنهج للمرة الأولى وسنعيده مرة ثانية لترسخ المعلومات قبل أن ننتقل لحل التمارين.
- كما ترى يا فلاح.
- أنا الآن مطمئن لنجاحك في البكلوريا ولكن نحتاج إلى المزيد، والله بدون مجاملة أنتِ ذكية.
- لو كنتُ ذكية كما تقول لما كانت نتيجتي مكملة ولنجحتُ من

الدور الأول كما نجحتَ أنتَ وزميلاتي.

- الحقيقة أنتِ أكثر ذكاءً بكثير من صديقتك أميرة مثلاً ومع هذا هي نجحت في الدور الأول.

- هذا صحيح، إنها مسألة حَظّ.

- لاحَظّ ولاهم يحزنون ، إنها مسألة حُب المادة والتحضير اليومي والجهد المبذول.

- حقك يا فلاح قلت لكَ أنا لا أحب ست حليمة ولهذا لا أحب درسها والتحضير لها، إنها مسألة نفسية، وأشكرك خلّصتني من هذه العُقدة.

- سميرة دعينا نجرِّب حل هذا التمرين من هذه المجموعة ، اعطِني الدفتر والقلم لأكتب لكَ السؤال.

تناوله الدفتر ثم القلم وتتعمد مسك يده، فيشعر بتيار كهربائي صعقه وهزَّ كيانه ، فتلعثم وأخذ يمتمت واحمر وجهه وعرقت جبهته ، انسحب فورًا إلى الحمام ليمسح وجهه ويستعيد أنفاسه.

عند عودته سارعت سميرة بالذهاب إلى الحمام لتستعيد رباطة جأشها وتعدِّل شيئًا من مكياجها البسيط الفاتح الألوان، وعندما عادت قال لها فلاح :

- نكتفي هذا اليوم بهذا القدر ونواصل غدًا.

- ما بك يا فلاح ارى وجهك أصفر.

- لا شيء ربما من التعب اليوم في المصنع، أنا سعيد جدًا معكِ ويعز عليَّ فراقك، لكن أمك بانتظارك، توكلي على الله، مع السلامة سميرة.

يعود صاحب المصنع من لبنان فيجد المصنع بأحسن حال فيمدح مهندس المصنع والمحاسب أبا منقذ والحارس رحيمة بأحسن الكلام، ويشكر فلاح على جهوده وشطارته في إدارة عملية الإنتاج، وعندما يسلم المحاسب المبالغ للفترة الماضية إلى صاحب المصنع يلاحظ أن هناك زيادة في المبالغ المخصصة له فيسأل عن سبب ذلك، فيرد عليه فلاح:

- لقد اختصرنا فترة الإنتاج من أربع وعشرين ساعة إلى ثمانية عشر ساعة فزاد الإنتاج وزادت الأرباح.

- مبروك عليك يا فلاح أرباحك.

- مبروك للجميع فالكل استفاد وليس أنا وأنتَ فقط، ومثلما أنا أكرمتُ الجميع ؛ الآن جاء دورك يا عمي لإكرامهم، وأنتَ أهلٌ للكرم.

يطلب صاحب المصنع من المحاسب زيادة الرواتب عشرين بالمئة وتحضير وجبة غداء غدًا للجميع.

••••

يبدأ الدرس الأول لإعادة المنهج مرة ثانية، واليوم جاءت

سميرة لوحدها لانشغال أمها بضيوفها عائلة أختها... يفرح فلاح عندما يراها قد حفظت المادة وفهمتها واستوعبت كل شاردة وكل واردة وفِي اليوم الأول من المراجعة ينجزان أكثر من رُبع المنهج... تستفسر منه حول أحد القوانين، فيتضح له أنها عند عودتها للبيت تراجع الدروس التي تعلمتها وتحضِّر الدرس الجديد، هي تريد أن تظهر أمامه كطالبة مجدة... تنهض من كرسيها وتقف قُرب فلاح وتنحني لتؤشر له على السؤال، فينسدل شعرها على وجهه، ويقترب صدرها ووجهها من وجهه فيشم عطرها ويحتك فمه بنهدها وتضع يدها على كتفه لتتكئ عليه، فيكاد فلاح يسقط من الكرسي مغشيًا عليه، فيرجوها أن ترجع لمكانها وسيحاول توضيح القانون وتفسيره.

تستدرك الأمر سريعًا لأنها لم تقصد ذلك، فتصرفها كان بُحسن نية، فلاح لا يفكر أبدًا بإحراجها أو جرح كرامتها، هي أغلى من نفسهِ عليه، لو يقدر لضمها بعينيه وأطبق عليها جفناه، لو استطاع لضمها بحنايا أضلاعه ورئتيه، ليتها لا تفارقه لحظة واحدة، العمر بدونها ضياع والدنيا ملل، لقد أصبحت دنياه وحبه الأول والأخير، ليس له القدرة على الحياة بدونها، هي بالنسبة له الهواء، إنها الماء، إنها الحياة كلها.

يغطّ فِي تفكير عميق، هل يصارحها بحبه ؟، ربما يفقدها إلى الأبد، الأمر يحتاج إلى حكمة وعقل وتدبير وصبر...

تنتبه سميرة إلى أنه فِي عالم آخر فتقول له:

- ها فلاح ماذا جرى لكَ؟

- لا شيء، لا شيء... لنواصل الدراسة.

يستمران في المراجعة حتى الساعة التاسعة متناسيين أنفسهما فتأتي أم سميرة لتجدهما مازالا يدرسان وقد أنجزا أكثر من نصف المنهج... يتوقف فلاح ويقول لسميرة: غدًا إن شاء الله ننهي المراجعة، ونبدأ بعد غدٍ بالتمارين

(٣)

أبو فلاح يطوِّر محل بيع الكهربائيات ويتعاون مع بعض التُّجار في استيراد تأسيسات كهربائية جديدة ومعدات حديثة وبأسعار تنافسية... فلاح يتابع مع أبيه تطور المحل، يعتبر أن هذا المحل يمثِّل مستقبل العائلة، وأن العمل بالمصنع حالة مؤقتة تنتهي مع نهاية الصيف، بعدها سينشغل بالدراسة، وأمله أن يحصل على معدل عالي يؤهله لدخول كلية الطب أو الهندسة أو القبول ببعثة دراسية خارج العراق، هو من النوع دائم التفكير والتخطيط.

لفلاح صديق عزيز عليه في المحلة يثق به ثقة مطلقة يحكي له كل ما يجول بخاطرهِ، سعادتهما عندما يذهبان سويًاً للسينما أو عندما يأكلون الباقلاء عند ناصر أبو الباقلاء المعروف بطيبته وكرمه أو يأكلون الكبة عند بلاسم أبو الكبة أو ضهد أبو الدوندرمة، لكن لانشغال فلاح بتدريس سميرة انقطع عن

صديقه "سلام" واعتذر منه : إنها أزمة وتعدي ، لم يبقَ من الوقت إلا أسبوعان؛ أسبوع لحل كافة التمارين وأسبوع لسميرة للمراجعة لوحدها لتعتمد على نفسها دون مساعدة أحد، يحتاج يوم واحد فقط قبل الامتحان لامتحان سميرة بأسئلة مركزة مثل أسئلة البكلوريا وأصعب لاختبار قدرات سميرة، وهو يثق أن النجاح سيكون حليفها.

يبدأ فلاح مع سميرة في حل التمارين، يجدها "لهلوبة" بحل أصعب الأسئلة المقررة بالمنهج أو الخارجية ، يراجعان كافة أسئلة البكلوريا لعشر سنوات سابقة، فتقوم بحلها كلها دون أي تلكأ، وفلاح مرتاح لهذا التقدم الذي تحقق ، وهي سعيدة بقدرتها على تطوير معلوماتها بفضل فلاح وشطارته وإخلاصه ونقاء سريرته ، قليلون الرجال مثله ، إنه يتعب نفسه من أجلها ومن أجل ضمان مستقبلها، يبذل جهدًا استثنائيًا لضمان نجاحها ما أروعك يا فلاح وما أسعدني بك، فعلاً أنا فتاة محظوظة.

• • • •

يطلب فلاح من أُمه أن تعطي ما يعطيها من فلوس لأبيه ليطوِّر إمكانات المحل وليشتري المزيد من المعدات الكهربائية، ويطلب من أخيه الأصغر منه "شاكر" أن يساعد أباه في إدارة المحل لانشغاله في المصنع وبتدريس سميرة... وفعلاً المحل

في تطور ملحوظ ويحقق أرباحًا جيدة وكل الأرباح بالإضافة إلى ما يربحه فلاح يحوَّل إلى بضاعة للمحل الذي بدأ يتوسع ويتطور وأصبح له زبائن كثيرين، وفلاح جدًا سعيد بمحل الكهربائيات وبتطوره وبجدية والده وأخيه بإدارة المحل وتحقيق الأرباح... يزور المحل ويفرح بتنظيمه وما يحتويه من بضاعة متنوعة، ويشد على يَدْ والده ويهنئه على جديته وحسن تنظيمه، فيرد الأب:

- يا ولدي العزيز، لولا وقفتك وتشجيعك وإمدادنا بالفلوس باستمرار لما تمكنا من عمل شيء يُذكر، ثم لا تنسى مبادرتك بشراء الدكان... بفضلك يا ولدي أصبحنا بخير وأصبح لنا اسم في السوق، وضمنا مستقبل العائلة ومستقبلك ومستقبل إخوانك وأخواتك، أنا سعيد ومرتاح نفسيًا، الله يبارك فيك يا ولدي، سمعت من جدك رحمه الله حديثًا: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علمٌ ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) وأنت كما علمتُ تساعد الناس، فهذه يا ولدي صدقة، وأنا أمنيتي أن أرى أولادي أطباء ومهندسين وأساتذة ينفعون الناس، وأنت يا ولدي برٌّ بأمك وأبيك وإخوتك وأخواتك، وبعد عمرٍ طويل ستدعو لي ولأمك وهذا ما كنتُ أتمناه من هذه الدنيا وقد تحقق، ولهذا أنا فخورٌ بك وأتباهى أمام أهلنا وأقربائنا بكَ... أنتَ يا ولدي من

وضعنا على السكة الصحيحة فأنا ممنون منك يا فلاح.

• • • •

اليوم الأربعاء وامتحان البكلوريا السبت القادم ، أي لم يبقَ على امتحان سميرة سوى أيام قليلة... عند المساء تأتي سميرة مستعدة للامتحان وقد هيَّا لها فلاح عشرة أسئلة مختارة تغطي المنهج كله... لأول مرة سميرة تبادر بمصافحة فلاح وتشد بقوة على يده وتربت بيدها على كتفهٍ قائلةً:

- تعبتك معي يا فلاح

فيرد عليها:

- اليوم امتحان يا سميرة، أنتِ مستعدة؟

- نعم مستعدة وعند عينيك.

- طيب تفضلي اجلسي وهذه الأسئلة، ولكِ ساعتان من الوقت خلالها ممنوع السؤال.

تبدأ سميرة بالإجابة بتركيز عالي، إنه الامتحان يُكرم المرء أو يُهان...

خلال ثمانين دقيقة تسلم دفتر الامتحان...

- لماذا لا تراجعي الأسئلة بالوقت الباقي؟

- أنا متأكدة من الإجابة.

- طيب لنرى.

يدقِّق فلاح الأسئلة واحدً واحدا، كل الإجابات صحيحة ودقيقة، لا يتمالك نفسه فيمسك يديها بكلتا يديه ويهزها، ويصيح:

- والله ذكية، والله شاطرة، كل الإجابات صحيحة، أنا فرحان يا سميرة، جهودي وجهودك أثمرت، أرجو أن تسامحيني لأني أمسكت يديك دون قصد مني، أرجو المعذرة

- لا، لا... شيء عادي، أنا أيضًا فرحانة مثلك.

- المهم أنتِ لستِ زعلانة مني.

- لا أبدًا، ولماذا أزعل، ليس هناك شيء يزعجني منك يا فلاح.

- أرحتِني الله يريحك وينجحك.

- شكرًا فلاح، أعرف أنك تتمنى لي الخير والنجاح وسأكون عند حسن ظنك بي.

- سميرة...

- يا عيون سميرة.

- سيكون يوم الاثنين القادم امتحان الرياضيات وضروري نلتقي يوم الجمعة مساءً لامتحان جديد وأسئلة جديدة.

- حاضر... حاضر.

- إذن غدًا الخميس مراجعة، والجمعة امتحان كما اتفقنا، والسبت إذ كان عندك سؤال أو استفسار، والأحد راحة

والنوم الساعة التاسعة مساءً، والاثنين الاستعداد الكامل وبمعنويات عالية للامتحان وبثقة عالية جدًا... والآن مع السلامة، وتصبحين على خير.

تسلِّم سميرة على أم فلاح وتذهب لبيتها، يودِّعها فلاح عند باب البيت، يتعلق نظره بها لحين دخولها لدارهم القريب، ويعود لغرفته، تأتي أمه:

- كيف حال سميرة بالدروس؟ ماما، الامتحان يوم الاثنين، وإن شاء الله خير.

- الأمور كلها تبشِّر بخير، سميرة طالبة شاطرة.

- ليس فقط شاطرة وإنما من عائلة طيبة وناس إشراف يحبوننا ونحبهم، اسأل الله أن تكون من نصيبك.

- أمي أنا مشواري في الدراسة طويل، والعلم عند الله.

- الله كريم.

••••

يوم الجمعة تجتاز سميرة الامتحان بنجاح باهر، ويُخبرها فلاح أنها حصلت على مائة بالمائة فتضع يدها بحركة لا إرادية على خَدِّه بحنية، فيحس بنشوة، وتسري في جسمهِ حرارة محببة ورعشة خفيفة، فيضع يده فوق يدها ويضغطها على خده... تنتبه سميرة فتسحب يدها وتعض على شفتها بحياء، يتمالك فلاح نفسه ويتمتم بكلمات مبحوحة

- غدًا إذا كان عندك سؤال أو استفسار أنا حاضر.

- أنا عاجزة عن الشكر يا فلاح، لا املك كلمات تسعفني، الآن مع السلامة وتصبح على خير.

كالعادة يوصلها للباب ويودعها ويراقبها لغاية دخولها بيتهم.

يوم السبت تنتظر سميرة الساعة السادسة بفارغ الصبر رغم أنها ليس لديها سؤال ولا استفسار، لكنها تختلق سؤالاً تعرفه حق المعرفة، في تمام الساعة السادسة مساءً يستقبلها فلاح أحسن استقبال، فتسأله السؤال، فيبتسم فلاح قائلاً:

- أنتِ تستطيعين حل أصعب من هذا السؤال، أمن المعقول أن يعجزك هذا ؟!

- والله يا فلاح تعودتُ كل يوم أزور بيتكم وأراك في مثل هذه التوقيت، وهاتان الساعتان عندي كأنهما العمر كله.

لا يعرف كيف يرد، تاهت كل الكلمات على شفتيه:

- المهم لا أحب أن أشغلكَ هذين اليومين بأي شيء غير التفكير بالامتحان، وسأحضر لكِ مجموعة من القصص الجميلة أسلمها لكِ بعد الامتحان... والآن لنستغل الوقت ومراجعة سريعة لتركيز بعض المعلومات المهمة، بعدها امتحان من خمسة أسئلة أريد حلها بنصف ساعة.

- حاضر، حاضر... أنا جاهزة.

- ممتاز، والآن إلى الامتحان.

يدفع لها ورقة الأسئلة فتحلها جميعها بالوقت المحدد، وهو يتابعها بدقة ويقول لها: عال، عال... لا خوف عليكِ، أنا مطمئن من نجاحك توكلي على الله، غدًا الأحد راحة استعدادًا ليوم الاثنين، مع السلامة.

في تمام الساعة السادسة يوم الأحد تأتي سميرة إلى بيت فلاح لكنها لا تجده، لقد ذهب مع صديقه سلام للسينما، فتشعر أن هناك شيء ينقصها، هذا يوم غير طبيعي، تجلس مع أم فلاح وأخواته وتشكرهن على جهودهن معها، تتمنى لها أم فلاح النجاح في امتحان الغد.

تعود سميرة لبيتهم مكسورة الخاطر، كان بودها رؤية فلاح، تجلس في غرفة الضيوف وتفتح شباكها المطل على الشارع تنتظر عودة فلاح، وفعلاً يعود في التاسعة والنصف فتكلمه من الشباك، فيندهش...

- سميرة يجب أن تنامي، غدًا امتحانك

- طيب خلاص سأذهب لأنام.

تكلم نفسها: الآن ارتاح قلبي، كيف يمر يوم دون أن أرى فلاح؟

يفكِّر مع نفسه في غرفته: يا ترى هل سميرة تحبني مثلما أحبها وهل سيكون لديَّ الجرأة على مصارحتها بهذا الحب، لنرى

بعد الامتحان هل تستمر هذه العلاقة الطيبة أم تنتهي باعتبارها كانت بحاجتي فجاملتني، وربما ترغب سميرة بالزواج وأنا غير مستعد الآن لذلك.
يقلِّب الأمور ذات اليمين وذات الشمال، هو يسأل وهو يجيب، على أن يغلبه النعاس فينام.

صباح الاثنين، تستيقظ سميرة مبكرًا، تراجع بعض المسائل التي أشرَّتها بالقلم الأحمر وتحلها جميعها شفهيًا، تتناول فطورًا خفيفًا وتتوكل على الله لقاعة الامتحانات.

تُوزع الأسئلة وتُقرأ من قبل مديرة القاعة، وتعطى وقتًا مستقطعًا لمدة ثلاث دقائق للاستفسارات... سميرة بمنتهى السعادة تعرف كل الأسئلة، ثلاث منها موجودة في المنهج نصًا وسؤال كذلك موجود في مجموعة التمارين مع تغيير الأرقام، والسؤال الخامس دمج لسؤالين موجودين في المنهج... خلال أربعين دقيقة تحل الأربعة أسئلة كاملة وتتذكر الأرقام والنتائج في المنهج من كثرة الإعادة، تسجِّل النتائج على ورقة الأسئلة وتسلم دفتر الامتحان، فتقول لها المراقِبة:
- لماذا لا تراجعين الأجوبة الوقت في صالحك؟
- راجعت الحلول مرتين وهذا بقناعتي يكفي.
- طيب موفقة.
فتأخذ منها الدفتر، وتغادر القاعة، فتجد صديقتها عند باب القاعة الخارجي مغميًا عليها والمدرسات والعاملات يحاولنَّ إسعافها بغسل وجهها بالماء، وعندما تصحو تبكي وتشكو من صعوبة الأسئلة، فتستغرب سميرة الأمر وتعود مسرعة إلى البيت، فتجد فلاح في انتظارها على أحرٍّ من الجمر

- بشِّري سميرة.

- خير، خير، لقد تمكنت من حل الأسئلة المطلوبة، وهذه النتائج.

- لنرى...

يمسك فلاح ورقة الأسئلة ويحلها، فإذا نتائج سميرة مطابقة تمامًا فيشد على يدها ويهنئها ويبارك نجاحها، فتستأذن لتبشر أمها وتعود لبيتهم.

بعد ساعة ينتشر خبر صعوبة أسئلة الرياضيات هذا العام للدور الثاني، وأن معظم الطلاب والطالبات لم يتركوا قاعات الامتحان رغم انتهاء الوقت المخصص سوى طالبة أو طالبتين.

يعود فلاح إلى المصنع لإكمال بعض الأشغال، يشغله التفكير في سميرة وقد تعود على رؤيتها كل يوم والحديث معها وشم عطرها إنها أحلى ساعات العمر سيفقدها، ولربما يمنعها أهلها من زيارتهم يوميًا لعدم وجود سبب مبرر... يضع يده على خده فيشم رائحة سميرة ويحس بأحاسيسها وبدفءٍ جميل يحبه ويرتاح إليه.

عند المساء، وفِي تمام الساعة السادسة تأتي سميرة وأمها لزيارة بيت فلاح، فتنتابه سعادة غامرة، يجلس سميرة وفلاح في غرفته يناقشان المستقبل للصف الرابع والخامس الإعدادي ويتفقان على اختيار إعدادية البنات المركزية في العشار وإعدادية البنين المركزية في نفس الشارع ليتمكنا من الذهاب والإياب يوميًا معًا من محلة الجمهورية للعشار...

- ما أمنيتك يا فلاح؟

- أنا أتمنى أن أكون طبيبًا، وأنتِ يا سميرة؟

- في كل الأحوال سأكون معلمة لعدم وجود جامعة في مدينتنا حاليًا، يوجد

معهد المعلمات لا غير ذلك وأنا مجبرة على هذا الاختيار لسببين، الأول لا يوافق أبي أن أدرس لوحدي في بغداد والثاني الإمكانات المادية المحدودة لوالدي.

- أنا أستطيع مساعدتك...
- اذكر الله يا فلاح، هذه أربع سنوات، أنا قنوعة الحمد لله أن أكون معلمة، رحمَ الله امرئً عرف قدر نفسه ومدَّ رجليه على قدر لحافه.
- والله يا سميرة صحيح ما تقولين، ولكن أنا لدي طموح كبير.
- الله يسعدك ويحقق أمانيك يا فلاح، أنتَ تستاهل كل خير.
- سميرة، أرجوك أن تكثري من زيارتنا.
- حاضر، حاضر فلاح، هذا يعتمد على فراغ أمي، أنها صديقة أمك ومتعلقة بها وأمك تبادلها نفس الشعور.

أم سميرة تنادي عليها للعودة إلى البيت، فتسلِّم فلاح كتاب الرياضيات الذي استعارته منه في بداية الدراسة وتهمس:

- ستجد في الصفحة الأولى ملاحظة كتبتها لك، عندما أخرج اقرأها رجاءً... مع السلامة، وشكرًا على كل شيء.

فلاح بين الشك واليقين: هل سميرة حقًا تحبني مثلما أحبها؟ أم أنها تجاملني لحاجتها لي؟ وها قد انتهى كل شيء، أكيد مثلما أحس بها تحس بي، تبادلني نفس الشعور، طيب ماذا كتبت لي؟ هل كلمة شكر وتقدير، أم كلمة وداع، أم كلمة إعجاب؟... لنرى، المية تكذب الغطاس...

يفتح الصفحة الأولى من الكتاب فيجد قصاصة ورقة بيضاء مطبقة بعناية، يفتحها على مهل ويقرأ:

(أنا أحبك يا فلاح)

يجلس فورًا على الكرسي القريب منه، يسحب نفسًا عميقًا وتتسارع دقات قلبه، ويغوص في حلم عميق كأنه انتقل لعالم آخر... يرمي نفسه فوق الفراش ويركّز نظرة في سقف الغرفة تارةً وفي ورقة سميرة تارةً أخرى... يستجمع قواه ويأخذ دراجته الهوائية ويذهب إلى بيت صديقه سلام، لا يقدر أن يحمل هذا الجهد لوحده يريد من يشاركه حمله، يرتمي على فراش سلام ويبوح له بالسر الخطير ويفتح له الورقة.

- أنا سعيد يا سلام، أكاد أطير... لا أصدّق نفسي، سميرة تحبّني وهذا الدليل، كنت بين الشك واليقين، إنها حقًا تحبّني والله يا سلام أنا الآن بعشرة رجال وربما أكثر منهم قوةً وعزيمة... أستطيع الآن أن أَهدَ الجبال وأن أفعل المستحيل لإرضاء سميرة.
- أهدأ يا فلاح، سميرة محظوظة بحبك، أنتَ شاب أنيق جميل ذكي جدي في حياتك، من عائلة متماسكة الكل يحبونكم ويتمنون رضاكم، فلماذا لا تحبك سميرة.

عاد فلاح للبيت يحث الخُطى وقد نسى دراجته في ممر بيت سلام من شدة ارتباكه، عيناه ترنو إلى بيت سميرة، فرآها بباب الدار وهي مبتسمة وتحرّك يدها بالسلام بجانبها لكي لا يراها أحد، ليس عنده كلام ليقوله، يسرع في خطواته إلى بيتهم ويجلس على مكتبه ويكتب رسالة موجزة إلى سميرة:

حبيبتي سميرة :

لا يمكن أن تقدِّري فرحتي وسعادتي بكِ يا أغلى شيء في الوجود... أنا أحبكِ أكثر مما تتصورين يا حياتي.

يضعها في كتاب الرياضيات ويعطيه لأخته الصغيرة ويطلب منها أن تسلِّمه إلى سميرة في بيتهم وتقول لها هذا كتابك نسيتِه في غرفة فلاح...

تقرأ سميرة الرسالة المقتضبة وفيها كلام الكون كله...

- قولي لفلاح سنأتي اليوم في المساء أنا وأمي لزيارتكم مع السلامة.

فلاح حائر هل ممكن يشتري لسميرة هدية ؟ وما هذه الهدية ؟ هل من الممكن أن يعطيها مالاً لتشتري لها هدية على ذوقها، ربما تزعل مني ومن تصرفي الأهوج هذا ، أذن لأدع الأمور تسير على بساطتها أفضل من أن أُعقِّدها.

(٤)

فلاح في معمل الثلج وقد هدأت درجات الحرارة ومالت للانخفاض، ونوعًا ما قَلَّ الطلب على الثلج وانخفضت الأسعار وأصبح ثمن قالب الثلج بحدود أربعمائة فلس أي تقريبًا نصف الثمن، ومع هذا فلاح يحقِّق أرباحًا جيدة يضخها أولاً بأول لأبيه لشراء المزيد من البضاعة، بيت فلاح يخططون لبناء غرفة كبيرة فوق البيت لخزن البضاعة الكثيرة العائدة للمحل ويقترح أبو فلاح أن تكون غرفتين بينهما حمام تحسبًا للمستقبل لزواج فلاح، فيضحك فلاح قائلاً:

- بابا علينا أن نفكِّر ببناء بيت جديد في الأحياء الجديدة.

يرد أبو فلاح:

- هذا البيت عتبتهُ كلها خير وبركة وجيراننا من أحسن الناس.

- مع هذا الحياة تتطور يا أبتي وعلينا أن نخطط للمستقبل نحن عائلة كبيرة ومساحة بيتنا كما ترى محدودة مائة متر فقط.

- ابني الله كريم البركة فيك وبإخوتك.

يتفق الجميع على بناء غرفة واحدة فوق السطح كمخزن للمواد لأن سقف الدار ليس مسلحًا وربما لا يتحمل ثُقلاً زائدًا.

بعد منتصف شهر تشرين الأول ينخفض سعر الثلج كثيراً لغاية مائتي فلس، وبعد أسبوع يستقر على مائة وعشرين فلس، ثم مائة فلس، إنها نهاية موسم الصيف وبداية فصل الخريف واعتدال المناخ... انتهى الموسم والمصنع سيغلق أبوابه ويبدأ بأعمال الصيانة، المهندس يخبر صاحب المصنع أن

الضاغطتين الاثنتين تأثرتا من شدة التحميل الزائد والعمل المستمر ليل نهار وتحتاجان إلى إعادة عمرة تهيئً للموسم القادم... فيشارك فلاح بنسبة معقولة من ثمن صيانة الضاغطات، فيشكره صاحب المصنع على موقفهِ هذا.

يسلِّم فلاح كافة الأمور إلى المحاسب أبي منقذ ويسلِّم على الجميع وحتى الموسم القادم.

فلاح مع هذا سعيد، لقد رفع عن كاهله عبءً ثقيلاً ومسؤولية كبيرة، وتفرَّغ تمامًا للتفكير في سميرة، ليس سوى سميرة الآن في حياته وهي شغله الشاغل.

في اليوم التالي يذهب مع أبيه لمحل الكهربائيات ويساعده في تنظيم البضاعة الجديدة ، ويطلع على الحسابات ويفرح بنسبة الأرباح المتحققة ، حقًا الفلوس تولد فلوس إذا أُحسِن استخدامها ، يندهش فلاح من كفاءة أبيه وقدرته على إدارة الأمور، فالطلبات كثيرة والمواد كثيرة المفردات، ولكن أبوه يحفظ كل شيء ويعرف ما على الأرفف وكل ما في المخزن وينظم الطلبات أولاً بأول ويسجل كل شيء ولا يبيع بالدِّين إلا للعمال الذين يؤسسون الكهرباء للبيوت وسحبهم اليومي للمواد وتسديدها عند القبض من صاحب الدار.

- عُمال أُمناء ملتزمون، ورحمَ الله امرئً أفاد واستفاد يا فلاح.

- كم عدد هؤلاء العُمال يا أبي؟

- اثنا عشر عامل ماهر مؤسس للكهرباء، لكل واحد منهم سجل خاص مدام يوميًا.

- بابا، الله يساعدك ويعينك على هذا الجهد.
- ابني أنا سعيد بعملي المربح النظيف هذا، أين كنت وأين أصبحت يا فلاح، بفضلك يا ولدي أصبحتُ اسمًا معروفًا وتاجر مواد كهربائية مشهور ، الحمد لله يا ولدي نحمده ونشكره.

• • • •

الأربعاء تستلم سميرة نتيجتها، المديرة تناديها: ناجحة وحصلتِ على أعلى درجة في عموم مدارس البصرة ؛ مائة كاملة، وهذه هدية المدرسة وسنذهب معًا لاستلام هدية التربية، والله يا سميرة رفعتِ رأسي واسم المدرسة، بارك الله فيكِ.

• • • •

يبدأ العام الدراسي الجديد ، وتتفق سميرة مع صديقتها "جانيت" على الذهاب والإياب سويةً للمدرسة، ويتفق فلاح مع صديقه سلام على الذهاب والعودة معًا للمدرسة، يلتقي الجميع يوميًا صباحًا في تمام الساعة السابعة والنصف في منطقة الباص يركبون معًا، تجلس سميرة وجانيت معًا وقريبًا منهم فلاح وسلام وفي العودة ينتظر فلاح وسلام سميرة وجانيت ويركبون معًا... وهكذا مع الوقت تتعزز العلاقة بين سلام وجانيت بتشجيع من فلاح وسميرة ، جانيت نوعًا ما مترددة ولكن لدماثة أخلاق سلام وأدبه الجم وإكرامًا لصديقتها سميرة تقتنع بهذه العلاقة... نزوة شباب وفترة مراهقة ترتضيها جانيت وتقول لسميرة: أنا لا يمكن أن أنفرد مع سلام لوحدي، ولا يمكن أن أزوره في بيتهم كما أنتِ تفعلين، وأرجو أن لا تطلبي مني ذلك مهما كلّف الأمر... فتوافقها سميرة.

غدًا عيد ميلاد جانيت، لا تستطيع أن تدعو غير سميرة لبيتها، يحتفل أهل سميرة وأصدقاؤهم بعيد ميلاد جانيت وتدس جانيت كمية من حلويات الماكنتوش في حقيبة سميرة إلى فلاح وسلام.

يتفق الجميع بعد مناقشات طويلة على الذهاب مساء الخميس الساعة الرابعة إلى حدائق السندباد قرب المطار القديم في المعقل. يستأجر فلاح سيارة أُجرة على حسابه الخاص، ويطلب من السائق العودة في الساعة السابعة لإرجاعهم... يجلس فلاح مع سميرة وسلام مع جانيت يأكلون المرطبات وتوزع سميرة الماكنتوش على الجميع بالتساوي، ويهنئ الجميع جانيت بعيد ميلادها الجميل.

سميرة وفلاح يبنيان آمالاً عريضة ويتمنيان أمنيات جميلة، ويضع فلاح يده بيد سميرة ويتمشيان على ضفاف شط العرب فرحين مستبشرين سعيدين، يُخرج من جيبه ماشة شعر جميلة على شكل فراشة في علبة ويقول لسميرة:

- أرجو أن لا تخجليني.
- ما هذا؟
- هدية بسيطة أعجبتني، أرجو أن تقبيلها.
- شكرًا فلاح، أرجو ألا تكرِّرها لأنك تعرف محدودية إمكاناتي بالرد بهدية مماثلة.
- سعادتي أن أراها بشعركِ.

ثبتتها على الفور في شعرها، فازدادت جمالاً على جمال.

عند الساعة السابعة يعودون للجمهورية فتنزل سميرة وجانيت قرب الكنيسة، وينزل فلاح وسلام في السوق قُرب ناصر أبي الباقلاء.

••••

يوم الجمعة يطلب أبو فلاح من ولده فلاح وأخيه الذهاب معه للمحل لترتيب البضاعة الجديدة والعودة وقت الغداء، ويقول لأم فلاح: سنعود قبل الغداء ومعنا خروف للغداء، اليوم الدعوة على حسابي حفلة شواء بمناسبة انتهاء عمل فلاح بالمصنع.

يعودون قبل الغداء الساعة الثانية عشر ظهرًا ويباشرون بذبح الخروف، وأم فلاح تشجر التنور لإعداد الخبز الحار وشواء اللحم بالتنور، وخلال ساعة زمن الغداء جاهز، كل شيء حار وطيب، يتمنى فلاح لو تكون سميرة معهم ولكن ما باليد حيلة، ولكنه يرجو من أُمه أن ترسل كمية من لحم الخروف إلى بيت أهل سميرة:

- تدلل فلاح، حصة إلى أهل سميرة وحصة إلى بيت خالتك، حتى يكون نذر من صدق.
- ولا تنسي يا أمي شراء هدية مناسبة لنجاح سميرة بالامتحان.
- فلاح، المفروض سميرة تهدي لكَ هدية لأنك سبب نجاحها، لو نسيت الجهود والدراسة شهر ونصف وأنتَ تعلم بسميرة.
- ماما أنتِ تعرفين أهل سميرة ناس على قد حالهم، المهم نحن نبادر لأنهم يستاهلون كل خير.

فلاح يقترح على أهله ان يذهبوا في رحلة إلى جزيرة السندباد، يتحركون في تمام الساعة الرابعة، يتذكر سفرته بصحبة سميرة وسلام وجانيت أمس

الخميس وكيف أمسك بيَّد سميرة وتمشيا على ساحل شط العرب، وتذكر كل الكلمات الجميلة، وماشة الشعر الفراشة التي أهداها إليها، وكيف زادت جمالها جمالاً.

يقضون أُمسية جميلة ويتمتعون بالهواء العليل والمناظر الخلابة وبساتين النخيل والجسر الخشبي القديم والجسر الكونكريتي الجديد، وفِي السابعة يعودون للبيت فيعرفون أن سميرة وأمها جاءتا لزيارتهم، تألم فلاح لذلك فلو كان يعلم بمجيئهما ما ذهبوا لهذه الرحلة رغم روعتها.

يذهب فلاح إلى صديقه سلام ويصطحبه إلى محل "ضهد" لتناول الآيس كريم المثلج، ويتفقان على ضرورة استثمار الوقت من الآن للتهيؤ للسنة القادمة بكلوريا الخامس الإعدادي للحصول على معدل عالي يؤهلهما لدخول كلية الطب أو بعثة دراسية.

في الستينات كان امتحان البكلوريا يشمل مناهج الصف الرابع والخامس إعدادي، لهذا فتفكير فلاح جدًا صحيح بضرورة استثمار الوقت من الآن رغم سهولة دروس الصف الرابع إعدادي مقارنةً بدروس الصف الخامس، والشيء الرائع عند فلاح يعتمد في وضع خطة الدراسة وتوزيع الوقت واستثماره بشكل جيد، وهذا سر نجاحاته وتفوقه في الدراسة والعمل.

تناقش في اللقاء الثاني مع سميرة بخصوص هذه الأفكار، فقالت:

- نبدأ بالتخطيط كما تحب بعد عطلة نصف السنة، خلينا شوية نتنفس يا فلاح.
- المهم أنا سأضع برنامج مريح وأعطيك نسخة منه وأتمنى أن نلتزم به لنسيطر على الدروس ولنكون من الأوائل.

- أنا لا يمكن أن أختلف معك يا فلاح، توكل على الله.
- اسمعي سميرة أنا الود ودي أن أراكِ كل يوم حتى الجمعة ولو لدقائق، أرجوكِ ساعديني.
- ربنا يعينني أن أُسعدك، كل الذي أقدر عليه بحدود المقبول والمعقول دون زعل أهلي وأكون راضية على نفسي؛ والله سوف أعمله برضى طالما هذا يرضيك.
- وأنا والله وبشرفي وبحق حبنا الصادق النابع من القلب سأكون أمينًا وأحافظ عليك أكثر من حياتي وأكثر من مستقبلي وأكثر من أخواتي، والله على ما أقول شهيد، أنتِ يا سميرة غالية عندي، أنتِ والله أغلى شيء عندي في الوجود، ثقي بي وسوف لن تندمي أبدًا.
- وأنا يا فلاح لا يفرِّق بيني وبينك إلا الموت وهذا عهد شرف أُلزم به نفسي أمامك وأمام الله.
- أنا عندي طموح كبير في الحياة، أرجو أن تساعديني وتقفي معي.
- اطمئن يا فلاح.

يستمر فلاح يوميًا بالذهاب صباحًا للمدرسة كالمعتاد مع سميرة وجانيت وسلام، ولكنه لا يعود معهم لأنه يذهب لمساعدة أبيه وتنظيم السجلات لمدة ساعتين فيعود للبيت قبل الساعة الثالثة ظهرًا ليبدأ تنفيذ برنامج الدراسة وتحضير الواجبات وفق الجدول الذي اتفق عليه مع سميرة.

تمرُّ الأيام، وسميرة تستغرب أن درجاتها بكل الدروس مرتفعة وقد أصبحت مثل فلاح طالبة متفوقة يحبها الجميع مدرسات وطالبات، وهي تتردد على بيت فلاح لمناقشة بعض المواد في الدروس العلمية وهو ينصحها أن لا تعتمد

عليه بالمطلق، عليها أن تعتمد على نفسها وإمكاناتها أولاً وقبل كل شيء:
- سترين يا سميرة أنكِ قادرة وأنا لا أختلف عنكِ بشيء لأنكِ ذكية مثلي والله
، صحيح الذكاء مهم ولكن التنظيم والتركيز والدراسة أهم، قد أكون لي إمكانية الحفظ أسرع منكِ، ولكن إذا عودتِ نفسكِ على القراءة والتحضير المستمر والتركيز العالي والمطاولة ستجدين نفسك مثلي تمامًا وربما أحسن.
- لا يا فلاح يكفي أن أكون مثلك أو قريبة منك.

ينتهي الفصل الأول وتوزع النتائج، فلاح ترتيبه الأول على الإعدادية المركزية للبنين، وسميرة ترتيبها الثالث على الإعدادية المركزية للبنات، ربما هو شيء عادي عند فلاح لكنه تطور كبير عند سميرة.

يتمتع الجميع بإجازة نصف السنة ، سلام يقنع فلاح بالانضمام إلى خلية للحزب الشيوعي العراقي في منطقتهم، فلاح يتردد ولكن إلحاح سلام عليه بالحضور ولو مرة ليتعرف على المسؤول وهو أستاذ الفيزياء في المدرسة الذي يسكن قريب جدًا منهم، فلاح ارضاءً لسلام يحضر مساء الجمعة، فيجد معظم أصدقائه في المدرسة منضمين لهذه الخلية الحزبية فيرتاح نفسيًا، قبل نهاية الاجتماع يوزِّع عليهم أستاذهم منشورات ويطلب منهم عندما يجنُّ الليل لصقها في سوق الجمهورية على واجهة المحلات وفِي مناطق الباصات بواسطة مادة لاصقة، كانوا ستة كلفهم بالمهمة، وما أن بدأوا بلصق عدد من المنشورات حتى طوقتهم قوات الأمن واقتادوهم إلى أمن البصرة للتحقيق معهم بهدف الحصول على اعترافات. مع ثالث خيزرانة موجعة اعترف فلاح بالحقيقة كما هي، ولكن دون فائدة.

مرَّ على فلاح وأصدقائه أربعون يومًا دون أمل في الخروج، وكل يوم تحقيق وتعذيب، وهم لا يعترفون بأكثر مما قالوه منذ اليوم الأول... إلى أن جاء عيد الأضحى، وزارهم بالصدفة مدير الأمن العام، وسأل عن جريمة هؤلاء الصبية ، وكان ضابط الخفر ذلك اليوم رجل طيب من أبناء الصابئة المندائيين، فقال له:

- سيدي، طلاب مدرسة الإعدادية مغرر بهم، وزعوا منشورات بتوجيه من مدرس الفيزياء ووعدهم بزيادة درجاتهم في مادة الفيزياء، صار لهم عندنا أكثر من أربعين يوم، سيدي راح يضيع مستقبلهم وليس عندهم سوابق.

وكان برفقة مدير الأمن قاضي التحقيق، فاتفقا على إطلاق سراح فلاح وأصدقائه، على أن لا يعودوا إلى مثل هذه الأعمال وإن يهتموا بدروسهم ومستقبلهم، فوعدوه بذلك، فقال: ليذهب كلٌّ إلى بيته، فأخبروه أنهم لا يملكون أُجرة السيارة، فأعطاهم من ماله الخاص دينارًا واحدًا وعادوا إلى الجمهورية.

بعد نصف ساعة من وصول فلاح لبيته جاءت سميرة وأمها ومعهما علبة حلويات للتهنئة بسلامته، لم يسلِّم عليهما لأن حاله كان يُرثى له: شعره طويل وهندامه متسخ وجسمه يؤلمنه من شدة ضرب الخيزران، ولكنه سمع صوت سميرة ونحيبها مع أمها.

في اليوم الثاني التقى سميرة في الباص، فبكت، فناولها منديلا لتمسح دموعها ، وظلَّ محتفظًا بهذا المنديل لسنين طويلة، المهم تعطلت لغة الكلام بينهما،

هي تبكي ، وهو أيضًا ؛ ولكن بدون صوت ، ويمسحان دموعهما بنفس المنديل... قال لها:

- الآن أنا بحاجتك لتشرحي لي الدروس التي فاتتني.

بصوت مبحوح قالت:

- حاضر، يوميًا سأزورك من الساعة الرابعة مساءً حتى السادسة

خلال أسبوع واحد سيطر على كافة المواضيع بفضل سميرة وجهوده المضاعفة ، أبوه يلومه:

- ابني فلاح، أنتَ العاقل، أنتَ عماد البيت، ليس من المعقول أن تضيعنا تدمر مستقبلك بيدك، الله لا يعطي سلام ولا يوفقه هذا الكسلان.

النتيجة أن جانيت تركت سلام خوفًا منه ومن السياسة، بينما فلاح وسميرة ازداد حبهما وترسخت علاقتهما وأصبح مصيرهما واحدًا وتعهد لها أن يهتم بمستقبله، مثلما تعهد لأبيه.

بدأ يستعيد تفوقه في المدرسة، وبنفس الوقت يساعد والده، ولكنه كان يعود من المدرسة مع سميرة ويتناول غداءه في البيت على عجل، ثم يعود إلى أبيه، وكان هذا يكلِّفه كثيراً من الوقت، فاضطر إلى تغيير الخطة، يوصل سميرة إلى الباص ومن ثم يذهب إلى أبيه وفِي تمام الساعة الرابعة يرجع إلى البيت لتحضير دروسه.

مساء كل يوم تقريبًا تجلس أُمه معها جاراتها في باب بيتهم وتأتي أم سميرة وسميرة معها كتابها، تجلس أم سميرة بجانب أُمه، وسميرة تدخل البيت

فتجده في غرفته جالس في مكتبه يراجع الدروس فتجلس في كرسيها وتراجع دروسها ويتناقشان خاصةً في الفيزياء والكيمياء والرياضيات وأحيانًا في درس اللغة الإنكليزية.

تمرُّ الأيام ، وتقترب امتحانات نهاية السنة الدراسية ، ويضعان جدولاً للمراجعة اليومية... تحضير الدروس كل واحد في بيته من الساعة الثانية بعد الظهر لغاية الساعة الرابعة ، بعدها يلتقيان في بيت فلاح لغاية الساعة الثامنة للمراجعة ، كل منهما يقرأ بمفرده لمدة ساعة ، بعدها نقاش لمدة رُبع ساعة ، وهكذا... كانت سميرة مجده جدًا ومركزه مثله ولديها مطاولة في استثمار الوقت ، وكانا في غاية السعادة ، وأحيانًا يحرك رجله تحت الطاولة غير متعمد ، ولكنه يمس رجلها فيشعر براحة ، لم تكن تسحب رجلها ، لكنه كان يلاحظ تغير لون وجهها ومسحة الحياء ، فيعتذر لها ، فترد عليه بابتسامة خفيفة وتعض بنواجذها الجميلة على شفتها السفلى.

اقترب موعد الامتحان ، وقد راجعا المناهج ثلاث مرات وأجريا امتحانات لبعضهما، وكانا يتنافسان بقوة للحصول على أعلى الدرجات.

بدأت الامتحانات ، وكانا في كامل الاستعداد لها ، فتحقق لهما النجاح بتفوق كبير ، هو الأول على مدرسته وهي الثانية على مدرستها، كانت هناك طالبة ذكية من أهل الموصل تنافسها وأحيانًا تتفوق عليها بسبب ذكائها وبسبب أن أباها وأمها مدرسين في الإعدادية لمادتي الفيزياء والإنكليزي ، وسميرة تحتاج تقوية في درس الإنكليزي ، فأتفقا أن تركِّز على درس اللغة الإنكليزية لتستطيع منافسة زميلتها الموصلية.

بدأت العطلة الصيفية الطويلة ، كان فلاح يعتقد أن صاحب مصنع الثلج سيطلبه ويتعاقد معه ، وكان وقتها مترددًا بين حاجته للعطلة للتحضير لامتحان البكلوريا القادم والذي يشمل كافة دروس مرحلتي الرابع والخامس إعدادي - كما كانت الأمور في الستينات قبل استحداث مرحلة السادس إعدادي - وبين طَمَعه الشخصي في الحصول على المزيد من المال بعد أن تعلم كثيرًا من تجربة العام الماضي، ولكنه علم من المحاسب أبي منقذ أن صاحب المصنع بالاتفاق معه قرَّر إدارة المصنع لحسابه الخاص هذا العام... في داخله فرح لهذا الخبر خاصةً أن محل أبيه بدأ يتطور ويدر عليهم مالاً يكفيهم وزيادة... فقرر أن يكون أول أسبوعين راحة تامة يساعد فيهما أباه بعض الوقت ويُسلِّم العمل إلى أخيه الأصغر لإدارة الحسابات ويدقها كل أسبوع مرة واحدة.

اتفق مع سميرة على وضع منهاج لمراجعة دروس الصف الرابع التي مازالت عالقة بالذاكرة بقوة، كذلك مراجعة نصوص اللغة العربية والإنكليزية وكتاب الحيوان والتركيز على الوراثة ، وبالطبع على دروس الفيزياء والكمياء والرياضيات قدر الإمكان...

- سميرة ، لدينا ثمانون يومًا كافية وتزيد ، الخميس مساءً والجمعة نهارًا ومساء الاثنين راحة، أما بقية الأيام في النهار نقرأ كل واحد في بيته ثلاث ساعات من الثامنة لغاية الحادية عشرة، ومساءً سويةً من الساعة الرابعة لغاية الثامنة، يكون المعدل تقريبًا سبع ساعات.
- اجعلها ست ساعات.
- طيب كما تحبين، مساءً لغاية السابعة.

- اتفقنا، على بركة الله.

يوم الاثنين يتفقان على الذهاب إلى حدائق الأندلس في المعقل الساعة الرابعة لغاية السادسة مساءً ، سميرة تدَّعي أنها تزور صديقتها جانيت ، يتفسحان في ممرات الحديقة وقد أمسك فلاح يد سميرة ثم جلسا على المصطبة على نهر جاري وهما يضحكان ، فجاءهما رجلان وادَّعا أنهما من شرطة الآداب ، فأخبرهما فلاح أنهما لم يرتكبا أي خطأ يسيء للآداب وأنهما مخطوبان... لم ينفع الكلام ، واقتاداهما إلى سيارة البوليس ثم إلى مركز الشرطة...

فلاح اصطكت أسنانه وضاع كل الكلام منه ، وسميرة تود الموت ولا الفضيحة... دقائق محرجة، إلى أن جاء نقيب الشرطة:

- ما لهما هذان؟
- سيدي، كانا جالسين بمفردهما في حدائق الأندلس.
- هل ارتكبا فعلاً يسيء للآداب العامة؟
- كلا سيدي، كانا جالسين يضحكان بصوتٍ عالٍ.
- وما الخطأ في ذلك؟ إنهما زميلان وربما خطيبان أو متزوجان، ما لكم ولهما ؟ عيب مثل هذه التصرفات... تفضلا مع السلامة ونأسف منكما ، وأنت أيها الشرطي لا تكرر مثل ذلك ولا تعتدي على حرية الشباب.

لم يعرفا كيف يشكران الضابط لأن الكلام كله تاه على الشفاه ولا قدرة للفم على النطق، أو للعقل على التفكير.

استأجرا سيارة أُجرة وعادا فورًا، ولَم يكلم أحدهما الآخر ولا بكلمة واحدة... سميرة لا تستطيع السيطرة على نفسها جسمها كله ينتفض من الخوف

ووجها أصفر وشفتاها يابسة وقد اصطكت أسنانها، وفلاح مذهول من الذي حصل، إذن لماذا ينشئون الحدائق العامة؟! هل للكلاب والقطط والعصافير؟ والله نحن عصافير بريئة لماذا يصدوننا هؤلاء المتخلفون الهمج بلا ذوق وبلا أخلاق، ليت الذين يحبون كلهم مثل أخلاقنا وعلاقتنا وشرفنا وحُبنا النقي الطاهر.

لا تكاد قدماها تحملاها إلى بيتها، تتعثر في مشيها، تريد جرعة ماء تبلل شفتيها اليابستين اللتين لصقتا ببعضهما: يا ربي ماذا فعلت لأتحمل هذا العذاب... تدخل البيت وإلى الحمام تغسل وجهها وتشرب قليلاً من الماء وتستعيد أنفاسها وتذهب إلى غرفتها فترتمي فوق فراشها، تنادي عليها أمها: سميرة، يا سميرة، أين أنتِ؟... لا تستطيع الرد، تأتي أمها إلى الغرفة...

- ابنتي، ألا تسمعينني، ما بكِ؟

سميرة تبكي ودموعها تسيل على خديها...

- ابنتي، ماذا بك؟ حالك يخيفني.

- ماما، لا شيء، أحس بمغص في بطني يؤلمني.

- ماذا أكلتِ يا ابنتي؟

- قطعتين من الكليجة وعصير عند بيت جانيت وقطعة حلويات.

- ربما من الحلويات، يمكن حلويات قديمة، ابنتي اشربي هذا الماء وسأعمل لكِ شاي نومي بصرة (ليمون مجفف) فورًا سترتاحين بعدها، ابنتي الجو حار وأنتِ ذهبتِ مشيًا إلى بيت جانيت والشمس عالية، الناس لا تخرج من بيوتها إلا بعد السادسة مساءً عندما يتحسن الجو.

- صحيح ماما.

تذهب الأُم لإعداد الشاي، وسميرة تؤنب نفسها لأنها لا تحب أن تكذب على أمها ولو كذبة بيضاء ليس فيها ضرر على أحد.

يوم الجمعة لا يرى فلاح سميرة... ينتظر السبت بفارغ الصبر وعند المساء لا تأتي أيضًا، لا يستطيع المذاكرة، يغوص في تفكير عميق، يقلِّب الأمور، ربما سميرة حانقة عليَّ، لا تحب رؤيتي بعد الذي حصل بإلحاح مني...

تمرُّ الدقائق عليه ثقيلة، يخرج إلى الباب مرات ومرات، ثم يذهب إلى صديقه سلام ويذهبان إلى السوق لتناول المرطبات ويقتنع الاثنان بالذهاب إلى سينما الرشيد في العشار لمشاهدة فيلم "الوسادة الخالية" تمثيل عبد الحليم حافظ ولبنى عبد العزيز وإخراج صلاح أبو سيف، ويعيش فلاح ساعتين مع قصة حب جميلة مؤثرة يتفاعل معها ويتعاطف مع عبد الحليم حافظ ويتألم لألمه.

يوم الأحد أيضًا لا تأتي سميرة للمذاكرة، فيجن جنونه، يستعين بأخته الصغيرة ويكتب ورقة فيها كلمة واحدة: (ما بك ؟) فترد عليه بكلمة واحدة أيضًا: (مريضة).

يفهم أنها مريضة بسبب الشرطي المعتوه المتخلف الذي كاد أن يعمل لهم مصيبة من لا شيء وكأنه ابن الكلب يدافع عن الوطن الشرطي الخبيث يترك النشالين والمجرمين يسرحون ويمرحون: ويأتي على سميرة وفلاح الذين لا يؤذيان دودة في الأرض، بحالهما وكل همهما دراستهما ومستقبلهما لينفعا الوطن، المفروض الشرطي يكون حالة مثقفة راقية متعلمة قدوة للآخرين ليس مثل هذا الحقير المتخلف الذي يكره الحياة وينتقم من الحب

والعلاقات الإنسانية ، العالم تطور والبصرة ميناء ومدينة متحضرة المفروض هؤلاء يدخلون دورات تعليمية كيفية التعامل مع الناس ؛ وخاصة الشباب ؛ بالحُسنى.

يتألم كثيراً لمرض سميرة وانقطاعها عن المذاكرة ولكنه ينتظر إلى الغد عسى أن تتحسن حالتها ويراها صباحًا في الباص... لكنها لا تأتي، فيزداد قلقه... يعاود انتظارها عند المساء موعد فترة المذاكرة ولكن دون نتيجة، تفكيره مشتت لا يستطيع التركيز في الدراسة... تناديه أُمه تقول:

- فلاح أنا ذاهبة لأزور سميرة لأنها مريضة.
- ماما، هل يمكن أن أرافقك؟
- نعم ماما، ممكن.
- اسمحي لي بعشر دقائق اشتري لها علبة حلويات من البقال على رأس الشارع.
- بسرعة ابني.

يذهب فلاح وأمه إلى بيت سميرة، فتستقبلهما أمها بأحلى الكلام...

- بشِّري، كيف صحة سميرة؟
- أخذتها للطبيب، يقول: شَدّ عصبي، تحتاج إلى راحة، وأعطاها مُهدئات، والله كريم.

فلاح يسألها أن يرى سميرة.

- تفضَّل، سميرة أختك.

سميرة تنادي على أمها:

- أنا قادمة لغرفة الضيوف.

تذهب إلى الحمام تصلح من حالها وترتب شعرها على عجل، وتطل على فلاح وأمه...

- سلامتك سميرة.

- الله يسلمكم ويحفظكم.

- إن شاء الله تعافيتِ.

- أحسن الحمد لله، وغدًا أذهب للمدرسة.

يشربون الشاي ويأكلون شيئًا من حلويات فلاح ويستأذنون.

• • • •

يلتقي فلاح مع سميرة في الباص...

- ما بكِ؟ قلقتُ عليكِ.

- الشرطي ابن الكلب أرعبني، تمنيتُ أن تنشق الأرض وتبلعني، والله فكرتُ ساعتها في الانتحار، لكن الله ستر.

- لاحظتُ كيف ركزتِ نظرك على مسدس الضابط على المكتب ولهذا اقتربتُ منكِ لأمنعكِ من أي تصرف أهوج... المهم سميرة ضروري نركِّز على دراستنا وعلى وقت المذاكرة واستثمار كامل الوقت.

- حاضر... حاضر.

سميرة في الفصل الأول درجاتها عالية فوق التسعين، ما عدا الإنكليزي بين الثمانين والخمسة وثمانين، بينما فلاح كل درجاته فوق السبعة وتسعين ما عدا اللغة العربية ثلاثة وتسعين أمَّا الرياضيات والفيزياء والكيمياء درجة كاملة... يقترح فلاح زيادة ساعات المذاكرة ساعة واحدة، يُخصصها هو للغة العربية وهي للغة الإنكليزية...

تسير أمور الدراسة والمذاكرة على أحسن ما يكون، وينتهي الفصل الأول فلاح ناجح الأول على المدرسة وسميرة الثانية على مدرستها... سميرة راضية عن المستوى الممتاز الذي وصلت له بفضل فلاح وطبعًا جهودها الممتازة.

يستغل فلاح وسميرة عطلة نصف السنة، ويقترح على أُمه أن يذهبا إلى السينما مع سميرة وأمها، ترد عليه أُمه:

- ماما، أي سينما أنا صايرة سينما !
- ماما، لأجل خاطري.
- أحاول إذا وافقت أم سميرة.

في اليوم التالي يذهب فلاح وأمه وسميرة وأمها إلى سينما الرشيد لمشاهدة رواية فيلم "الوسادة الخالية"، وفلاح لا يبوح أنه سبق وشاهده مع صديقه سلام... تعيش سميرة قصة حب وتندمج مع الفيلم، لكنها تنزعج من نهاية الفيلم، وتشتم سميحة (لبنى عبد العزيز) لأنها لم تتزوج صلاح (عبد الحليم حافظ) وتزوجت د. فؤاد (عمر الحريري) إنسان لا تحبه.....

- ما بكِ يا سميرة، بماذا تشعرين؟
- تصور هذه الحقيرة سميحة تترك حبيبها وتتزوج من رجل غريب عنها.

- سميرة، هذه قصة كتبها إحسان عبد القدوس ربما ليست حقيقية.
- لقد عشتُ معها لحظة بلحظة.

أنساها الفيلم مشكلة الشرطي، وحسَّنَ كثيراً من حالتها النفسية، تهمس في أُذن فلاح:
- والله إني أموت ولا أتزوج غير الذي أحبه.

عند عودتهم، يدعوهم فلاح إلى العشاء:
- سأدعوكم إلى عشاء هندي في مطعم بومباي: برياني وسمبوسة وباكورة وجتني، كلها آكلات هندية ولكنها حارة.

الأكل يعجب سميرة كثيراً، ولكن أمها وأم فلاح بعد كل لُقمة كانا يتناولان جرعة ماء.

بعدها استقلوا سيارة أجرة وعادوا إلى البيت سعداء فرحين.

في صباح اليوم التالي كانت قصة الفيلم هي محور الحديث:
- ما بكِ يا سميرة، إنه فيلم، والله فيلم، صدقيني، ما كل هذا الانسجام مع الفيلم.
- المهم كل رأس شهر نشاهد فيلم حلو.

يستمر الحال كما هو؛ دراسة ومذاكرة وحب شريف نقي طاهر، إنه الحب الحقيقي.

الأيام تجري، والهمة عند فلاح وسميرة تزداد...

لكن يحدث ما لم يكن في الحسبان...

(٥)

يعود أبو سميرة من كركوك في إجازته مريضًا، لا يقوى على شيء، يشكو من آلامٍ مبرحة في الصدر وخدرٍ في يده اليسرى وثقلٍ فوق عظم القص... يزوره فلاح مع أُمه ليطمئنا على صحته...

- عندك العافية أبو سميرة، يمكن ضربة شمس.

- غدًا نصطحبه للطبيب ونرى.

يفحصه الطبيب ويطلب منهم أن ينقلوه للمستشفى سريعًا لأن قلبه ضعيف، ويكتب لهم كتابًا للمستشفى الجمهوري.

تعود أم سميرة للبيت مهمومة ووجهها مخطوفة ألوانه، تستقبلها سميرة في لهفة مستفسرة، فتخبرها أمها بضرورة نقل أبيها للمستشفى لإجراء تحاليل وأشعة وتخطيط.

في الصباح يستأجر لهم فلاح سيارة أُجرة ويوصلهم لباب المستشفى، ثم يذهب للمدرسة ، قبلها يطلب من أُمه مراعاة إخوان وأخوات سميرة والاهتمام بهم، فتفعل أمه الطيبة وتحضِّر لهم صينية غداء عامرة، وتوصي سميرة بالاهتمام بدروسها وبإخوتها.

تبقى أم فلاح في بيت سميرة التي تأخذ كتبها وتذهب إلى فلاح للمذاكرة، ولكنها لا تستطيع التركيز... يحاول فلاح طمأنتها ويخبرها أن أباها وأمها سيعودان للبيت في غضون يوم أو يومين وأنها تستطيع الاعتماد على أمه طوال تلك الفترة.

يذهب فلاح وسميرة للمدرسة، ويعودان سويةً، فيجدان الشارع مزدحمًا

والجيران متجمعون عند باب بيت سميرة، وعندما يقتربان يسمعان صراخ أم سميرة وأخواتها، فتصرخ وتدخل البيت لتجد تابوت جثمان والدها وسط البيت، فترتمي فوقه، تمسكها أمها وخالتها، ولكنها تلطم وجهها وتشد شعرها وتشق ثوبها من الصدر فتكشف عن نهديها كأنهما صنمان عاجيان، فيسارع فلاح بنزع قميصه ويستر به صدر سميرة العاري ويزر الأزرار... لأول مرة يرى فلاح نهديّ سميرة، ولكنه بأي حال وسميرة بأي حال، الكل يبكون وينوحون على المسكين أبي سميرة.

يذهب فلاح مع أبيه إلى السوق لشراء القهوة والسكر والشاي ومستلزمات العزاء ويؤجران خيمتين واحدة للنساء وأخرى للرجال... ثم يعودان على وجه السرعة ويتجمع كل الرجال ويتوجهون للمقبرة، إكرام الميت دفنه، ويمنع أبو فلاح النساء من مرافقتهم.

يعودون عند المساء فيجدون الخيمتين منصوبتين في الشارع، خيمة الرجال أمام بيت فلاح وخيمة النساء أمام بيت سميرة... سميرة جالسة في الخيمة بين أمها وخالتها وهي تنوح وتبكي، وأمها تحتضنها، وهي تصرخ: لماذا يا الله ؟ ماذا فعلتُ لأتحمل كل هذا العذاب، هذا ظلم، والله هذا حرام، الله أكبر، الله أكبر، ولا الله إلا الله، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون... ثم تقع في حضن أمها مغشيًا عليها، فيرشوا عليها الماء وتطبطب أمها على خديها وتدلك صدرها ويديها، فتفيق سميرة، لكن فلاح يكاد يقفز قلبه من مكانه خوفًا عليها... يدور مثل الناعور بين الخيمتين والبيتين ويلاحظ حالة سميرة التي بدأت تسوء، ويطلب من أُمه الاهتمام بها.

في الصباح، أبو فلاح يعطي لولديه فلاح وشاكر مفاتيح المحل:

- تذهبان للمحل وتوزعان على عمال التأسيسات الكهربائية ما يحتاجونه من مواد، وتسحبان خمسين دينار من المحل وتعودان بسرعة.

بعد ساعتين يعودان ويسلمان والدهما المبلغ، فيأخذ ثلاثين دينارًا ويعطي لفلاح عشرين دينارًا... يذهب أبو فلاح للسوق فيشتري ثلاثة خراف وكيس رز وخضروات وزيت وسكائر وكل مستلزمات العزاء، ويعطي لأم فلاح بعض النقود لشراء قماش أسود لها ولسميرة وأمها وخالتها... تسلِّم أم فلاح القماش إلى أم محمد الخياطة بنفس الشارع وتطلب منها سرعة الإنجاز...

في اليوم الثالث من مجلس العزاء تمتلئ الخيمتان بالرجال والنساء، وأبو فلاح وفلاح لم يقصِّرا بشيء أبدًا... ينتهي مجلس العزاء وتفك الخيمتان المؤجرتان، وتبقى أم فلاح مع سميرة وأمها لمواساتهم والعناية بهم، والجيران يجلبون أنواع الطعام صباحًا وظهرًا ومساءً، هذه من عادات المناطق الشعبية عمومًا مستوحاة من الأرياف والعشائر العراقية، العزاء ليس في بيت أهل سميرة فقط وإنما في كل بيوت الشارع.

فلاح سبق أن كلّف سلام أن يأخذ له إجازة ثلاثة أيام لوفاة عمه وكلف جانيت أن تأخذ إجازة لسميرة ثلاثة أيام لوفاة والدها... انتهى مجلس العزاء وقرر فلاح مباشرة الدوام، ولكن سميرة مصرَّة على إكمال اليوم السابع، فتركها فلاح على راحتها ولَم يضغط عليها.

يطلب أبو فلاح من ابنه أن يُعطي لأمه العشرين دينارًا كي تعطيها لأم سميرة، أم فلاح باستمرار في بيت سميرة لا تفارقها، تعطي الفلوس لأم سميرة التي ترفض استلامها، لكنها تلحُّ عليها لقبولها، فتأخذ الفلوس وسميرة تلوم أمها، فتقول لها أم فلاح:

- اسكتي سميرة، نحن أهل وحلالنا واحد والله شاهد، لو كنا نقدر أن نشتري أباكِ بالمال لكنا بعنا حالنا ومالنا واشتريناه، لكن ليس بأيدينا، انها إرادة الله جل جلاله.

في اليوم السابع يذهب فلاح إلى سوق حنا الشيخ في العشار ويشتري بدلة سوداء محتشمة على ذوقه، وكذلك تنورة وقميص أسود أيضًا، ويضعهما في كيس هدايا ويحتفظ به في غرفته.

أبو فلاح يطلب من أم سميرة تحضير نفسها للسفر إلى بغداد بالقطار ومن هناك إلى كركوك لمطالبة شركة نفط كركوك koc بحقوق أبي سميرة... يصلان صباح اليوم التالي ويذهبان مباشرةً بسيارة أجرة إلى كركوك، فيصلان الشركة الساعة العاشرة صباحًا ويراجعان شعبة الحسابات، فيخبرهم مدير الحسابات بأن هذه شركة إنكليزية لا تعطي حقوقًا تقاعدية، ولكن تعويض خدمة والهيئة الإدارية للشركة قررت إعطائهم سبعمائة دينار، ويسلمهما شيكًا بالمبلغ...

تستلم أم سميرة الشيك وتوقِّع بالسجل بعد الإطلاع على أوراقها الثبوتية، ثم يعودان إلى بغداد، وفي الطريق يتناولان الغداء في مطعم عائلي على الشارع العام، ويصلان بغداد الساعة الرابعة والنصف، وفِي تمام الساعة الخامسة إلى محطة القطار الذي يتحرك بهم نازلاً إلى البصرة في تمام الساعة السادسة، فيصلان البصرة في السابعة من صباح اليوم الثاني.

تعطي أم سميرة الشيك إلى أبي فلاح ليتصرف به بما ينفعهم، فيصرف الشيك ويوزِّع الفلوس على ثلاثة من عمال التأسيسات الأمناء الصادقين لكل واحد مائتان وخمسين دينار بضمان مقابل نسبة من الأرباح لأنه لا يقبل الربا...

كل رأس شهر يجمع أبو فلاح مابين خمسة وعشرين دينار. أو أكثر قليلاً فيكملها ثلاثين دينار ويرسلها بيد أم فلاح إلى أم سميرة التي تشكرهم وتقول :

- رضا... الله يديمها نعمة، والله لولا أنتم ماذا أعمل لوحدي، الله يعوضكم كل خير وعافية.

••••

اليوم السبت وقد تعهدتْ سميرة بالدوام، فلاح بباب بيتهاة ينتظر، يذهبان سوية لمدرسة سميرة، تستقبلها مديرة المدرسة وتقبِّلها وتضمها إلى صدرها الحنون، وهكذا المدرسات، وتطيِّب خاطرها بكلمات حلوة:

- سميرة ابنتي شدي حيلك هذه أقدار الدنيا، كلنا على هذا الطريق إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون يا ابنتي...

ثم تطلب من المعاونة أن يكون أسبوع الغياب كله إجازة لسميرة تقديرًا لشطارتها...

- ابنتي سميرة، عوضي هذا الأسبوع بجهودك، نريد المدرسة تطلع الأولى على المحافظة.

يودعها فلاح ويذهب إلى مدرسته ويستعين بصديقه سلام بتعويض ثلاثة أيام غياب وسميرة تستعين بصديقتها جانيت، وفِي المساء يلتقون فِي بيت فلاح...

- اسمعيني سميرة، سأطلبُ منكِ طلبين: الأول، أن نعوِّض ما فاتنا سويةً، والثاني، رجاء لي عندك أرجو أن لا تخجليني..

- ما عاش الذي يخجلك فلاح.

- تفضلي هذا واجب مني لكِ، إن شاء الله يعجبك.

يفتح الكيس وينفض الملابس السوداء في حجر سميرة...

- ما هذا فلاح؟ هذه ملابس غالية.

- سميرة لا تغلى عليكِ، لو أعرف أبيع عمري وأهديه لكِ.

تسكت سميرة وتنزل دمعات حارة فتكوي خدودها.

- فلاح، قميصك غسلته وكويته، ولكن أنا بحاجة له أضعه فوق وسادتي أشمُّ رائحتك فيه.

- خلاص هو الآخر هدية مني لكِ.

- ولكن يا فلاح أنا لا أستطيع الآن أن أشتري لكَ هدية غالية، أنت تعرف ظروفنا الصعبة، الله يعطي أباك فرَّجها علينا.

تمر الأيام مسرعة، ولكن فلاح وسميرة سيطرا على المواد وراجعا كل المواد أربع مرات وحلا كافة التمارين وأسئلة البكلوريا لاثنتي عشر سنة ماضية وكثير من الأسئلة الخارجية في الملازم التي يبيعها الأساتذة المشهورون في بغداد والموصل والبصرة. اقتربت إجازة الأربعين، بعدها بيوم ستبدأ الامتحانات العامة.

يطلب فلاح من سميرة التركيز في هذه الأربعين يومًا على مناهج الخامس الإعدادي لأن ثمانين بالمائة أو أكثر من الأسئلة منها، بالنظر إلى أسئلة البكلوريا للسنين السابقة...

- اليوم أمتحنكِ وتمتحنيني... ونرى...

سميرة تحل أسئلة فلاح الخمسة كلها صح وتأخذ درجات كاملة... وهو يحل كل أسئلتها ويأخذ درجة كاملة..

- إذا الموضوع موضوع شطاره فأنا أعلن الاستسلام لكَ يا فلاح من الآن وأرفع الراية البيضاء.
- خليكِ قوية سميرة، قلنا المطاولة مهمة.
- لا ، لا ... العين ما تعلا على الحاجب ، أنتَ تبقى أستاذي وأنا أبقى أتعلَّم منكَ دروس المدرسة ودروس الحياة، أنا ما عندي غير الله وأنتَ.

يستثمران عطلة الأربعين يوم التي تسبق امتحانات البكلوريا استثمارًا كاملاً، وخلال عشرين يوم تتم السيطرة الكاملة على المناهج الدراسية وإعادتها أكثر من مرة ، وتخصص ثلاثة أيام لإعادة مناهج الرابع إعدادي وثلاثة أيام لحل المزيد من التمارين في الفيزياء والكيمياء والرياضيات وثلاثة أيام للعربي وثلاثة أيام للإنكليزي ويومين للوراثة، فيبقى لديهم أسبوع كامل، أربعة أيام للمراجعة الأخيرة وأخر ثلاثة أيام استعدادًا لامتحان اللغة العربية.

سميرة حالتها النفسية جيدة وأمها مرتاحة في تسيير أمور البيت وكل شيء على ما يرام...
يقترح فلاح عليها فُسحة في شارع الكورنيش على شط العرب ولو لساعتين ثلاثة ، فتقول : موافقة مع أمي وأمك (اللي تقرصه الحية يخاف من جر الحبل) ونحن لا ينقصنا مشاكل والامتحانات العامة على الأبواب...

يخرجون في أُمسية جميلة للترويح عن النفس ، يشترون السمبوسة من مطعم بومباي الهندي، وتطلب سميرة من أمها أن تشتري لها قميصًا وتنورة من سوق المغائز سوداء اللون ، ولكن أم سميرة وأم فلاح يصران على اللون الأزرق الغامق، فتوافق سميرة ، يحاول فلاح دفع الفاتورة لكن سميرة تصر أن تدفعها أمها. يعودون فرحين إلى البيت ويتناولون العشاء معًا في بيت فلاح مع ساعتين من المذاكرة.

تبدأ الامتحانات... السبت لغة عربية، فلاح ينتظر سميرة، تأتي مبتهجة لأن إجاباتها ممتازة ، يتناقشان في الأسئلة ويتصافحان... وهكذا بقية أيام الامتحانات، إجاباتهم دقيقة وكلها صحيحة.

تنتهي أيام الامتحانات الثقيلة ، ويتمتعان بالعطلة الصيفية الطويلة ، ويقدران درجات الامتحانات، المهم معدلاتهما لا تقل عن التسعين بأي حال؛ إذا سارت الأمور كما يتمنون.

فلاح بعد راحة ثلاثة أيام ينتظم بالعمل مع أبيه في محل الكهربائيات... وبعد شهر تقريبًا تُعلن النتائج للصفوف المنتهية في الجريدة الرسمية، فلاح وسميرة ضمن أسماء الناجحين، لكن هذا لا يكفي بالنسبة لهما، يريدان أن يعرفا المعدل...

بعد أيام تصل النتائج للمدارس، معدل فلاح سبعة وتسعون بالمائة وترتيبه الأول على البصرة والثالث على العراق فرق بالمجموع درجة واحدة ، أمَّا سميرة فمعدلها ثلاثة وتسعون بالمائة وترتيبها الأولى على مدارس البصرة... يفرح الجميع، ويقيم أبو فلاح دعوة بهذه المناسبة لأهل سميرة.

فلاح يحاول إقناع سميرة بدخول كلية الطب في بغداد، لكنها تناقش معه الموضوع بهدوء وتقنعه بظروفها الصعبة وأنها لا تستطيع ترك أمها وإخوتها لوحدهم في البصرة، ولا تستطيع أخذهم معها إلى بغداد.

فلاح يُقبل في بعثة دراسية إلى لندن على نفقة وزارة النفط، ولكن تواجهه مشكلة الكفالة الكبيرة التي يجب أن تُؤيد من غرفة التجارة، فيتجه إلى بعثة أخرى على نفقة وزارة الدفاع في لندن أيضًا ، يُقبل بها بتفوق وبكفالة شخصية لدراسة هندسة الطيران التي يعشقها منذ الصغر.

تنتظم سميرة في دار معهد المعلمات في البصرة ، ويسافر فلاح إلى لندن للدراسة لمدة خمس سنوات ، فتحدث أحداث انقلاب ١٩٦٣م ومشاكل الحرس القومي... يخاف فلاح على سميرة لكن سميرة ذكية تُقبل في القسم الداخلي بجانب المعهد ولا تذهب لأهلها إلا بعد أن تستقر الأمور.

تسوء العلاقات بين لندن وبغداد ، فتنتقل البعثة بكامل طلابها بعد ثلاثة شهور إلى القاهرة وبنفس الاختصاصات...

يرتاح فلاح نفسيًا في القاهرة ؛ مجتمع عربي نفس العادات والتقاليد ويستطيع زيارة أهله مرتين في السنة على نفقة الدولة.

نقلة نوعية في حياة فلاح من البصرة إلى بغداد، ومن بغداد إلى لندن، ومنها للقاهرة، ينبهر بهذه المدن العظيمة التي كان يسمع عنها ولا يراها، يتمنى لو كانت سميرة معه ترى ما يرى حقيقة وليس من شاشات السينما أو المجلات والقصص والأخبار، الله العالم يتطور بسرعة فائقة، يكتب لها كل صغيرة وكبيرة ، ويصوِّر لها بعض المناظر والأماكن ، وهي ترسل الرسائل وعليها دموعها ، لكنها مرتاحة في دراستها السهلة وفي دوامها يوميًا أربع ساعات وتحضير دروسها لا يحتاج أكثر من ساعتين يوميًا ما عدا الخميس والجمعة ، حيث تذهب إلى أهلها في محلة الجمهورية وتزور بيت فلاح وتطمئن على صحتهم.

يستلم فلاح راتبًا جيدًا يزيد عن حاجته كثيراً، فهو يحتاج إلى رُبع هذا المبلغ فقط لأنه لا يتعاطى المشروبات الكحولية ولا يدخِّن ولا يذهب إلى المراقص وغيرها، فيخصِّص نسبة عالية من راتبه لأهله، وعشرين دينارًا لسميرة

يرسلها لها عن طريق صديقه سلام وبشكل سري لا يعلم به أحد.

سلام يسلم العشرين دينارًا إلى سميرة ويقول لها: كل رأس شهر لكِ مثلها من فلاح، تستغرب سميرة ذلك وتخبر أمها، والتي تأخذ العشرين دينارًا وتذهب إلى أم فلاح وتطلعها على الموضوع وتسلمها العشرين دينار:

- أم فلاح، أنتم خيركم مغطينا، وأبو فلاح ما قصر معنا، والحمد لله كل شيء تمام، وسميرة في القسم الداخلي والدولة تمنحها مخصصات، وبعد سنتين تتخرج، والحمد والشكر لله.

- شوفي أم سميرة، يبقى هذا سرٌّ بيننا، ولنتفق على توفير هذه الفلوس لزواج فلاح وسميرة عند تخرجهما، ونفرح بهما، وحتى لا نرهق أبا فلاح بتكاليف الزواج، يعني نستطيع توفير سبعمائة دينار في خمس سنوات ؛ وهذا مبلغ جيد يكفي ويزيد، وإذا تحتاجون أي مبلغ أرجوكِ أن تخبريني.

- أم فلاح، المبلغ الذي يعطيهِ لي أبو فلاح يزيد كل شهر منه من خمسة إلى سبعة دنانير، وأكلنا وشربنا ولبسنا جيد والحمد لله.

(٦)

في الكلية الفنية العسكرية بالقاهرة ؛ يتعرف فلاح على صديق مصري اسمه "سعد" أبوه عميد بالجامعة، من عائلة مصرية راقية، سعد يعرِّف فلاح على عائلته: أخوه سعيد وشقيقتاه نجلاء وهيفاء، وأمه ست طيبة مثقفة ذات صوت شجي وتجيد العزف على العود بكفاءة واقتدار.....

يوم الخميس، يذهب فلاح مع سعد إلى بيته، ويستقبله أبوه الأستاذ الجامعي بكل حُبٍّ وارتياح، ويعتبره واحدًا من أولاده، فهو يحب العراقيين وأصدقاء أولاده، ويقرِّبهم منه، وله علاقات وطيدة مع أساتذة ومسؤولين في دول الخليج العربي... وفي كل خميس تقريبًا تقيم أم سعد حفلة عائلية محدودة تعزف على آلة العود وتغنِّي أغاني أم كلثوم آلتي تجيدها إجادة تامة.

أصبحتْ هذه عائلة فلاح الجديدة، الذين يحبهم ويحبونه.

كذلك تعرف فلاح على صديق آخر في الكلية اسمه "أنس صبري"، يدعوه إلى بيتهم ليتعرف على عائلته المحترمة: أُمه السيدة "هدى" وأخوه فائق، وثلاث أخوات ؛ الكبيرة طبيبة متزوجة من طبيب، والثانية مهندسة معمارية ما زالت تدرس، والثالثة في كلية العلوم طالبة أيضًا... السيدة هدى إنسانة بمعنى الكلمة وست بيت من الدرجة الأولى، أرملة لمدير عام في هيئة السكك الحديد السابق، يحصلون على راتب تقاعد جيد، وابنتهم الطبيبة تساعدهم، وكذلك أنس. السيدة هدى تسعى للتقريب بين فلاح وابنتها "ندى" المهندسة المعمارية ؛ جميلة ذكية تعشق الحياة... تدعوه ليشرب معهم الشاي، يقبل الدعوة في خجل:

- فلاح ليه ما شربتش الشاي، عاوز ندى ما تتجوزش وألا إيه؟

- فلاح، ممكن اليوم تأخذ ندى للمسرح؟ أصل أنس مش فاضي.

- حاضر ست هدى.

في المساء يذهب فلاح وندى إلى المسرح، تحاول التقرب منه وملاطفته وبناء علاقة حب معه...

ندى جميلة بكل المقاييس، ومثقفة، وتملك شقة جميلة في مصر الجديدة هدية من والدها رحمه الله، ولديها سيارة خاصة، وتعمل في المساء والإجازات في مكتب هندسي مشهور يملكه أستاذها في كلية الهندسة المعمارية، يعني جاهزة من مجاميعه، حلال ومال وذكاء ومستقبل مضمون...

يستمتعان بمسرحية جميلة لـ"ثلاثي أضواء المسرح" على مسرح الريحاني وسط البلد، تضحك ندى في كثير من المشاهد وتقرِّب وجهها كثيراً من فلاح وتضع يدها خلف ظهره وتلاطفه، بطبعها تحب الفرفشة، بينما فلاح محرج، عاداته ومبادئه وحُبه لسميرة تمنعه من الاندفاع مع ندى ومجاملتها خارج الحدود، وبنفس الوقت هو شاب له أحاسيس ومشاعر تحاول ندى أن تحرِّكها...

- يا رب ساعدني، ليت التي بجانبي الآن سميرة، لكنتُ أسعد إنسان بالعالم.

تنتهي المسرحية، ويذهبان لتناول المرطبات في كازينو مشهور في القاهرة اسمه "أمريكانو"... يجلسان، وتقترب ندى من فلاح وأفخاذها مكشوفة لأنها تلبس المايكرو جيب، وصدرها مكشوف وزنداها، وفخذه يلامس فخذها،

وكتفه يلامس زندها، ويشعر بأنفاسها، وشعرها يهفف على وجهه بفضل المروحة الكبيرة في الكازينو، وعطرها المميز المثير للجنس، وهو صامد يحاول السيطرة على نفسهِ، ولكن ندى تمسك يده وتقول له:

- ما بكَ يا فلاح؟ يا أخي فرفش شوية، الدنيا حلوة للي يضحك لها، كده وإلا مش كده؟

فيردُّ عليها:

- كده يا ندى.

يختلس نظرات إلى صدرها المكشوف ويركِّز على نهديها البارزين ؛ ما عدا الحلمات، ويقارن بينهما وبين نهدي سميرة اللذين رآهما لثوانٍ معدودة، ولمسهما عندما زرَّ أزرار القميص في اليوم المشؤوم وفِي ذلك الموقف الحزين الصعب...

- والله نهدا سميرة يساويان ندى وأمها وأهلها وعشيرتها، نهدا ندى مكشوفان للجميع لولا السوتيان لقفزا خارج الثوب، الله أعلم قد يكون لندى علاقات سابقة، ما هذه الجرأة، ما أعرفه أن الرجل يعاكس المرأة وليس العكس.

في حقيقة الأمر فإنه يستلذ بقرب ندى منه، وبجمال تقاطيع جسمها وجمال ساقيها وفخذيها المفتولان وصدرها المكشوف الناهد وعنايتها الفائقة بشعرها ومكياجها، كل شيء فيها مرسوم بعناية فائقة وكأنها عروس في ليلة دخلتها... يستطلفها ويضع يده على فخذها فلا تمانع بل تضع يدها فوق يده وتقرِّب فمها كثيراً من فمه، فيعدِّل من جلسته خجلاً من الجالسين ويستعيد رباطة جأشه وينهض فتنهض ندى.

فِي الطريق إلى البيت ، وفِي التاكسي ؛ تقترب ندى كثيراً من فلاح ويلامس جسدها جسده، لكنه لا يشعر بنفس القشعريرة التي كان يشعر بها عندما تجلس بجانبه سميرة الخجولة العفيفة الطاهرة، هو فِي مصر وهي فِي العراق، وإحساسه بها يفوق كل إحساس. تصل ندى لبيتها، ويستأذن فلاح ويعود بنفس التاكسي دون أن يودِّع صديقه أنس ولا السيدة هدى.

يقيم فِي فندق مونتانا فِي وسط البلد يومي الخميس والجمعة، ويعود مساء الجمعة إلى القسم الداخلي فِي الكلية، يجلس فِي غرفته يكتب رسالة طويلة إلى سميرة يشكو بها لوعته وصعوبة الفراق وخوفهِ من المغريات، ويؤكد أنه على العهد مهما كانت المغريات...

لا ترتاح سميرة لهذه الرسالة ، وتتوجس من كلامه ، لا تعرف ما هذه المغريات... تنظر فِي مرآة الدولاب الطويلة وتسأل نفسها إن كانت جميلة بما يكفي، هل هي أنيقة، هل من الممكن أن يجد فلاح من هي أحسن منها، أكيد فِي مصر هناك كثير من الفتيات بجمال ولباقة فاتن حمامة وسهير رمزي ونجلاء فتحي وميرفت أمين وغيرهن كثيرات، فمن تكون هي لتنافس مثل هذه النساء المذهلات المتمرسات، وغدًا سيصبح فلاح يصبح ذَا شأن ولديه الكثير من الفلوس بدليل ما يرسله لها ولأهله... تؤنِّب نفسها على موافقتها على سفره، ولسنين طويلة، كان من الممكن أن يدخلا معهد المعلمين سويةً، ويتحملان سنتين ثم يتزوجان ويستقران وراتبها على راتبه يكفي وزيادة ، كان المفروض أن تفكر بحكمة وتروي، ولكن فلاح لديه طموح كبير ويحب أن يصبح شيئًا كبيراً... المشكلة أنها بين نارين: نار الفراق، ونار بناء مستقبل فلاح والتضحية فِي سبيله... تقنع نفسها أن مستقبل فلاح يستحق التضحية والصبر ، وأن عليها أن تعالج الأمر بالعقل ؛ كما قال لها فلاح ذات مرة : العقل بالصبر والصبر مفتاح الفرج.

اليوم الخميس، وأنس يؤكد على فلاح أنه ينتظره في بيتهم الساعة السابعة مساءً، فلاح محرج لكنه بحاجة إلى أصدقاء في غربته هذه، إذن لكي لا يخسر أنس ليذهب للدعوة...

يرحب الجميع بفلاح ، أنس يُعَرِّف كل المدعوين لعيد ميلاد أخته ندى بصديقه العراقي، لم ينسَ فلاح أن يجلب معه تورتة كبيرة مع باقة ورد... تستقبله ندى وتطبع على خده قُبلة خفيفة كذلك السيدة هدى تستقبله بالأحضان وتقبِّله خدًا على خد لتحافظ على مكياجها... تصدح الأغاني الجميلة ورقص البنات الجميلات، ثم مباراة في الرقص بين الشابات على أغاني أم كلثوم الجديدة، تفوز ندى بالجائزة كأحسن راقصة، بعدها تبدأ مباريات الرقص الزوجي شابات وشباب، كل فتاة تختار الشاب الذي تحب أن ترقص معه، ندى اختارت فلاح، همس في أذنها أنه لا يجيد الرقص، فتقول له: بسيطة أعلمك... تمسك بيده وتسحبه، تساعدها أمها فينهض مضطرًا، وتبدأ موسيقى راقصة سريعة لم يتعود عليها، لكنه يحاول، وتحرِّكه ندى...

يعود متعبًا إلى مقعده بجانب سيدة تجاوز عمرها الأربعين، إنها خالة ندى التي تسأل فلاح:

- ماعندكمش في العراق فعاليات زي كده؟

- لا والله عندنا مطاردات شعرية، يعني واحد يجيب بيت...

- يبقى إنتَ تجيب عمارة... طيب يا سي فلاح أنا أجيب بيت وإنتَ رَد عليه...

لم يعرف فلاح أن يَرِد على البيت الذي جاءت به، فقالت له:

- شوف إنتَ مش قادر تجيب شقة...

فضحك الجميع...

عرف أن هذه السيدة هي خالة ندى أستاذة اللغة العربية في كلية الآداب جامعة عين شمس...

فلاح المسكين في ورطة ؛ لا يجيد الرقص السريع، كما يخجل من الغناء بالرغم من صوته الشجي... كما لا يعرف بأي فعالية يشارك... يتدخل أنس لإنقاذه فيقول للجميع: هذا عبقري الكلية إنه أذكى طالب في الكلية، حياته كلها دراسة وجد... تأتي ندى لتجلس بجانب فلاح وتطيِّب خاطره: أنا أرقص مكان فلاح.

تدور الموسيقى الصاخبة، ندى ترقص رقصها السريع وتدور بسرعة فيرفع فستانها عاليًا كاشفًا عن المستور، ثم يقوم أحد الشباب الأقوياء يشاركها الرقص فيرفعها فوق كتفه وينزلها عدة مرات، وينقلب ثوبها على رأسها وتظهر ملابسها الداخلية أكثر من مرة، وفلاح مندهش مما يراه، إنه يرى أمورًا لم يتعود عليها ولَم يرها في حياته... تُرص أنواع المشروبات الكحولية على طاولة والأكل والتورتات على طاولة أخرى، تصبُّ ندى قدحين من الشمبانيا واحدًا لها والثاني تقدِّمه إلى فلاح، تشرب قدحها بينما يركن هو قدحه بجانبه.

يلاحظ مدى العلاقات الحميمة بين الشباب والشابات وهو متسمر بالكرسي، تبدأ بعدها الألعاب ومعظمها جميلة، تستمر الحفلة، وفي تمام الساعة الحادية عشر يستأذن ويغادر، فتتبعه ندى إلى الممر وتطبع قبلة على فمه فيستذوق طعم أحمر الشفاه لأول مرة، يمسح فمه بمنديل ورقي ويخرج وهو ما بين الحلم والحقيقة.

يعود للفندق في حالة ذهول لحياة لم يتعوّدها، ويفكِّر بجرأة ندى وبكسرها لكثير من الحواجز الاجتماعية التي تربَّى عليها، ولا يدري إن كان يجاري الأمور ليندمج في المجتمع الجديد، أم ينعزل ويتقوقع... من ناحيةٍ أخرى فإن بيت سعد متمسكون بالعادات والتقاليد، وهذا يعني أن ليس كل الناس تشبه بعضها، وعليه أن يعاشر أُناسًا مثل أهل سعد قريبين للتقاليد التي تربَّى عليها و حتى ولو قال عنه بيت ندى بأنه متخلف، فهو لا يستطيع مجاراة ندى في عاداتها وتهورها رغم جمالها وذكائها وطيبة أهلها وحبهم له.

يجلس في صالة الفندق الصغيرة نوعًا ما، يفكِّر ويقلِّب الأمور. يلاحظ فتاة سمراء في ركن الصالة تقرأ كتابًا كبيرًا بالإنكليزية فيدرك من غلافه أنه كتاب طبي، كم تمنى أن يصبح طبيبًا، ولكن إغراءات البعثة الدراسية ضيعت عليه دراسة الطب. يقترب من الفتاة ويسلِّم عليها، فتردُّ عليه بلهجة سودانية:

- حضرتك تدرسين الطب؟

- نعم في السنة الأولى بكلية طب جامعة عين شمس، وأقيم في هذا الفندق العائلي الذي تملكه عائلة بورسعيدية، ولمعلوماتك فإن غرفتي بجانب غرفتك، وعرفتُ أنك مزكى من عميد الجامعة ولهذا سمحوا لك بالسكن في هذا الفندق العائلي.

- كأنكِ لست طالبة طب وإنما عميلة مخابرات.

تضحك الفتاة فتكشف عن أسنان بيضاء كأنها حبات لؤلؤ بحريني أصلي، تقترب من فلاح بأدب جَم وأخلاق عالية:

- في الحقيقة بعد غدٍ السبت عندي امتحان ومازلتُ لا أفهم كثيرًا من المصطلحات الطبية، ولهذا قراءتي وفهمي بطيئان نوعًا ما... أحس أني بحاجة إلى مساعدة.

- الاسم الكريم؟
- اسمي سُهى
- وأنا فلاح من العراق، أدرس هندسة الطيران.
- أهلاً وسهلاً.
- أهلاً بكِ... الآن الوقت متأخر، غدًا سأعيرك قاموسًا وأحاول مساعدتك في استخدامه ليعينك على فهم المصطلحات الطبية، في الحقيقة أنا جيد جدًا باستخدام القاموس وكذلك إنكليزيتي جيدة، تصبحين على خير.

في الصباح يلتقيان في المطعم لتناول الإفطار ويتجاذبان أطراف الحديث، ثم يعودان سويًا إلى الصالة، تأتي سهى بكتاب علم التشريح ويأتي هو بالقاموس العصري، وتبدأ المحاضرة الأولى.

- أنتَ يا فلاح تسهِّل عليَّ المواضيع أنا أشكرك.

يستمر مع سهى لغاية فترة الغداء، وهي سعيدة جدًا بهذه المعرفة الطيبة.
رغم سمارها لكنها فتاة جميلة أنيقة خجولة محتشمة، شعرها أسود فاحم، حلوة المنطق والحديث، يبدو عليها من ملابسها وصحتها أنها بنت نعمة وخير، ومن أدبها وحشمتها أنها بنت ناس محترمين.

يعود إلى غرفته، وبعد ساعة يخبرونه في الاستعلامات أن لديه زيارة، فيذهب ليجد ندى جالسة في الصالة، يستغرب الأمر ولكنها تبادره بالسلام:

- أنا امبارح كنت قلقة عليك، اعتقدت أنك خرجت زعلان، وماما أنَّبتني، فجيت النهاردة أعتذر لكَ.
- لا والله، لا زعلان ولا حاجة.

- طيب النهاردة عازماك على مسرحية "سيدتي الجميلة" تمثيل فؤاد المهندس وشويكار، قطعت تذكرتين وأرجو أن لا تكسفني.

- طيب ارتاحي بالصالة، أحتاج رُبع ساعة لتبديل ملابسي.

على وجه السرعة يلبس بدلته الزرقاء الجديدة وربطة عنق جميلة... يطرق باب غرفة سهى طرقًا خفيفًا ، فتفتح الباب قليلاً وهي بملابس النوم مكشوفة الصدر والساقين، يتسمَّر في مكانه

- ماذا فلاح؟!...

يتلعثم ويركِّز على نهدين ما خلق الله مثلهما ، تكاد تنفجر حلماتاها مشرئبتين تريدان الانطلاق ، فيغض الطرف حياءً ، فتقع عيناه على ساقيها المكتنزتين ولونهما الأسمر اللماع.

- سُهى، أنا مضطر للخروج، نكمل في الليل.

سهى واقفة وهو في حالة ذهول لثوانٍ، يستفيق من الحلم الجميل ، وعلى مضض يتحرك إلى ندى فيجدها واقفة تنتظر على نار.

- ندى أنا آسف لا أستطيع الذهاب إلى المسرحية لأن عندي اليوم مذاكرة، فلنؤجلها للأسبوع القادم، والآن لنذهب إلى مسرح "تحية كاريوكا" حيث تُعرض المسرحية لتأجيل التذاكر.

تبتأس ندى:

- على راحتك.

يذهبان إلى كازينو الكورنيش على النيل في الزمالك ، يجلسان على ضفاف النهر الخالد...

- فلاح أنا أحبك، وأرغب بالزواج منكَ، وأتمنى السفر معكَ إلى العراق لأعيش معكَ، في بلدكَ فُرص العمل كثيرة والرواتب مجزية، ونحن كعائلة نفكِّر في العيش في العراق لأن الحياة هناك أفضل.

- ماذا تقصدين يا ندى بحياة أفضل؟

- أقصد حياة معيشية أفضل.

- ندى ، أنا من عائلة بسيطة ونسكن في حي شعبي بسيط ، ونملك دارًا متواضعةً مساحتها مائة متر ، ودكانًا لبيع الكهربائيات يديره أبي ، نحن عائلة كبيرة ، ولا أستطيع أن أُهيِّئ لكِ ظروف الحياة التي تريدونها ، وهناك العادات والتقاليد العراقية الريفية التي مازال العراقيون متمسكين بها كأساس لحياتهم وعلاقاتهم.

- أكيد يا فلاح عندما نعمل وتكون لنا رواتب عالية نستطيع أن نطوِّر الأمور ونسكن في حي راقي ونملك بيتًا واسعًا جميلاً.

- هذه أحلام يا ندى، تحتاج سنواتٍ لتحقيقها... ثم أن هناك أمر آخر مهم في حياتي.

- ما هو؟

يتوقف عن الكلام ويدخل في دوامة من التفكير ، فينتبه عندما تهز ندى كتفيه وتضغط على يده اليمنى بقوة...

- أفكِّر بعائلتي التي أحلم بتطويرها.

- وما المانع أن نطوِّرها معًا؟

- والله لا أعلم يا ندى، أنا في بداية الطريق، وقد احتدمت الأمور وتشابكت أمامي، ولا أعرف أن كان بإمكاني الصمود، أم لا؟ الله أعلم، ولكن لا

يمكن أن أضحي بمستقبلي... وثمة شيء آخر أهم من ذلك...
- ما هو يا فلاح؟، ها...
- قلتُ لكِ عائلتي...
يسكت قليلاً، ثم يكمل:
- ندى، يجب أن أعود الساعة الثامنة، عندي مذاكرة أرجوك.

يتمشيان في ميدان العتبة، فتلاحظ ندى محلاً لبيع الأحذية، فتسحب فلاح داخل المحل وتختار حذاءً جميلاً، وتطلب من فلاح أن يساعدها في لبسهِ... يتردد، ولكنه مضطر... يجلس بجانبها، ثم يجلس أمامها القرفصاء ليلبسها الحذاء، فترفع ساقها عاليًا لتكشف عن كامل فخذها وملابسها الداخلية بيضاء اللون الصغيرة جدًا، يتصبب العرق منه وهو يساعدها بلبس الحذاء، ولأول مرة في حياته يشاهد المنطقة الحساسة لفتاة ناضجة بهذا الجمال، ترتعش يداه ويتلكأ في وضع الحذاء كما يجب...

- ما بكَ فلاح، ماذا جرى؟ والله أنتَ لا تجيد عمل شيء مفيد، هات الحذاء...

بيدٍّ مرتجفةٍ والعرقُ يغطِّي عيونه ناولها الحذاء ونهض، ناولته منديلاً أبيض ليجفِّف عرق وجهه:
- احتفظ بالمنديل ذكرى مني

يذهب للكاشير لدفع الفاتورة، تتدافع معه ندى وتلتصق به، فيصرٌّ على دفع الثمن، ويقول:
- هذه هدية عيد ميلادك.

يؤجر لها تاكسيًا، ويدفع أجره، ويسلِّم عليها.

يتنفس الصعداء ويعيد مسح العرق مرة أخرى وثالثة، ثم يعود للفندق إلى غرفته مباشرةً، ويدخل الحمام فيأخذ حمامًا سريعًا ويرتدي ملابس خفيفة ويسحب نفسًا عميقًا، ثم يذهب إلى الصالة ليجد سهى في انتظاره، يجلس أمامها على الطاولة والارتباك بادٍ عليه، يشمُّ عطرًا مميزًا، فيسألها عن نوعه...

- إنه المسك والعنبر المشهورة به السودان.

يلاحظ رسمًا جميلاً على يديها...

- وما هذه الرسومات؟

- إنها تُرسم بالحناء السودانية من قبل امرأة سودانية تعيش في مصر وتعمل في السفارة السودانية في القاهرة، جاءت هنا للفندق قبل ساعتين وعملت لي هذه الرسومات، هل أعجبتك؟

- ولكنكِ ما زلتِ طالبة.

- إنها عاداتنا.

- هل هي مكلِّفة؟

- نعم مكلفة.

- ولكنكِ طالبة.

- نعم، ولكن أبي وزير ورئيس عشيرتنا، ولدينا من الأملاك والمزارع والتجارة الشيء الكثير... أنا أستطيع مساعدتك ماديًا يا فلاح، أنتَ إنسان طيب وتستاهل كل خير، وقد كتبت عنكَ لأبي البارحة في الليل، أنا لا أخبئ شيئًا عن أمي وأبي، هكذا ربياني وهما يثقان بي وإلا ما سمحا لي بالدراسة بعيدًا

عنهما وعلى حسابهما الخاص، لديَّ حساب مفتوح في المصرف الأهلي أستطيع أن أسحب منه ما أريد من النقود ، وأبي يحبني كثيراً ويثق بي ثقة مطلقة.فأنا ابنته الكبيرة ، لذا ينادونه "أبو سهى" وهو يعتز كثيراً بهذا الاسم.

- لنبدأ يا سهى، الوقت يداهمنا، وأنتِ عندك غدًا امتحان، لنكمل المنهج.

- حاضر... حاضر فلاح ، كأنك أبي ؛ جِدّي في كل شيء ، يا أخي ساعة لكَ وساعة لربك هكذا يقول المثل المصري.

- نحن نتعلم ولا نصلِّي يا سهى، افتحي كتابك.

يواصلان الدراسة لغاية منتصف الليل مع الشاي والقهوة...

- تصبحين على خير، يجب أن تنامي لتحافظي غدًا على نشاطك وحيويتك.

••••

فلاح في فراشة يفكِّر تارةً في نفسِه ومستقبله ودراستهِ وتفوقه ، وتارة في سميرة المسكينة، وتارةً في المغريات التي وضع نفسه بها وكيف يتخلص منها، المسألة بسيطة: يغيِّر الفندق فيتخلص من سهى، ويختلق مشكلة مع صديقه أنس فيتخلص من ندى وتعود الأمور إلى بداياتها ، ولكن أين يقضي الوقت وخاصةً في الخميس والجمعة، لابد أن يكون له أصدقاء، ولابد أن يكون لديه علاقات ليمضي الوقت ويتغلب على الغربة القاتلة ، ولكن هذا يبعده بعض الشيء عن التفكير بحبيبته سميرة وربما تزداد عليه المغريات فتقهره وتغيِّر مساره وتضعف حبه وإخلاصه لسميرة ، فيحنث بعهده لها أمام الله وضميره...

- لا ، لا... مستحيل ، سميرة كل حياتي وكل مستقبلي ، سأكتب إليها عن كل صغيرة وكبيرة ولن أخفي عنها شيئًا البتة.

لكنه يخشى إن فعل ذلك أن يسبب لها القلق ويدمِّر حياتها ويسلب راحتها ويزرع الشك في داخلها...

- لا ، لا ، وألف لا... فلاح هل جننت !؟ استهدي بالله ، إنها حالات مؤقته يمكن السيطرة عليها ، حقيقة ندى لاتنفعني إنها جريئة وتبحث عن مصالحها وأنا لااشعر بأي عاطفة صادقة نحوها ولكنها نزوة شباب ، الظاهر أنا بحاجة للجنس الآخر وندى عندها هذا الاستعداد لغرض اللهو وقضاء الوقت، ولكن هل تسمح لكَ أخلاقك يا فلاح، سهى تقول ساعة لكَ وساعة لربك.

(٧)

في السابعة صباحًا يحزم فلاح حقيبته سريعًا ويسلِّمها للأمانات ويحجز يومي الخميس والجمعة للأسبوع القادم... ثم يستقل سيارة أُجرة إلى الكلية...

ستة أيام دوام ومذاكرة ، أصبح يفكِّر في سميرة وندى وسهى لكنه يشعر بسعادة غامرة ودفء وحنين مع ذكرى سميرة التي لا تفارق خياله ولو للحظة واحدة، حتى لو كان مع ندى ومغرياتها هو تفكيره مشغول بسميرة.

صديقه سعد يلتقي به في وجبة الغداء في المطعم:

- كيف حالك يا فلاح؟
- بخير يا سعد.
- هل تأتي لنا هذا الأسبوع؟ الأهل كلهم مشتاقون لرؤيتك وخاصةً ماما.
- عندما يكون عندي مجال سأزوركم حتمًا، أرجوك دعني على راحتي، فأنتم والله أهلي الذين أحبهم وأشتاق إليهم.
- طيب كما تحب.

يوم الخميس يصل الفندق في الساعة الثالثة مساءً، يستحم، ثم يستلقي على فراشة...يُطرق الباب طرقًا خفيفًا...

- أهلاً سُهى.
- ممكن أدخل؟
- تفضلي...
- هذه ثمرات مانجو وفراولة وفول سوداني بعثوها لي أهلي ويسلمون عليك ويشكرونك على جهدك معي... هل نطلب الشاي في غرفتكَ؟

- نذهب إلى الصالة أفضل. على فكرة، كيف حالك في الامتحان؟

- لا بأس ، ليس جيدًا جدًا، ولكني أنجح والحمد لله... فلاح، هل يمكنك مرافقتي لزيارة الحسين غدًا صباحًا؟

- نعم، يسعدني.

- اتفقنا، اليوم سأحضّر دروسي، خذ راحتك أنتَ مع أصدقائك.

يفكّر فلاح بزيارة بيت سعد ، يشتري باقة ورد جميلة ويستقل تاكسي ويذهب إلى بيت سعد في المنيل، شقتهم تشرف على نهر النيل، يطرق الباب، تفتح أم سعد وترحب به بالأحضان:

- أهلاً ابني فلاح كلنا شوق إليك... تفضل يا ولدي ادخل، يا سعد هذا أخوك فلاح.

يأتي سعد مهرولاً:

- يا أهلاً وسهلاً بالغالي، هل تغديت؟

- الحمد لله.

- تشرب عصير أم شاي؟

- عصير جوافة.

- حاضر.

يسلّم على الجميع : نجلاء وهيفاء وسعيد ، وبعد دقائق يطل أبو سعد بأحسن الترحيب والسلام:

- إزيك يا فلاح.

- كويس يا دكتور.

- ماشي بالدروس؟

- الحمد لله.
- مش كفاية، خليك ماشي في الدراسة عال العال، وأي مساعدة أنا زي ابوك، أنتَ مثل سعد وسعيد عندي.
- شكرًا يا دكتور، الله يبارك فيك ويعطيك الصحة والعافية.

يبدأ برنامج أم سعد بالغناء، والكورال بناتها وأولادها وينضم لهم فلاح، لكن الدكتور بيدهِ كتاب باللغة الإنكليزية يقرأ به بتركيز واضح، يقول سعد لفلاح: لا تستغرب، أبي لا يحب أن يضيع شيئًا من وقته.

تبدأ أم سعد تدندن بآلة العود وتشدو بأغنية أم كلثوم "بعيد عنك حياتي عذاب"، يندمج فلاح مع الأغنية ويرددها مع أم سعد...
- أهو فلاح صوتك جميل... ساعدني يا ابني.

تقف نجلاء وهيفاء على جانبي فلاح يشجعانه ويرددان معه ، وأم سعد تدندن لهم بالعود ، فيرفع الدكتور عينيه من كتابه ليستمع لهذا الصوت الجديد القادم من العراق:
- تسلم، تسلم فلاح، والله أنت صوتك حلو وتعرف تغني على النوتة.

يتأثر بالأغنية لأنه يعيش معاناتها وذكريات حبيبة القلب سميرة فيبدع في الأغنية لأنها خارجة بصدق من القلب، وهو يحس بكل حرف منها.

يتناولون عشاءً خفيفًا عبارة عن ساندويتشات جبنة وسجق ، ويتناولون المرطبات... ثم يستأذن، فتشكره أم سعد على باقة الورد:

- كلك ذوق، أنا أحب الورد.

في الحقيقة لم يشبع فلاح بما فيه الكفاية، فأهل بيت سعد أكلهم يشبه أكل

الطائرة ولكنه لذيذ، كان بودّه لو تناول ساندويتشة ثالثة ولكنه استحى... ينزل قرب الفندق ويلاحظ مطعم سفري فيشتري ثلاثة ساندويتشات، ثم يصعد إلى الفندق، فيجد سهى جالسة في الصالة تتفرج على فيلم غرامي جميل تمثيل فاتن حمامة وعمر الشريف، يجلس قُربها ويفتح كيس السندويتشات:

- سهى اثنتان لكِ وواحدة لي.
- اشمعنى؟
- لأني أكلت عند بيت سعد أصدقائي.

يأكلان معًا السندويتش

- هذا السندويتش من المطعم الذي على الناصية مقابل الفندق.
- صحيح، ولكن كيف عرفتِ؟
- لأني دائمًا عندما أجوع اشتري منه، نظيف وسندويتشاته طيبة.
- غدًا عندكِ دراسة، إذا أحببتِ أن نذهب في الصباح لزيارة السيدة زينب وفي المساء مذاكرة، اتفقنا؟

ينسجمان مع الفيلم الغرامي، وهي تطلق بعض الآهات عند مواقف غرامية بالفيلم... يسألها فلاح:

- ما بكِ تتأوهين؟
- لا شيء، مندمجة مع أحداث الفيلم، أنا أحب أفلام فاتن وعمر الشريف وقصص إحسان عبد القدوس، إحسان جريء بتصوير بعض المواقف الغرامية.
- ليس هو فقط الجريء، كذلك المخرج صلاح أبو سيف وندى...
- من تكون ندى؟

- أنا قلت ندى؟!

- نعم، قلت.

- لا، هذه ممثلة جديدة سمعت بها.

- ولكني لم أسمع بها يا فلاح.

- سهى، تصبحين على خير، أنا نعسان... مع السلامة.

ينسحبان كلٌّ إلى غرفته...

يكتب رسالة طويلة إلى سميرة يشكو لها غربته وحنينه لها ولأهله ويشرح لها سهرته مع بيت سعد وكيف غنَّى مع أم سعد أغنية "بعيد عنك" وأعجبت بها نجلاء وهيفاء، ولكنه لم يذكر سيرة ندى وسهى...
يغلبه النعاس فينام بعد أن أكمل الرسالة.

صباح الجمعة بعد الإفطار يذهب فلاح وسهى إلى السيدة زينب وهناك يجدان داخل الحرم مجموعة كبيرة من النساء والرجال يشتركون مع الدراويش: الله حي، الله حي، الله حي... على دق الدفوف والكل يهزون رؤوسهم ويميلون بأجسامهم ويدورون في ساحة الصحن... تنسجم سهى وتنسى نفسها فتهز رأسها وتتمايل ويشتد تمايلها وتدور مع الدراويش وتمسك بقوة يَدْ فلاح وتسحبه معها، فيدور مع الدائرين وكأنها رقصة الهيوا البصراوية، أو كما يفعل الدراويش في شمال العراق وغربه... يهدأ قرع الطبول وتهدأ سهى، لكنها ترمي نفسها بأحضان فلاح وتسقط على الأرض المفروشة وهي تتنفس بسرعة وقلبها تُسمع خفقاته بقوة، فلاح يدلك وجه سهى ويديها ويخاف عليها ويغطي أفخاذها التي تكشفت، ويذهب مسرعًا لجلب قدح من الماء فيرش على وجهها ولكنها تدخل فيما يشبه الغيبوبة،

يحملها في ركن من أركان المسجد ويضطر لتدليك صدرها ويتجاسر فيمد يده ويرفع السوتيان قليلاً ويفرك نهديها الحالمين المكتنزين، فتفتح عينيها نصف فتحة وتعود لغلقها متعمدة، فيعاود الكرة مرة أخرى ويشعر بلذة وارتياح وتهيج، فيطبطب على خدودها ثانيةً وثالثةً ويرش عليها الماء فتصحو وعلى فمها ابتسامة ونظراتها غريبة إلى فلاح... يبادرها الكلام:

- أنا آسف يا سهى، أرجو المعذرة، خفت عليكِ.

- خير ما فعلت، هذه الدروشة عندنا في السودان أقوى وأوسع ونحن في البيت بين الحين والآخر وفِي المناسبات الدينية نقوم بمثل هذه الفعاليات ومن شدة الانسجام تحصل غيبوبة مؤقتة، ولكنها أحلام جميلة.

••••

في الساعة الرابعة دقٌّ خفيف على باب غرفته، فيتوقع أنها سهى فيقول لها وهو في فراشه: انتظريني في الصالة.

خلال رُبع ساعة ينزل إلى الصالة بجانب سهى التي تطلب لهما الشاي وقليلاً من الحلويات:

- أبشركَ أن أبي وأهلي سيأتون لزيارتنا في إجازة نصف السنة قبل أن تبدأ بثلاثة أيام.

- خبر جميل، أكيد أنتِ سعيدة ومرتاحة وفرصة لأتعرف بأهلكِ، أنا أسمع أن الشعب السوداني طيب وكريم ومتدين.

- يعني ضروري تزور السودان وتطلع بنفسكَ على الحقيقة، انت عشتَ في العراق والآن في مصر، وغدًا تزور السودان وتستطيع أن تقارن بموضوعية.

ينظر إلى صدرها الناهد، فتنظر معه وتبتسم...

- أكرِّر اعتذاري كنت مضطرًا لأني خفت عليكِ صدقيني.
- والله مصدقاك ، وأنا واثقة منكَ ، أرجوك انسى الموضوع ولا تعقِّد علينا الأمور.

في السابعة تنتهي المذاكرة...

- فلاح لا تترك حقيبتك في الأمانات، اتركها عندي في الغرفة وأنا أحجز لكَ كل خميس وجمعة هذه الغرفة.
- أنا متفق مع أصحاب الفندق، فلا تشغلي بالك، أمَّا موضوع الحقيبة فهذا ممكن وأنتِ تسهلين عليَّ الأمور.
- اتفقنا، ما رأيكَ أن نذهب إلى السينما طالما ليس عندنا مذاكرة؟
- طيب، لكن على حسابي.
- لا، أنا سبقتك بتوجيه الدعوة.
- أنتِ ما زلتِ طالبة.
- وأنتَ أيضا طالب.
- صحيح، لكن عندي راتب من الدولة يكفيني ويزيد.
- أنتَ لا تعرف إمكانات أبي، عندنا في السودان أملاك لا يمكن عدها، وأراض زراعية لا يمكن ذرعها، ومن الأنعام الشيء الكثير، ومن الخدم والحشم، أبي أستاذ في القانون الدولي ووزير الشؤون الاجتماعية حاليًا، وكان وزيرًا للعدل ووزيرًا للخارجية، ولكنه يحب التأليف والمجالس الثقافية وإدارة شؤون تجارتهِ وأملاكهِ وأراضيهِ الزراعية وأمور عشيرتهِ الكبيرة الواسعة الانتشار في أم درمان والخرطوم خاصةً.

- الله يزيد ويبارك فيكم وفِي خيراتكم.

- شكرًا فلاح، الله يبارك فيك ويسعدك ويحقق أمانيك.

يذهبان إلى السينما ، ويشاهدان فيلم "الطيور" للمخرج المشهور "هيتشكوك"... يبدأ العرض وتتوالى الأحداث، ترتعد سهى من بعض المشاهد من شدة الخوف لتحتمي بفلاح، تحتضنه تارةً، وتارةً أخرى تدس رأسها في صدره وتغطي وجهها بسُترته، وتارةً ثالثة تضغط وجهها على وجهه وهو يداريها ويضع يده حول خصرها، وفِي لحظة رعب قوية تطبق عليه بقوة وتقبِّله بعنف، فيمسك صدرها ولكن دون أن يدفعها فقد دخل في ما يشبه الحلم الجميل الرائع، يرتاح قليلاً ويأخذها من يدها ويخرجان من صالة السينما...

- ماذا فعلتِ؟ لقد فضحتِنا بصراخك.

- لم أتحمل المشاهد، سامحني أن كنت سببت لكَ أي إحراج.

- يجب أن نتحكم بعواطفنا.

- فلنجلس على النيل ولو لساعة.

- ممكن نتمشى لغاية الكازينو.

- هناك عوامة جميلة اسمها كازينو "الشاطئ"، لنذهب إليها.

- ماذا تطلبين؟

- عصير ليمون، وأنتَ؟

- عصير مانجو... لا، لا... عصير جوافة، لأن هذه الفاكهة لا توجد بالعراق، لكن المانجو موجودة في مدينتنا البصرة.

يصمتان قليلاً، ثم تسأله:

- لسه زعلان مني؟

- لا والله، مش زعلان.

- ولا أخذت عني فكرة مش كويسة في السيدة زينب واليوم؟

- لا أبدًا، أنتِ فتاة طيبة وعاقلة ومؤدبة، وتمرّين بفترة مراهقة صعبة، أقدِّرها، ولكن لأني أحترمكِ وأخاف عليكِ؛ ضروري تتحكمين بمشاعركِ وشهواتكِ.

- هل تُسمِّي الحب شهوة؟!!

- لا، لا... لا أقصد هذا المعنى، إنها زلة لسان، سامحيني.

- اسمعني جيدًا فلاح، أنا أحبك، وقد كتبت لأبي وأمي بذلك، ولهذا هما قادمان لزيارتنا، لقد كان المخطط له أن يأتيا في العطلة الكبيرة، لكن قدما زيارتهما... لا أريد ردًا منك الآن، خُذْ وقتك، ونلتقي الأسبوع القادم، مع السلامة، وتصبح على خير، أنا خجلانة منك، أرجو المعذرة.

- لا، لا... اجلسي، لدينا وقت كافي... أرجوكِ اجلسي... أنا أحترمكِ وأشعر أن من واجبي الأخلاقي أن أحافظ عليكِ لأنكِ بنت ناس ومستقبلك أمامك، وأنا أساعدك في الدراسة، كما أني في الحقيقة أرتاح نفسيًا معكَ، وبعد أن حدثتِني عن وضعكِ الاجتماعي والاقتصادي، عليك أن تعلمي أني من عائلة بسيطة جدًا ونعيش في منطقة شعبية ورزقنا يعتمد على دكان صغير لبيع الأدوات الكهربائية يديره أبي وأخي الأصغر مني، وبيتنا صحيح ملكنا ولكن مساحته مائة متر فقط، أملي في الحياة أن أطوِّر إمكانات أهلي، وثمة أمر آخر لا تعرفينه.......

ولكنه استدرك، فلو صرَّح لها بأمر حبه لسميرة فربما سيفقدها للأبد، وهو محتاج لها في غربته...

- ما هو الأمر الآخر يا فلاح؟

- عائلة بيت عمي الذي توفى ، نحن نساعدهم ومسؤولون عنهم وعن عيشتهم... كما ترين مسؤولياتي كبيرة ، وأنا مازلت طالبًا في السنة الأولى من الكلية.

- تعجبني صراحتك ، أنا أحببتكَ أكثر الآن لهذه الصراحة وهذه الأخلاق العالية ، نحن لدينا من الخير الشيء الكثير وأكيد أبي سيقف معك ويساعدك، ثم لا تنسى أنك ستكون مهندسًا مهمًا وأنا طبيبة، كل هذا في صالحنا.

- أرجوكِ لا تسبقي الأحداث.

• • • •

تبدأ امتحانات نصف السنة ، لا ينزل فلاح الخميس والجمعة إلى الفندق ، وسهى تنتظره طويلاً في الصالة وقد حجزت له الغرفة، لكنه لم يأتِ، يساورها القلق، تعود إلى غرفتها لتذاكر دروسها بعد أن يئست من عودته هذا اليوم، على أمل مجيئه في الغد.

ندى تعلم بعدم نزوله هذا الأسبوع بسبب الامتحانات، فقد سمعت أخاها يخبر أمها ببقائهم في القسم الداخلي للكلية للمذاكرة قبل بدء الامتحانات.

في اليوم الذي تنتهي فيه الامتحانات، يصل أهل سهى إلى القاهرة ويقيمون في جناح بنفس الفندق، وتحتفظ سهى بغرفتها.

يوم الخميس يأتي فلاح متعبًا من الامتحانات وسهر الليالي ، فيجد سهى وأهلها جالسين في الصالة، يسلم عليهم بعد أن تعرِّفه على أبيها وأمها وأخيها وأختها:

- هذه عائلتنا كلها يا فلاح.

يستأذن دقائق، يأخذ المفتاح من الاستقبال ويذهب إلى غرفته، يأخذ حمامًا سريعًا ، ويرتدي أجمل ملابسه ، ويعود للصالة... تُفسح له سهى المكان ليجلس بجوار أبيها... يُعجب كثيراً بأبيها : شخصيته ، منطقه ، معلوماته ، أسلوبه بالحديث، حنانه، احترامهُ لبنتهِ.

يهدونه الهدايا ردًا للجميل، وتقديرًا لجهده واهتمامه بابنتهم.

ينجح فلاح في كافة المواد ، وكذلك سهى ، فيقرر أبوها دعوة الجميع لحفلة عائلية في أحد المطاعم الراقية..... أثناء تناول العشاء يعرض أبوها عليه زيارتهم في السودان ، فيعتذر متعللاً باشتياقه لأهله ، لكن في الحقيقة فِي داخله شوق عظيم إلى سميرة رغم كل هذه المغريات والعلاقات...فيرد أبو سهى:

- حقك يا ولدي، لكن في العيد القادم سأحجز لكم تذاكر أنتَ وسهى لتقضيا عطلة العيد معنا في الخرطوم.
- نعم عمي، إن شاء الله.

••••

فلاح يستعين بسهى لشراء هدايا لأهله وسميرة ، تستغرب عندما ترى اهتمامه بمقاسها وكثرة الهدايا على هذا المقاس، فتسأله:

- لمن كل هذه الهدايا؟
- إنها لأختي.
- هل تسمح لي أن أشتري لها هدية؟
- هذه تكفي.

- أرجوك...

تشتري لها "كوستم" جميل من محل راقي على مقاسها... وهو في حيرة من أمره هل يأخذه أم لا ، فقد كذب عليها حين أخبرها أن سميرة أخته ، وسيضطر للكذب على سميرة حينما يسلمها هذا الكوستم الغالي الجميل ، لكنه يقنع نَفسَه بأنه كذب أبيض لا يضر أحدًا، وهذا المهم... تذكر كلام أبيه: ابني، إن الكذب من الكبائر والذي يكذب يقدر أن يسرق ويزني لأنها حلقات مترابطة، مثل الماء والضوء والحياة أيضًا حلقات مترابطة، مع الفارق الكبير.

يحجز فلاح على الخطوط الجوية العراقية، طائرته تقلع صباح السبت في تمام الثانية عشر ظهرًا وتصل بغداد الساعة الثالثة، إذن لديه وقت كافي ليسافر بقطار السابعة مساءً إلى البصرة.

يذهب الجميع يوم الجمعة إلى الأهرامات بسيارة حديثة فارهة تتسع لسبعة أشخاص أرسلتها لهم السفارة السودانية تقديرًا لسعادة الوزير، ثم يتوجهون مباشرةً إلى حديقة الحيوانات ويتناولون المرطبات والشاي في جزيرة الشاي الجميلة قرب جبلاية القرود... وعند الساعة الثالثة يذهبون لتناول الغداء في مطعم أسماك النيل المشهور في باب اللوق بوسط القاهرة، بعدها يعودون للفندق.

أبو سهى يعلم صاحب الفندق أن حساب سهى وفلاح مدفوع بالكامل شاملاً أجر الفندق و الطعام وأي شيء يحتاجونه...

- تؤمر سعادة الوزير.

- هذا مبلغ تحت الحساب.

يحزم فلاح حقائبه الثلاث، واحدة كبيرة وواحدة وسط والثالثة صغيرة يدوية ، تضحك سهى...

- لماذا تضحكين؟
- لأن لك َ يدان وثلاث حقائب.
- الصغيرة على كتفي، ارتحتِ؟... حقكِ طبيبة، لو كنتِ مهندسة لما سألتِ هذا السؤال.
- يعني قصدك الأطباء ما يفهمون؟
- لا، يفهمون بالمرضى والأوجاع والهم والغم.
- المهم أنها رسالة إنسانية، ليس مثلكم بطائراتكم تدمرون البلاد والعباد.
- على مهلك، لا زلنا بأول الطريق، أي بلاد وأي عباد.

في تمام الساعة التاسعة صباحًا تأتي سيارة السفارة للفندق، فلاح يسلِّم على الجميع، وأبو سهى يعرض عليه أي مساعدة ممكنة، فيردُّ عليه ممتنًا:

- عمو، سلامتك، وشكرًا على الهدايا.
- مع السلامة.

تودعه سهى بإيماءة من عينها ويدها.

(٨)

يصل بغداد ، ويتناول الغداء في مطعم المحطة ، فأكل الطائرة لم يشبع جوعه... يحجز تذكرة درجة أولى معدلة في القطار المتجه إلى البصرة، فيصلها في السابعة من صباح يوم الأحد.

سميرة كان قلبها يعلمها بوصوله ، واقفة بباب بيتهم... تقف سيارة أجرة ، ينزل منها فلاح، تستقبله بالدموع تملأ عينيها، يسري في جسمه تيار يعشقه ؛ إنه تيار الحب الحقيقي.

يسلمها الحقيبة الوسطى:

- إنها هديتي لكِ سميرة.

تأخذها ، ولكنها ثقيلة لا تقوى على حملها ، فيوصلها فلاح لباب الدار ويذهب لأهله...

أُمه وأخواته وإخوانه يحيطون به يسلمون عليه ويقبِّلونه ، أمه تحضنه وتمطره بوابل من القبلات وتهلهل له...

بعد ساعة، تجيء سميرة وأمها، لتشبع من رؤيته...

- سميرة، إن شاء الله ناجحة؟

- طبعًا ناجحة، وأنتَ أكيد ناجح؟

- طبعًا ناجح وبتفوق.

- أنا الأولى على المعهد.

- أنتِ ذكية.

- لكن تبقى أنتَ أستاذي.

يشرد ذهنه:

- والله تاهت عليَّ، أنا أستاذ سميرة، وأستاذ سهى، ولكن سميرة عندي بالدنيا، لا سهى ولا ندى، في الحقيقة سهى فتاة طيبة وبنت عائلة محترمة، أهلها قاطعين مراحل كبيرة في الحياة، لكن أين نحن وأين هم، هؤلاء يسميهم المصريون "باشوات"، ويسميهم العراقيون "مَلاكَة" أو "أغوات" والله حتى ما أعرف ماذا أسميهم يعني لو قُدِّر لي الزواج من سهى فأنا أصير أمير بلمح البصر، لكن هيهات، يعني أحكم على نفسي وعلى سميرة بالإعدام.

يأتي أبو فلاح من المحل ومعه علب الحلويات والطعام ويجلس الجميع ويطلب من سميرة حضور إخوتها وأخواتها الصغار، ويقضون ليلة جميلة، وفلاح يختلس النظرات إلى سميرة، التي بودها تلمسه، تحضنه، تقبِّله، ولكن حيائها يمنعها، فتبذل جهودًا للسيطرة على مشاعرها.

في التاسعة يستأذنون للانصراف، فتمد يدها لوداعه، فيضغط بقوة على يدها، فتكاد تقع على الأرض مغشيًا عليها، إلا أنها تتمالك نفسها، لكنها تترنح قليلاً فتسندها أمها:

- ما بكِ سميرة ابنتي؟
- ماما، دوخة أعاني منها بين الحين والحين، والله يستر.
- ابنتي، ديري بالك على نفسك.

يعودان لبيتهم، تفتح سميرة الحقيبة بحضور أمها، فتتعجب من محتوياتها: ما كل هذا يا فلاح؟ ومن أين كل هذه الفلوس؟ إنها تُحف، ما أروع هذا الكوستم وما أجمل هذا الفستان وما أحلى هذا الحذاء، شوفي ماما هذا

كوت فرو يجنن، كلها أشياء جميلة وعلى مقاسي بالضبط سبحان الله.

أمها تقول لها:

- هذا جهاز عروس كامل، مبروك ابنتي، تستاهلين كل خير، ولكن لو الزمن يجري بسرعة وتنهيان دراستكما وتتزوجان والله يهنيكم ويعوّض صبرك خير يا سميرة بنت فائزة.

بعد خروجهم من بيت فلاح، يفتح الحقيبة الكبيرة ويوزِّع الهدايا على أُمه وأبيه وأخواته وإخوانه، فيفرح الجميع، تسأله أمه:

- ماما، كيف تعرف المقاسات؟!
- بسيطة ماما، أنتم أهلي وأعرفهم جيدًا وعندي مقاساتكم.
- وسميرة، جبت لها هدية؟
- أكيد ماما، هؤلاء أهلنا، تقبلين أنساهم؟
- لا ماما، فيك البركة.
- بابا، كيف حال المحل؟ بشِّرني.
- بأحسن حال، غدًا تأتي وتراه.
- بابا، أنا غدًا راحة أرجوك، وبعد غدٍ أنتظم معك.
- براحتك ابني.

في صباح اليوم التالي تأتي سميرة إلى بيت فلاح في الساعة العاشرة صباحًا، تجلس في غرفة فلاح على كرسيها المريح:

- فلاح، أنا عاجزة عن الشكر، ما كل هذه الهدايا التي تجنن؟ أنا الودُّ ودي أن أقبِّلك، ولكني لا أملك الجرأة، ومع هذا هذه بوسة سريعة...

تطبع على فم فلاح بوسة خاطفة وعينها على باب الغرفة... يسري تيار

كهربائي في جسمه، يكاد أن يُغمى عليه...

- فلاح، ما بك؟

- فاجأتِني سميرة، كياني كله اهتز، خفت أموت.

- اسم الله عليك عيني فلاح، يعني أنا أموت بعدك بثانية واحدة.

بعد أن يسترد فلاح أنفاسه ويهدأ قلبه من الخفقان...

- سميرة، السنة القادمة بعد تخرجك من المعهد ضروري نتزوج ونخلص من هذا العذاب والقهر ، وآخذكِ معي إلى القاهرة وهناك فرصة تكملين دراستك.

- يا ريت والله... لولا العيب والحياء لصرخت بأعلى صوت : أريد فلاح... أريد فلاح.

تبادرها أم فلاح:

- اليوم تغدي معانا الله يخليك.

- خالة، أمي تنتظرني.

- سأذهب لبيتكم وأستأذنها، وهي لا ترد لي طلب.

- بكيفك خالة.

تخرج أم فلاح، ينظر إليها متيمًا:

- سميرة، ماذا فعلتِ بي؟ كل جسمي يرجف.

- فلاح، هذه بوسة من صدق.

وتطبع بوسة على خد فلاح.

- مقبولة منكِ، صايرة جريئة مثل ندى...

- من هذه ندى؟؟!!!

يستدرك سريعًا:

- ممثلة مصرية جريئة.

- أشكرك فلاح !

- العفو سميرة، مو قصدي، سامحيني حبيبتي.

- الله ما أجملها كلمة حبيبتي.

- أنتِ روحي وحياتي وقلبي وعيوني وكل شيء والله العظيم.

- صدق يا فلاح أنا نفس شعورك وأكثر الله يساعدني، أكيد عندك أصدقاء معارف يخفِّفون عليك ألم الفراق، يقولون القاهرة مدينة عظيمة فيها أنواع السينمات وأنواع المسارح، كفاية فيها عبد الحليم وعبد الوهاب وفريد وفايزة ونجاة الصغيرة وهدى سلطان والقائمة طويلة، ولا ننسى أم كلثوم وشادية وفاتن حمامة وغيرهم الكثير... أكيد هؤلاء كلهم رأيتهم وأكيد تروح مسارح وتشوف أفلام، يعني وسائل ترفيه متوفرة... أما أنا فمن المعهد للقسم الداخلي الذي بجانبه تمامًا، فلاح يعني مثل ما يقول المصريون بأفلامهم (من البيت للكباريه ومن الكباريه للبيت)، على فكرة فلاح ماذا تعني الكباريه؟

- تعني الملهى.

- عزى إلي عزاهم ما لقوا غير هذا المثل، يعني ماذا يقولون، ممكن يقولون من المدرسة للبيت ومن الّبيت للمدرسة ويفضوها.

يفكِّر بعمق، بينما تجلس هي بجواره، يشمُّ عطر جسمها الطبيعي والطاولة بينه وبينها أزكى وأعطر من كل عطور ندى وهي تقبِّله أو تلصق جسمها بجسمهِ، والحقيقة أعطر حتى من رائحة المسك والعنبر التي تضعها سهى

بكثرة، ثم ينظر إلى جمال سميرة الطبيعي بلا مكياج وبلا رتوش أروع من جمال ندى وسهى رغم ما تصرفه ندى على مكياجها من مواد التجميل الحديثة وما تدفعه سهى لهذه المرأة السودانية التي تخطِّطها بالحناء والمكياج السوداني البلدي، ثم ينظر إلى صدر سميرة الناهد المستور لغاية أعلى الرقبة؛ يراه أجمل مائة مرة من صدر ندى العاري الذي يكاد نهداها يسقطان من صدرها لولا السوتيان الأحمر.

- يبدو أنني محظوظ، لدي حبيبات يبادلنني الحب، لكن في الحقيقة أنا لي حبيبة واحدة فقط هي سميرة فهيَّ حبيبتي الوحيدة، الطاهرة النقية الجميلة، ومع هذا أصبح لي أحبابًا في العراق يحبونني وأحبهم وأحباب في مصر يحبونني وأنا استلطفهم، أصبح ينطبق عليَّ المثل الشعبي العراقي: (مسعدة وبيتكِ على الشط منين ما ملتي غَرَفتي).

••••

في صباح اليوم التالي، يذهب فلاح مع أبيه للمحل، ويفرح بحُسن تنظيم المحل وبعدد الزبائن وتنوع المواد، ويطلع على السجلات وما يحققه المحل من نسبة أرباح عالية رغم أن أباه يبيع المواد الكهربائية أرخص من الآخرين ولكن استمرارية العمل وقوة تصريف البضاعة ومداورتها تعوِّض ذلك وتزيد...

- بابا، يجب أن توسِّع المحل.
- الحمد لله يا بُني، ولا تنسَ أنني بمفردي، صحيح أن أخاك يساعدني ولكن لساعتين يوميًا ليس أكثر لأنه مشغول بالمدرسة والدراسة، ابني نعمة

فضيلة الحمد والشكر لله.

في الثانية عشر ظهرًا يعودون للبيت للغداء والراحة كعادة أهل البصرة ، يعتذر فلاح من أبيه أنه سيبقى في البيت، يستلقي على فراشه وكان بودهِ أن لا يأكل أو يشرب لكي لا يضيع طعم بوسة سميرة.

الساعة الرابعة تزورهم سميرة مع أمها ، تجلس الأم مع أم فلاح في باب البيت، بينما تذهب سميرة إلى غرفة فلاح فتجده مستلقيًا على فراشه، يسمع صوتها فيقفز من الفراش مرحبًا...

- فلاح، احكي لي عن مصر وكيف تقضي وقتك وأين تأكل وأين تنام، احكي لي عن دراستك ، عن الفندق الذي تنزل إليه كل خميس وجمعة ، أريد أن أعرف كل شيء عنك بدقة متناهية، أنا أحلم لحالي وأفسِّر، أريد أن أعرف هل كانت أحلامي حقيقة أم خيال وتفسيراتي صحيحة أم ضرب من الجنون.
- وأنتِ أيضًا احكي لي كل شيء.
- ماذا أحكي لك ، حياة روتينية رتيبة تتكرر كل يوم ، وأحيانًا اذهب إلى جانيت لساعة أو ساعتين هذه كل حياتي.
- إلى متى ستظلين مرتدية الملابس السوداء؟
- لغاية رأس السنة.
- لا... لا... يوم الجمعة سنأتي أنا وماما وبابا نتغدى عندكم ونفك عنك حزنك ونترك أمك لغاية دورة السنة.
- اللي تشوفوه، أنتم أهلي، وأنا لا أرد لكم طلبًا.
- على فكرة، البارحة التقيت بصديقي سلام وأكَّد لي أنه يسلمك كل رأس

شهر العشرين دينار التي أبعثها لكِ، أظن أنها كافية.

- صحيح ، الأخ سلام يسلمني هذا المبلغ كل رأس شهر ، وأنا أسلمه لأُمي ، وهي بدورها تسلمهُ لأمكَ، لأني لست بحاجة إليه، أنا في القسم الداخلي آكل وأشرب ، ويعطيني المعهد ثمانية دنانير مصرف جيب ، اشتري منها بعض حاجاتي الضرورية كفتاة تحتاج بعض الأمور النسائية ، هذا المبلغ يكفيني ويزيد ، فكما تعرف أنا لا أستخدم المكياج إلا ما ندر وشعري أعتني به بنفسي، ويوما الخميس والجمعة في البيت آكل وأشرب مع أهلي ، وأحيانًا عندكم مع أهلك ، ماذا أفعل بالمال ؟ حياتنا بسيطة روتينية تعودنا عليها، أنتَ في بلاد غربة تحتاج المال أكثر مني.

- أنا أستلم مائة وأربعين دينار ، يكفيني عشرون دينار ولهذا أرسل لأهلي تسعين دينار ولكِ عشرين ، والباقي ليَّ ، ولا تنسِ أنا أيضًا آكل وأشرب في الكلية ما عدا الخميس والجمعة ثم أن الدينار سعره ضعف الجنيه المصري في السوق، ومصر بلد رخيصة بشكل عام.

فلاح ينادي أُمه:

- ماما، لماذا تأخذين العشرين دينار من سميرة؟

يحمر وجه سميرة:

- ماذا تفعل، أنا لم أقل لكَ ذلك، قلت لكَ أسلِّمها لأمي، وأمي تسلِّمها لأمك، فما دخلي بالموضوع؟ خالتي ستزعل عليَّ، أرجوك وضِّح الأمور.

أم فلاح بكل هدوء:

- ماما، اتفقنا أنا وخالتك أم سميرة نجمع المبالغ لكما لتتزوجا بها.

- ماما، إنها فلوس سميرة أرجوكِ، وأنا لم أقصِّر معكم.

- اللي تشوفه، هذه الفلوس عندي بالحفظ والصون، وهي مثل ما تقول فلوس سميرة، وكل ما تحتاجه سميرة الفلوس فلوسها المهم لا تزعل يا ابني.

يستمر الحديث بين فلاح وسميرة، يقترح عليها الذهاب إلى السينما...

- لا، الوقت متأخر، خليها غدًا، ولكني في الحقيقة أخاف أن نخرج لوحدنا، تتذكر ماذا حَلَّ بِنَا في المرة السابقة، لولا الله ستر علينا.

- يعني اليوم نبقى في البيت؟

- أحلى شيء البيت، أنا متعودة.

تسكت قليلاً ثم تسأله:

- فلاح، هل أنتَ جاد في زواجنا وسفرنا للقاهرة السنة القادمة؟

- إن شاء الله سميرة.

- فرَّحتني، وأنت تستاهل بوسة، ولكن تطلب بوسة.

- أنا يهمني رضاكِ عني.

- أنا ليس فقط راضية، وإنما ممنونة منك، وجلستي هذه معك عندي تساوي الدنيا وما فيها.

- اعطِني يدكِ...

يعدّ أصابعها ويضع يدها على خدهِ:

- تعرفين، أنتِ الخير والبركة، وأنا أستمد قوتي وعزمي منكِ، الود ودي أن أضعك في عيوني وأطبق جفوني عليك، أن أضعكِ في قلبي وأقفل ضلوعي

عليكِ، دائمًا في مصر عندما يهيج بيَّ الشوق إليكِ ويصل بي أحيانًا إلى الهذيان ؛ أدندن مع أغنية عبد الحليم حافظ: (ماذا أقول لأدمعٍ سفحتها أشواقي إليكِ ماذا أقول لأضلعٍ مزقتُها خوفًا عليكِ).

- حبيبي سلامة عيونك وسلامة قلبك.
- أكيد أنتِ تثقين بي.
- بكل تأكيد.
- إذا حدثتك بحكاية خاصة أرجو أن لا تؤولي الموضوع.
- لا والله كلك ثقة يا فلاح.
- تعرفت في القاهرة بعائلة سودانية محترمة غنية جدًا ابنتهم تدرس الطب هناك، تصوري أبوها وزير، هذه العائلة تحبّني جدًا وبودي أن تتعرفي عليهم، ولكن ليس الآن، ربما نسافر أنا وأنتِ لهم في السنة القادمة.
- فلاح، خوفتني.
- لا تخافي، أنتِ عندي تساوين كنوز الدنيا، أنا جالس معكِ الآن أنا ملك وأنتِ ملكتي، أحلى شيء في الحياة البساطة والقناعة وتاجهم الحب الطاهر الشريف... الحب الحقيقي.
- النفس أمّارة بالسوء، فخذ بالك الله يخليك، وحقك أنا أموت ناقصة عمر، فأرجوك ارحمني ولا تموتني، كلامك هذا يخوفني أرجوك لا تتحدث أمامي بمثل هكذا حديث وتقلقني حبيبي حياتي.
- أحب أن أكون معكِ صريح وواضح، ولا أخفي عنك شيئًا، وثمة أمر آخر أحببت أن أطلعكِ عليه.
- لا، لا أريد أن أطلع أرجوك، دعني سعيدة ولا تكدر عليَّ وتثير المواجع

بعد كم يوم ستعود للقاهرة وأبقى أنا أجتر الذكريات أريد ذكريات حلوة.

- أريدك لي لوحدي، لأنكِ كل حياتي وكل حاضري ومستقبلي.

- روحي فداكَ، أرجوك لا تزرع الشك في داخلي وتسافر وتتركني بين الشك واليقين.

- تدللي... وأنا آسف ولن أكرِّر ذلك أبدًا ، سلام هاتِ يدك ، سامحيني حبيبتي.

- خلاص انسى الموضوع.

- ما رأيك أن نذهب غدًا مساء إلى كازينو العائلات في الكورنيش على ضفاف شط العرب، نأخذ معنا أختي وأختك الصغيرتين.

- موافقة... سأذهب الآن لبيتنا لأنظف البيت، أمي تعبانة وكلفتني بذلك... مع السلامة فلاح.

- يعني أنا أبقى لوحدي؟

- طيب سأبقى ساعة أخرى معك.

- أنا أفكِّر في شراء قطعة أرض مناسبة لأهلي في أحد الأحياء الجديدة وأفضِّل "المعقل".

- براحتك حبيبي اللي تشوفه، أهلك يستاهلون كل خير.

بوده أن يتحدث معها عن ندى وبيت صديقه أنس في القاهرة، يحسه حملاً ثقيلاً على صدره... ولكنه يتدارك أن سميرة لن يعجبها إثارة هكذا مواضيع، وقد حذرتْه من ذلك، فتراجع ، وتحدث معها عن عظمة الأهرامات وكيف تمكن الفراعنة قبل خمسة آلاف سنة من بنائها دون وجود معدات...

- تصوري سميرة، وزن الحجر المكعب الواحد يزن عشرات الأطنان، كيف

نقلوها وكيف رفعوها؟ إنه أمر مذهل يوقف العقل وكيف قاومت عاديات الزمن كل هذه القرون الطويلة والتقلبات الجوية الكبيرة، تصوري لحد الآن لم يتمكن العلماء من حَلّْ هذا اللغز... وسأحدثك عن حديقة الحيوانات الكبيرة في منطقة الجيزة

- على فكرة، ماذا تعني الجيزة؟ اسمع أهرامات الجيزة، حدائق الجيزة، مستشفى القصر العيني في الجيزة.

- الجيزة مجاورة للقاهرة، يفصل بينهما نهر النيل، يعني مثل كرخ ورصافة.

- افتهمت فلاح، أحسن تشبيه... الآن سأودعك.

تنهض، فينهض فلاح ويقبِّل جبينها ويضع يده على خدها، فتضع يدها على فمه.

بعدها يذهب إلى سلام، ويتفقان على الذهاب للعشار لدخول السينما.

في اليوم التالي تأتي سميرة إلى بيت فلاح في الثالثة والنصف بعد الغداء ومعها أختها الصغيرة، وعلى عجل يذهب فلاح وأخته الصغيرة وسميرة وأختها الصغيرة إلى العشار مركز المدينة، وفِي الطريق يقترح عليها أن يذهبوا أولاً إلى سينما الوطني لمشاهدة فلم ياباني حربي قديم، شاهده البارحة مع سلام فأعجبه جدًا...

- طيب، إذا أنتَ شايف الفيلم دعنا نشاهد غيره.

- فيلم اسمه "بطل الشمال" إخراجه رائع ضروري تشاهدينه.

يحجزون لوج لأنه لا توجد تذاكر...

يبدأ العرض، الفيلم مرعب: قتال بالسيوف والرماح والتروس والقوس

والنشاب، ومعارك كبيرة هائلة، وآلاف الفرسان يتقاتلون، وكر وفر، وقائد الجيش الجنوبي في المقدمة، يتقدم أحد أبطال جيش الشمال ويرمي سهمًا فيدخل في عين القائد بصورة مجسمة والدم يتدفق مثل النافورة، فتصرخ سميرة وتقع من كرسيها مغشيًا عليها، يعيدها إلى الكرسي ويطبطب على خديها ويدلك يديها دون فائدة، فيضطر لتدليك صدرها عدة مرات فيلاحظ قوة نهديها كأنهما رمانتان قُطفا للتو: يا الله ماذا أفعل؟ فيقبلها قبلة الحياة، تفتح عينيها وتحضنه وهي تبكي ومعها الصغيرتان تبكيان، فيبكي هو أيضًا معهن...

- فلاح، ما بك؟ لنخرج، لا أتحمل مثل هكذا أفلام أرجوك.

- طيب ارتاحي قليلاً.

تمسك به بقوة وتدس رأسها في صدره وتقبله بقوة حتى يكاد يقع من الكرسي فيتمسك بقوة، وهي تمتص رحيق شفتيه... تنتبه لنفسها: آسفة... لا يرد ببنت شفة، إنه في حالة ذهول، هل هذه سميرة أم ندى؟ من أين لسميرة هذه الجرأة؟

- فلاح، هل تسمعني؟ أنا آسفة.

يتساءل وهو يضع يده على فمه لأنها عضتهُ:

- من أين أتيتِ بكل هذه الجرأة؟

- سامحني أرجوك لم أكن بكامل وعيي.

يغادرون السينما ويذهبون إلى الكازينو، يطلبان الآيس كريم للأطفال، ولا يطلبان شيئًا لهما، يفكران نفس التفكير لا يأكلان ولا يشربان لتبقى حلاوة قُبلة الحب الحقيقي في فميهما وقلبيهما... تمسك بيده بجانب الكرسي،

فتشعر بسعادة غامرة وترتسم ابتسامة عريضة على محياها، هو يكاد يطير من الفرح والغبطة والسرور، إنه في ذروة الانتعاش والنشوة... تتعمد ضرب ساقه بساقها... ينظر شمالاً ويمينًا ويقول لها:

- لا أستطيع تحمل كل هذا، إنكِ تهزين كياني وتفقدينني صوابي، حبيبتي ليس كله في يوم واحد، قسطيه عليَّ لأتحمل بعد أيام قليلة سأسافر وسأفتقدك وأفتقد قربك حبيبتي، على مهلك معي، أرضعيني الحب قطرة قطرة، يكفيني النظر في عينيكِ وشم رائحتك الزكية بلا عطور ولا مكياج، وجهك يشع نورًا وفمك ينطف عسلاً يا معسولة الريق يشع من عينيك بريق.
- الله... الله... أصبحتً شاعرًا يا فلاح، ما هذا الكلام الجميل المسجع، والله ُمدرستنا في اللغة العربية في المعهد لا تعرف أن تقول مثل هذا السجع.

تصدح بواخر شط العرب العملاقة بصفيرها وأنوارها الخلابة مع غروب الشمس، يبدون أن هناك مناسبة، وطيور النورس تلتقط الأسماك الصغيرة من الشط، وغابات النخيل على الجانب الآخر من الشط الممتدة مع الأفق والمحملة بعثوق الذهب وموجات الماء التي تريد الواحدة أن تسبق الأخرى ولكن لا تطولها، ويتذكر أغنية أم كلثوم "فاكر لمَّا كنت جنبي" التي غنتها أكثر من مرة أم سعد صديقه في القاهرة عندما يزورهم مساء الخميس أحيانًا :

فاكر لما كنت جنبي والنسيم لاعب غصون الشجر
والغصن مال على الغصن قال ما أحلى الوصال للي انتظر
والفرحة تمت للأحباب والغصن عانق حبيبه

وانا اللي قلبي في حبك داب من غير ما يبلغ نصيبه
العين ترعاك والروح تهواك
ويا ريتني معاك
زي الغصون لو بعدت يوم جه النسيم قرب بينهم
والغصن مال ع الغصن قال ما أحلى الوصال للي انتظر
فاكر لما كنت جنبي والغمام داعب جبين القمر
والليل ساري والنيل جاري والموجة تجري ورا الموجة
عايزة تطولها تضمها وتشكي حالها.

يغني لها أغنية أم كلثوم بصوت هامس ويدندن لها...

- أنتَ تعرف تغني حلو.

- تعلمت من أم سعد.

- الحياة حلوة بوجودك، ستضيع علينا عددًا مهمًا من السنين ؛ سنين الشباب.

- المستقبل مهم لنبنيه ما دمنا شبابًا نملك القوة والذكاء والعزيمة.

يميل قرص الشمس للاختفاء خلف الأفق، فتقول سميرة:

- دارت الشمس.

- كلا، الشمس تدور في مكانها حول محورها، لكن الأرض هي التي تدور حول نفسها فيكون الليل والنهار، وتدور حول الشمس فتكون الفصول الأربعة.

- نعم... نعم... هذا الكلام أحكيه لأختي وأختك، أنا أعرف ذلك جيدًا... صحيح أنتَ أستاذي وأنا أقر واعترف بذلك، ولكن ليس بهذه البديهيات التي تعلمناها من زمان.

- العفو ، ذكِّر عسى أن تنفع الذكرى.

يعودان للبيت ، يودعان بعضهما على أمل اللقاء مساء غد وهما في غاية السعادة والانشراح والفرح والحبور ، كل شيء جميل.

فلاح يجلس مع أُمه وأبيه :

- بابا...

- يا عيون بابا.

- فكرت أن نشتري غدًا قطعة أرض في محلة جديدة اسمها الجبيلة ، هناك ستمائة متر معروضة بخمسمائة دينار ، أنا عندي هذا المبلغ ، لنتوكل على الله.

- ابني تصرف كما تحب ، أنت الخير والبركة.

في صباح اليوم التالي يذهب فلاح وأخوه الأصغر ليشاهدا الأرض ، ويقتنعان بها ، ويذهبان إلى مكتب الجلبي صاحب الأرض ويدفعان الفلوس ويسجلان الأرض باسم أبيهما ، ثم في اليوم التالي يوقِّع الأب العقد ويستلم الطابو.

الأب يعرف مقاول بناء معروف يعمل ببناء البيوت مع أولاده وكل مشترياتهم الكهربائية من محل أبي فلاح ، يناقشه في أمر البناء فيعرض عليه عددًا من الخرائط ، يأخذها للبيت لمناقشة أولاده ، ويستقر الرأي على خارطة جميلة تشترك حتى سميرة باختيارها ، المقاول يتعهد لأبي فلاح خلال ستة أشهر أن يسلمه المفتاح... تكاليف البناء ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار تُدفع على شكل أقساط حسب مراحل البناء ، وتُدفع الألف دينار الأخيرة بأقساط شهرية مائة دينار كل شهر... يوقع العقد ويستلم المقاول خمسمائة دينارًا كدُفعة أولى لغاية الرباط.

يحتفلون بهذا الإنجاز ويشتري أبو فلاح خروفًا يوزِّع قسمًا منه والقسم الآخر يقيم دعوة غداء وعشاء جميلة في البيت يشارك بها أهل سميرة.

(٩)

لم يتبقَ لفلاح غير ثلاثة أيام من الإجازة، الجمعة طائرته تقلع من بغداد الساعة الثالثة بعد الظهر، واليوم الاثنين، إذن هناك احتمال أن يسافر من البصرة بالطائرة صباح الجمعة... يذهب مع صديقه سلام إلى مكتب الخطوط الجوية العراقية في شارع الوطني فيحصل على حجز يوم الجمعة الساعة العاشرة صباحًا تصل الطائرة إلى مطار بغداد في الحادية عشر، إذن هناك وقت كافي لطائرة القاهرة، المهم الآن يتمتع بهذه الأيام الثلاثة مع حبيبته قدر الإمكان... يذهب معها إلى محلات "اورزدي باك" في العشار فيشتري لها بطانية جميلة من الفرو، وتشتري هي له قميصًا وبيجامة جميلين، تسلمه القميص وتأخذ البيجامة لتنام فيها ليلتين قبل أن تسلمها إليه يضحك منها ومن تفكيرها مثل عجائز أيام زمان، فتمط شفتيها وتحرِّك لسانها نكاية به:

- أنا عاجبني كده وأنتَ مالك؟
- يعني تعلمتِ مصري بالإلهام.
- تعلمت من الأفلام المصرية والمجلات، اللهجة المصرية حلوة خفيفة، شوف "بحبك" أحلى من "أحبچ".
- ولكن أنا أحب اللهجة العراقية، معبِّرة وقوية؛ لهجة رجال واللهجة المصرية لهجة نساء.
- حيلك... حيلك... أنتَ عندهم وتتكلم عليهم.

مساءً، يذهب وأمه لزيارة بيت سميرة، الوالدتان بالمطبخ وفلاح وسميرة في غرفة الضيوف، تقدم لهم أمها الشاي المهيل

فلاح يقول لسميرة:

- ممكن أطلب منكِ طلب وما تكسفيني؟

- ما عاش اللي يخجلك لو طلبت روحي ترخص لك، تطلب عيوني فدوة لك، المهم طلب قادرة على تنفيذه.

- طبعًا قادرة.

- قول يا عيون سميرة.

- أحب أن تتركي لَبْس الأسود.

- وأمي !؟

- أمك ما نقدر نضغط عليها، يمكن بمناسبة العيد القادم أو دورة السنة على ذكرى والدك الله يرحمه ويحسن إليه.

- موافقة، ولكن بشرط.

- نعم تدللي.

- تأخذني غدًا لزيارة قبر أبي.

- حاضر، حضِّري نفسك بالثامنة صباحًا على برد الوقت.

- ممكن أنا وأمي؟

- ممكن جدًا.

تقول له أم سميرة ممتنة:

- فلاح، الله يخليك، عذبناكم معنا ليس عندنا غير الله وأنتم.

- خالة، تدللي، أنا ابنكم والله الشاهد... اليوم بابا داعينا كلنا على العشاء في بيتنا.

- سوف نأتي بعد ساعة، مع السلامة.

- ماما سميرة، لا تكثري الطلبات على فلاح.
- ماما الله يخليكِ لا تتدخلين، أنا أبدًا لا يمكن أن أعمل شيء غلط وروح أبي الغالي.
- طيب ابنتي، أعتذر منكِ، ولكن أحببت أن أنبهك، أهله ما مقصرين معنا ولكن الأسعار ما مستقرة، باستمرار غلاء، والفلوس التي يعطيها لنا أبو فلاح كل رأس شهر ما عادت تكفي معيشة، وأنا لا أحب أن أقصِر عليكم بشيء، صار شهرين كل شهر أسحب خمسة دنانير من الفلوس التي وفرتُها عند أم فلاح وقدرها ثلاثون دينار.
- ماما لا تتكلمي بالموضوع، أنا كل رأس شهر المعهد يعطيني مصروف جيب ثمانية دنانير وأبلغتنا المديرة أنهم راح يرفعونها إلى اثني عشر دينار، سأقسمها معكِ مناصفة.
- كثر خيرك يا ابنتي.

يتحركون صباح اليوم التالي للمقبرة، أم سميرة تبكي، وكذلك سميرة ولكن بهدوء... أم سميرة تذهب لزيارة قبر أمها وأبيها، سميرة تمسك يدي فلاح فوق قبر أبيها وعيونها تفيض بالدموع:
- اسمع فلاح، والله وحياة ذكرى أبي عهدًا عليَّ أن أصون حبكَ وأحيا العمر كله مخلصة وفية لكَ.
- وأنا كذلك يا سميرة لا يفرق بيننا إلا الموت.

يعودون إلى العشار، ويعودون مع أبي فلاح للبيت ويساعدونه بحمل مواد العشاء والفاكهة... الجميع في بيت فلاح، تغسل سميرة وجهها وتمشِّط شعرها ، هي إنسانة بسيطة متواضعة قنوعة، الكل يحبونها ويرتاحون لها، أكلها

قليل، طلباتها قليلة، لبسها بسيط ولكنه أنيق ونظيف جدًا، معتنية بنفسها ونظافتها عناية فائقة تستحم يوميًا وتستخدم صابون الرقي السوري الأصلي أو صابون رقي بعشيقة في شمال العراق وقليل جدًا من الشامبو، تعتني بأظافرها، لم تصبغها منذ ستة شهور ولكن غدًا إكرامًا لفلاح ستصبغ أظافرها وتسرِّح شعرها وتلبس الكوستم الجديد هديته لها، لا تعلم أنه هدية من سهى صديقته السودانية.

أبو فلاح يكلم أم سميرة:

- أختي أم سميرة، هذه ستة وثلاثون دينار أرباح هذا الشهر، يعني زيادة حوالي سبعة دنانير.

- الحمد لله أخي أبو فلاح، والله لولا أنتم ومساعدتكم لنا الله يطول عمرك ويعطيك الصحة والعافية ويحفظ لك فلاح.

ترتاح سميرة لهذا التطور، لقد حلها أبو فلاح الله يستر عليه، فلاح يؤشِّر لها أن تتبعه لغرفته قبل أن يذهبوا لبيتهم:

- سميرة، هذه أمانة أضعها عندك لا تفتحيها إلا عندما أسافر وغير مسموح لكِ أن تعطيها لكائن من يكون، ومعها رسالة تطبقين تعاليمها بالحرف الواحد ولا تزعليني منك.

- اطمئن، بالحفظ والصون.

سميرة ترجع للبيت، تضع الظرف بين طيات فراشها وتنام.

• • • •

اليوم الخميس، وغدًا يسافر فلاح... يذهب صباحًا مع أبيه للمحل، وعند الظهيرة يمران على الأرض فيجدان المقاول يعمل بجد بتهيئة مستلزمات البناء ، ويعودان للبيت.

يبعث أخته إلى سميرة لتسألها إذا ممكن تتناول الغداء معهم، تعتذر سميرة، لأنها مشغولة مع أمها في عمل الكليجة لفلاح، في الرابعة أكون عندكم أنا وأمي.

تضع مكياجًا خفيفًا وتسرح شعرها بعناية وتصبغ أظافرها وأمها تنظم حواجبها وتحف وجهها، وتلبس البدلة الجديدة والحذاء الجديد والحقيبة الجديدة، كل شيء جديد هدية فلاح من القاهرة فتغدو آية من الجمال والروعة...

تأتي إلى بيت فلاح، تندهش أمه من جمالها وأناقتها:

- ماما عروس والله على أربعة وعشرين قيراط.

فلاح ينبهر بجمالها:

- الله الله، ما هذا الجمال؟ ما هذه الأناقة؟ والله أخاف عليكِ من الحسد... طيب ممكن نذهب للعشار اشتري هدايا لأصدقائي سعد وأنس.
- على راحتكَ.
- ولكن أخاف يخطفوكِ مني.
- لا تخف، أهل البصرة ناس طيبين وراقين وأصحاب ذوق، لمعلوماتك الموضة من البصرة تروح لبغداد.

يشتري فلاح قميصين من النوع الجيد ولكنه لا يستطيع شراء هدية لسهى

لكي لا تتحسس سميرة وتبقى تفكر بالموضوع ، ويشتري فلاح قليل من البهارات الهندية من سوق الهنود ، ويذهبان إلى كازينو العائلات لتناول المرطبات...

سميرة سرحانة في عالم آخر...

- سميرة... سميرة...

تنتبه:

- نعم فلاح...

- أنتِ سرحانة...

- نعم فلاح غدًا ستسافر وأنا أجتر الذكريات الجميلة التي عشتها، هذه الأيام التي ما أسرع نهايتها، اليوم آخر يوم... غدًا صباحًا الله يخليك مُر علينا قبل ذهابك للمطار...

- لا تعالي أنتِ أرجوكِ.

تمسك يده وتعصرها بقوة وتشابك أصابعها بأصابعه ، تسري قشعريرة في جسديهما وحرارة دافئة وتنزل دمعات من عيونها فيها كحل أسود يلطخ خدودها، فلاح يمسح بمنديله عيونها بسرعة خاطفة كي لا يراهما النادل لأن الكازينو فيه قليل جدًا من العوائل...

- اذهبي الآن للحمَّام وغسلي وجهك يا جميلتي.

- المشكلة أنا غير متعودة على المكياج (إجت اليتيمة تفرح ما لقتلهاش مطرح)... هكذا يقوله المصريون.

- ولكنكِ لست يتيمة وأنا موجود ، أنا أبوكِ وأنا أخوكِ وأنا حبيبك فكيف تكونين يتيمة.

- الأمثال تُضرب ولا تقاس، وهذا ما جاء في بالي، العفو حبيبي.

تعود من الحمام...

- الله الله، والله أنتِ بعد أحلى دون مكياج.

- الود ودي أن أقبِّلكَ قبلة الوداع، ولكن الدنيا محظورة والنَّاس في الكازينو كثروا، ياالله قبلة هوائية.

- مقبولة منكِ سميرة.

يعودان للبيت، ويعطيها البهارات خوفًا من أن تتلف ملابسه...

- معقولة فلاح تفكير سليم، اسمح لي أرجع لكَ البيجامة حتى لا أنساها، سنأتي أنا وأمي لتوديعك، ولا تنسى أن تودعنا غدًا صباحًا.

- اتفقنا أن تأتي أنتِ لتوديعي.

- أحاول وأنتَ تحاول أيضًا، مع السلامة مؤقتًا.

بعد ساعة زمن سميرة وأمها ومعهما كيس الكليجة الحارة في بيت فلاح، فتستقبلهما أمه بالترحيب والكلام الجميل الذي يدل على المحبة والاحترام...

- خالة، هذه كليجة عمل سميرة محشية بالتمر والجوز واللوز هدية لكَ.

يأخذها فلاح ويأكل منها واحدة ويصيح: الله الله هذه طيبة... ويوزع على كل واحد واحدة فقط ويضع الكيس في الحقيبة.

- لحظة سميرة، عندي كتب في غرفتي بودّي أن تأخذيها ؛ قصص جميلة.

تذهب معه ويسلمها ثلاث قصص ويقبِّلها في رأسها، فتقبله قبلة الوداع وتجلس على الكرسي تبكي:

- لا يا حبيبتي لا تبكي، أرجوك.

- الفراق قاتل.

- أرجوكِ تحملي لنرتاح بقية حياتنا.

- حاضر... حاضر... مع السلامة فلاح، الله يحرسك.

تذهب إلى الحمام لتغسل وجهها وتسلم على الجميع وتعود مع أمها لبيتها.

صباح الجمعة تأتي لتوديعه وفي عينيها دمعات واقفة تلمع ولا تنزل...

تتحرك سيارة التاكسي... سميرة تدخل الحمام وتجهش بالبكاء، تعود للبيت مكسورة الخاطر، ولكن غدًا دوام في المعهد عليها أن ترزم حاجاتها، تخرج الظرف من تحت وسادتها وتفتحه فتجد مائة وعشرين دينار ورسالة قصيرة:

حبيبتي سميرة هذا مبلغ بسيط للطوارئ يعني لا سمح الله تستخدميه عند الحاجة ، وكذلك تتصرفين بالعشرين دينارًا لأنها لكِ وليس لغيركِ ، أهلي أمورهم المالية حاليًا عال العال ، المهم عندي أنتِ أرجوكِ لا تبخلي على نفسكِ حتى لا أزعل عليكِ ، ولا أريد كائنًا من يكون يعرف بهذا المبلغ... مفهوم أرجوك نفذي وصيتي هذه.

تقبّل الظرف وتضعه في ريش وسادتها بعناية وتغلق الفتق بالخيط والإبرة.

(١٠)

في الطائرة يتعرف فلاح على راكبين كانا بجواره من أهالي البصرة الكرام ، يعرض عليهما المساعدة لأنهما يزوران القاهرة لأول مرة... يأخذهما معه للفندق ويحجزان سويت، وبعد أن يرتاحوا يلتقون بصالة الفندق...

فلاح يسأل عن سهى، فيخبره الاستقبال:

- سافرت مع أهلها قبل خمسة أيام ولَم تعد لحد الآن وأخبرتنا لكَ الحق باستخدام غرفتها، يعني ممكن استخدام الغرفة الليلة لأن الفندق مزدحم جدًا وهذا أخر سويت لأجل خاطرك أعطيناه لضيوفك.

اتصل بصديقه سعد بالتليفون فأخبره أن الإجازة مددت أسبوعًا آخر، ابتئس، فلو كان يعلم لأخَّر سفره، ولكن ما العمل الآن.

أخبر ضيوفه أنه في إجازة لمدة أسبوع ويمكنه مساعدتهم ، جلس الجميع يتناولون العشاء في المطعم، أبو أكرم وأبو شهد ضيوفه يشرطان عليه:

- أنتَ ترافقنا نحن نتشرف بكَ ولكن لا تصرف من جيبك الخاص قرشًا واحدًا لأنكِ طالب، توافق نحن معكَ، لا توافق دعنا وشأننا ندبر حالنا.
- خلاص أوافق لأكون دليلكما وأخلصكما من النصابين.

ثلاثة أيام وفلاح برفقة أبي كرم وأبي شهد ، شخصان أميران طيبان ، يذهبان معه للمتحف الوطني في ميدان التحرير ويتفرجان على آثار الفراعنة وعلى المومياوات... يسأل فلاح:

- ما هي الحكمة من هذه؟

فيرد عليه أبو كرم:

- يا بني، حضارة وادي النيل تختلف عن حضارة وادي الرافدين الفراعنة كانوا يعتقدون بعودة الروح إلى الجسد في الحياة الثانية بينما السومريون والبابليون والاكديون والآشوريون كانوا يعتقدون أن الجسد فاني جُبل من تراب ويعود للتراب وأن الروح بعد أن تُحاسب تدخل جسدًا آخر ملائكيًا لا يشيخ ولا يتوجع ولا يموت موت ثاني، ولهذا المصريون القدماء يحنطون أجساد موتاهم أملاً في حياة ثانية عكس العراقيين القدماء الذين يؤمنون بخلود الروح وفناء الجسد.

- والله أستاذ أبو كرم لأول مرة أعرف هذه الحقيقة.

يحاول فلاح دفع أجور التاكسي أو المطعم لكن أبو كرم يمنعه تمامًا.

أربعة أيام جميلة شغلت فلاح وطردت الاكتئاب عنه لفراقه لسميرة، اليوم الرابع وهو يستخدم غرفة سهى في منتصف الليل يسمع طرقًا خفيفًا على الباب، يفتح النور وينظر في ساعته الثانية بعد منتصف الليل، يفتح الباب تدخل سهى مع حقائبها، تحضنه وتقبله:

- أنا مشتاقة لكَ يا فلاح، علمت من الاستقبال أن الفندق مزدحم، طيب خير ما فعلت، دقيقة هذه هدايا لكَ، أنا سأدخل الحمام، السودان الجو حار جدًا والطريق من المطار إلى وسط البلد مزدحم رغم أنها بعد منتصف الليل.

تأخذ ملابسها وتدخل الحمام، يلبس فلاح قميصًا وبنطلونًا ويذهب إلى الاستقبال لحجز غرفة، يعتذر موظف الاستقبال من فلاح الذي يحترمه ويحبه ويقول:

- ربما في الصباح نقدر أن نعمل شيئًا علشان خاطرك.

يعود للغرفة وسهى مازالت في الحمام ورائحة المسك والعنب تتسرب من تحت باب الحمام لتملأ فضاء الغرفة.

بعد ساعة كاملة خرجت من الحمام بثوب النوم وكل جسمها عرقان وكأنها لم تنشف جسمها:

- تأخرتِ في الحمام، أنا خفت عليكِ.

- كنت أتدخن.

- يعني ماذا تشربين؟ سكائر أم أرجيلة.

- لا...لا... هذه عادة سودانية، المرأة لازم تتدخن وتتحنن حتى تصير رائحة جسمها طيبة ومنظرها جميل.

- يعني إيه ؟ لسه مش فاهم حاجة.

- اسمع، عندي جفنة من الخزف هذه أضع فيها جمرات خاصة مثل جمرات الأرجيلة وبخور من المسك والعنبر وألف نفسي بملاية (شرشف) كبير واجلس أتبخر عارية تمامًا ليتغلغل المسك والعنبر مسامات كل جسدي فتكون رائحة جسدي طيبة... وأنا أتحنن، فغدًا تأتي المرأة السودانية تحني وتخطط كفوف يدي ورجلي لأغدو أكثر نضارة وجمال.

- وهل هذا يوميًا؟!

- ليس شرطًا، حسب الإمكانية والوقت.

- المهم، سأذهب أنا لأنام مع أصدقائي العراقيين عندهم سويت وأكيد يوجد عندهم مجال.

- يمكنك أن تنام في فراشك وأنا أنام على هذه الكنبة العريضة المريحة

والصباح رباح كما تقول قصص ألف ليلة وليلة العراقية.

- ألا تعتقدين أن هناك إحراجًا لكِ؟

- لا، لأن أبي أوصى صاحب الفندق بنا وقال له اعتبرهم إخوان وسلمه مبلغًا من المال تحت الحساب لمبيتنا وطعامنا وقال له أي شي يحتاجانه سَهلهُ لهم وأنا حاضر أو تتصل بالسفارة السودانية لتسهل لكم الأمور.

- طيب نامي أنتِ على السرير، وأنا أنام على الكنبة.

- خلاص، خليك أنت بفراشك وأنا كثير من الأيام أنام على هذه الكنبة.

تُخرج ثمرات من المانجو وثمرات من الفروالة والجوافة وبعض الحلويات، ويخرج فلاح كيس الكليجة عمل سميرة ويجلسان... يلاحظ صدرها المكشوف وثوبها الخفيف يرى من خلاله ملابسها ثم عندما تجلس ينكشف أحد فخذيها...

- فلاح، نسيتَ أن تسلِّم عليَّ.

فيقف للسلام، وتقف وتقبِّله فيلمس جسمه كل جسمها وتُطبق عليه فيشعر بحرج كبير فيبتعد قليلاً، إغراء لا يمكن مقاومته، يجلس مهدود الحيل على الكرسي...

- فلاح ما بكَ؟

- تعبان، تصبحين على خير.

يرتمي في فِراشه ويدور وجهه على الحائط، تأتي سهى وتجلس على السرير عند رأسه يدير وجهه فيجده بين أفخاذ سهى العارية...

- أرجوكِ اذهبي لفراشك ولا تجبريني أن أترك الغرفة، أتوسل إليكِ، أنتِ أمانة وأنا وعدتُ والدك وأمك أن أحافظ عليك.
- نحن لا نعمل شيئًا غلط لا سمح الله، إنَّكَ مجرد لا تؤذيني ولا تسبب لي ضررًا.
- سهى، ما اختلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما، أرجوكِ أن تهدأي وتنامي في مكانك، أنا لا أتحمل هذه المسؤولية ولا أحب أن أحنث بقسمي والتزاماتي، أرجوكِ.
- طيب قُبلة واحدة وأذهب إلى النوم...

تُمسك به بقوة وتقبله قُبلة قوية طويلة وتعصره على باب الغرفة حتى يكاد يسقط من طوله، ينظر لساعته إنها الخامسة صباحًا، يقنع سهى بالذهاب إلى فراشها وأن تخلد للنوم، لكنه في حالة تهيج جنسي يحاول أن يسيطر عليه ، فيذهب لينام والأفكار تزدحم في رأسه، ولكن النعاس يغلبه فينام.

• • • •

يستيقظ فلاح متأخرًا، يستحم بسرعة ويذهب إلى الصالة فيجد أبو كرم وأبو شهد بانتظاره ولهما رغبة بزيارة الإسكندرية، يتفق مع موظف الاستقبال بحجز غرفة لهما في أحد فنادق الإسكندرية في شاطئ ميامي قرب المتنزه (قصر الملك فاروق سابقًا)، يتمكن من الحصول على غرفته وينقل حقائبه وسهى ما تزال نائمة.

يغادر الفندق إلى كازينو على النيل ويتناول الإفطار هناك، يختلي مع نفسه ويغط بتفكير عميق، أهم شيء عنده النجاح وضمان المستقبل والمحافظة

على حبهِ لسميرة والالتزام بعهوده لها مهما كلّف الأمر، أما سهى وندى فهذا لهو للتخفيف من الغربة ولكنه لا يود أن تتجاوز الأمور حدودها المسموحة، إذن يتوجب عليه الموازنة والسيطرة على الأمور...

يعود للفندق فيجد سهى في الصالة قلقة عليه.

- أين كنت يا فلاح؟

- في مشوار.

- هل أنتَ زعلان مني؟

- المفروض أنتِ تزعلين مني.

- لا... لا... أنا لا يمكن أزعل منكَ.

- أرجوكِ البارحة أحرجتِني، أنتِ فتاة جميلة جدًا وتضعين أنواع من العطور المهيجة وأنا شاب والحقيقة أنا أخاف عليكِ.

- أنتَ إنسان مؤدب وموضع ثقة وأنا أحبك من كل قلبي وممكن اقنع أبي أن يشتري لنا بيتًا في الزمالك ونتزوج ونكمل دراستنا لنتخلص من الذي تخاف منه.

- مازلنا بأول الطريق وأنا طالب بعثات ولا أعتقد أنه يحق لي الزواج خاصةً من أجنبية ، أنا أدرس على نفقة وزارة الدفاع العراقية يعني مستقبلي ضابطٌ مهندس، إن شاء الله افتهمتِ.

- نحن لسنا بحاجة للدولة ورواتب الدولة.

- لكن أنا بحاجة يا سهى وبلادي بحاجة لي.

- هذه الوطنيات لا تفيدنا، فكر بمصلحتكَ أولاً وقبل كل شيء.. المهم أنا

جعانة، هل نتغدى في الفندق أم نذهب لمطعم؟

- أقترح أن نأكل اليوم أكلات مصرية فول وطعيمة ورقاق عند مطعم الدمياطي مقابل سينما سميراميس، لنتوكل على الله.

- هل نأخذ سيارة أُجرة؟

- لا، إنه قريب، عشر دقائق من خلال سوق التوفيقية.

- لكن هذا السوق مزدحم.

- هناك طريق مختصر سريع.

يعودان للفندق ويشربان الشاي في الصالة ، وتقترح سهى أن يذهبا إلى الساونا والمسبح في الطابق السادس من الفندق ، المسبح مشترك ولكن الساونا غرفة للنساء وغرفة للرجال...

- سهى، سيذهب التدخين تبعكَ سدى.

- اطمئن سأعيده الليلة.

- ومتى تأتي المرأة السودانية لتحننك؟

- أجلت قدومها إلى يوم الخميس.

بعد الساونا تخرج سهى بمايوه فرنساوي حديث، فيرى فلاح تقاسيم جسمها وكامل صدرها الذي يكاد ينفجر ، يذهب إلى الحمام ليهدئ من روعهِ وانفعالاته وتهيجه، فيتأخر، ثم يعود...

- لماذا تأخرت؟

- نا لم أتعود ذلك، وبسرعة تؤثر بي مثل هذه المواقف، إن كنتِ أنتِ العاقلة المؤدبة تفعلين هذا، الله يعلم ماذا تفعل ندى.

- ومن تكون ندى؟

- إنها أخت صديقي في الكلية أنس، من عائلة متحررة جدًا، في الحقيقة أنا يعجبني جدًا بيت صديقي سعد إنهم مثلنا التزامهم بالعادات والتقاليد عالي جدًا.

- الدنيا تتطور واليوم أصبحت مفاهيم الشرف غير التي تربي عليها أهلنا أيام زمان ، اليوم مفاهيم الشرف مثلاً في الدول الأوربية المتقدمة : الصدق والأمانة والعمل وحب المواطنة والإخلاص للوطن وغير ذلك ، وليس الحجاب والتدين... ما يقوله بعض الرجعيين المتخلفين الذين يهضمون حقوق المرأة ويدعون العفة والشرف وكلهم فاسدون ، صدقني يا فلاح ستزور السودان قريبًا إن شاء الله وستجد آلاف البشر تعمل في مزارع أبي لا يملكون سوى قوتهم ًالبسيط ويكدون ليل نهار مثل ثور يجر محراثه أو ثور يدور بناعور وهو يراوح في مكانه ، يأكلهم الجهل والمرض والجوع ، وأبي كأنه ملك زمانه ، نقول له ساعد هؤلاء المساكين ، يقول إذا شبعوا تمردوا ، وأنتَ مازلت بعقلية هذا الفلاح الأُمي البسيط ، نحن كل عام في العطلة الكبيرة يأخذنا أبي لأكثر من شهر إلى باريس ولندن وسويسرا ونرى العجب العجاب، حتى مصر تعتبر بلد متخلف مقارنة بهذه الدول الحرة... فلاح ، الحياة حلوة عيش حياتك وانسى التخلف والأفكار البالية وانطلق ، نحن عودنا أبي على الحرية والثقة بالنفس، الحب ليس عيبًا ومثلما عقلك يحتاج باستمرار لمعلومات ومعدتك تحتاج إلى طعام عليك أن تشبع غرائزك الطبيعية دون أن تلحق ضررًا بنفسك ودون أن تسقط بالرذيلة وتحط من نفسيتك وشخصيتك وكرامتك، يعني ما الضرر إذا قُبلتني أو

قبلتك، ما الضرر إذا عبرت عن مشاعري اتجاهك وقلت لكَ إني أحبكَ، ما العيب في ذلك، نحن نعيش في المدينة في السودان وحولنا أهل الريف يخدموننا ويتمنون رضانا وكلنا بشر خلقنا الله من طينة واحدة.

- والله يا سهى لم أعرف أنكِ فيلسوفة بهذا المستوى، اعتقدت في البداية أنكِ فتاة بسيطة من مجتمع فلاحي متمسكة بالعادات والتقاليد.

- يعني قصدك ساذجة؟

- لا... لا... ليس كذلك.

- أنتم الرجال دائمًا تنظرون للمرأة من نظرة فوقية، عادات إسلامية عربية خلفت مجتمعاتنا كثيراً، تمنيت أن تجلس مع أبي فله فلسفة في الحياة تعلمناها منه أتمنى أن تتعلمها، ونخلص من هذا الهم والتخلف الذي لابسك، عندما أقرأ عن العراق وعن الحضارات وعن العصر العباسي الزاهر ، أقول العراقيين متقدمين علينا كثيراً، أُفاجئ بك فلاحًا يفكر مثل أي فلاح في بلادي.

- أنا إنسان أبسط مما تتصورين، من عائلة بسيطة جدًا نسكن حيًا شعبيًا في بيت بسيط جدًا ولولا عملي في العطلة الصيفية في معمل الثلج وحصولي على مبلغ جيد من المال لما تمكنا من إعادة إعمار بيتنا ولما تمكنا أن يكون لدينا محل بسيط لبيع الكهربائيات يديره أبي الآن، رأس مالنا الذكاء والالتزام والشرف والصدق والأمانة.

- ونحن كذلك رأس مالنا الصدق والأمانة والشرف، هل كذبت عليك يومًا أو خنت أمانة لا سامح الله، وهل أنتَ تنظر لي باني إنسانه ليست شريفة لمجرد قبلت حبيبي؟

- لا... لا... أنا لا أفكر هكذا ولكن العادات والتقاليد التي تربيت عليها ثقيلة عليَّ فاعذريني ، والتطور يتم على شكل مراحل ، حبة حبة يا علام كما يقول المصريين.

تضحك سهى...

- الآن أنتَ تعجبني، لنستمتع بالحياة وفق الأصول.

ينظر إلى تقاسيم جسمها ، ما هذا يا إلهي ، وهل سميرة لها نفس هذه التقاسيم ، سيقان فتاة رياضية بالجمباز ، وخصر بمقاس مثالي ، وصدر ناهد يكاد ينفجر لولا السوتيان ، وفم سبحان الخالق الرسام ، وأسنان كأنها الماس تلمع... كل شيء جميل ، كل شيء فيها ريَّان ناضج كثمرة تم قطافها الآن من شجرتها مع سُمرة قاتلة... ولكن سميرة ملاك ، أحيانًا أتخيل أن لها أجنحة ملائكة ممكن أن تطير ، أخلاق ملائكة طهارة ملائكة... ولكن كم أحتاج من الوقت للبناء ؟... أحتاج سنينًا طويلة ولا أعتقد أني ممكن في يوم أصل لما وصل إليه أبو سهى من ترف ومقام رفيع وغنى ، أنا إن تزوجت سهى سأحرق كثيرًا من المراحل بمعنى أبدأ من القمة ، وإذا تزوجت سميرة عليَّ أن أتسلق الجبل وأسحب معي سميرة وكثيرًا من المقطورات ولا أعلم هل أتمكن من الوصول لقمة الجبل أو أبقى العمر كله عند السفح ، هذا إذ لم أقع في حفرة أو كمين والله الساتر.

يقبع في دوامة عنيفة من التفكير بين كفتين ، كفة ركوب طائرة حديثة للعودة للعراق أو يعود على دراجة هوائية معتمدًا على جهوده وإمكاناته ، عقله بين بين ولكن قلبه كله مع العراق مع سميرة...

ندى لا تفيدني بشيء مجرد مهندسة معمارية جميلة ، ربما في المستقبل

أتعرف على أجمل منها وأقدر منها، ثم أنا لا أستطيع مسايرتها، هي لا تقدر أن تعيش في مجتمعنا المحافظ، إنها متحررة أكثر من المطلوب، ممكن ولكن في حالة واحدة: أن نعيش في بغداد مثلاً في أحياء متطورة مثل المنصور شارع الأميرات كما يصفون لنا الناس عندما كنا في البصرة نسمع مثل هذا الكلام من أولاد بيت الذكير وبيت باشاعيان وبيت أصفر وغيرهم من المقتدرين، ولا أعتقد أنني أستطيع الوصول لهذا المستوى لأني سأكون موظفًا وليس تاجراً، أبي حاليًا بدكانه الصغير يحقق أرباحًا أحسن من أي موظف بالدولة، ولكن الغريب بالموضوع هناك موظفون بالدولة العراقية عندهم قصور وعقارات وشركات وبلاوي ، أكيد هؤلاء حرامية يختلسون أموال الشعب المسكين، يستغلون مناصبهم ومواقعهم ويخونون الأمانة والوطن وما أكثرهم في بلادنا العربية... هناك أكيد يوجد سِرٌّ للتخلف في البلدان العربية والإسلامية وربما أكثر من سِر، أنا لا أحب السياسة ولا بلاوي السياسة... أما سهى فكاملة من مجاميعه جمال وحلال ومال ومستقبل ونعمة وترف، يعني نقلة نوعية صاروخية، مثل واحد يتزوج بنت الملك وينعم بخيراته، طيب وقلبي ومشاعري وحبي وعهودي، وهناك احتمال أبو سهى يعاملني كواحد من عبيده أو ممتلكاته الكثيرة ويسخِّرني للعمل عنده، الفلوس ليس كل شيء بالحياة، الحب والكرامة وشخصية الإنسان واسمه أهم من ذلك، ثم سهى من مجتمع وأنا من مجتمع آخر نختلف باللهجة والأعراف والتقاليد والقيم، وسهى لها تطلعات بنات باريس ولندن وسويسرا، وأنا إنسان بسيط متواضع من عائلة كادحة، ربما سهى تحتقر أهلي عندما تجدهم أُناسًا بسطاء ، أمي إنسانة أُمية وأبي تحصيله المتوسطة وإنسان شعبي يحب البساطة

ومازلنا نأكل في صينية على الأرض، أصلاً لا نملك طاولة طعام رغم أن لدينا إمكانية شراء مثل هذه الطاولة، فلاح احترم نفسكِ ولا تتعب رأسك بأفكار قد تقودك إلى المجهول أحسن شيء اذهب إلى الصالة لأشرب الشاي.

تأتي سهى وتجلس بجانبه:

- لماذا لم تمرّ عليَّ في الغرفة.
- لم أحب إزعاجكِ.
- أنتَ تزعجني؟! ما هذا الكلام؟!
- أنا فكرت هكذا.
- طيب اطلب لي كبداية شاي أرجوك... هل عندك برنامج اليوم أم أنا أختار برنامجًا؟
- اختاري أنتِ سهى.
- لقد اخترت وحجزت تذكرتين في حفلة أم كلثوم.
- هذه التذاكر غالية.
- التذكرة بعشرة جنيهات في الصف الأمامي.
- ولماذا ليس في الصف الخلفي بخمسة جنيهات، أم كلثوم صوت نسمعها بالراديو ونراها بجهاز التلفزيون أسهل وأحسن.
- أسهل صحيح، ولكن ليس أحسن.

فلاح ينتبه: لو كانت سميرة هل كانت تتصرف دون أخذ موافقتي... طبعًا لا، إذن أنا العربة وسهى الحصان ولابد أن تكون دائمًا العربة خلف الحصان، أما إذا عملت مع أبيها سيكون كل كلامي: نعم عمي، حاضر عمي، تأمر عمي، وربما لا يحق لي مناقشته.

يذهبان في الساعة الثامنة إلى مسرح الأزبكية ، القاعة مكتظة ، يأخذ في القاطع الأول مكانهما ، في تمام الساعة التاسعة تصدح الموسيقى بأغنية "أنساك" ، كلمات مامون الشناوي وألحان بليغ حمدي ، تقف أم كلثوم كالطود الشامخ ومنديلها بيدها ، تُقابل بعاصفة من التصفيق ، وتصدح بكلمات ولا أروع ولا أحلى مؤثرة ، تنهال دمعات ساخنة من عيون فلاح ، تلاحظها سهى... تناوله منديلها : فلاح ، أنتَ جدًا حساس ما هذه الدموع الساخنة، تأخذ منه المنديل وتمسح دموعه، ودموعه كأنها مدرار لا ينقطع، تعيد مسح دموعه مرات ومرات على أن يبتل المنديل بالكامل ، فتخرج منديلاً آخر:

أنساك
ده كلام ؟
أنساك !
يا سلام !!
أهو ده اللي مش ممكن أبدًا
ولا أفكر فيه أبدًا
دا مستحيل قلبي يميل ويحب غيرك أبدًا
أهو ده اللي مش ممكن أبدًا

فلاح وضعهُ غير طبيعي... تسمع سهى منه شهقات وزفرات فتخاف عليه وتأخذه للحمام تغسل وجهه...

- فلاح، الأغنية لسه في بدايتها، إيه اللي جرالك حبيبي؟.

يشرب قليلاً من الماء ويعود مع سهى إلى مكانيهما، تستمر أم كلثوم بالمقطع الثاني:

لا ليلة ولا يوم أنا دقت النوم أيام بعدك
كان قلبك فين
وحنانك فين
أنا أنسى جفاك وعذابي معاك
ما انساش حبك
أنساك
ده كلام ؟
أنساك !
يا سلام !!
أهو ده اللي مش ممكن أبدًا
ولا أفكر فيه أبدًا
دا مستحيل قلبي يميل ويحب غيرك أبدًا
أهو ده اللي مش ممكن أبدًا

فلاح بهذه الكلمات المؤثرة بهذا اللحن الرائع بهذا الصوت الرهيب الذي يتغلغل إلى الأعماق ويمسك القلب ويعصره، هذا دواء شافي ينزل على الجرح فينكأه، يعيش لحظات صعبة تضرب على أوتار القلب...

- لا يمكن لسهى وألف من سهى أن تأخذ سميرة مني مهما عملت ومهما حاولت، لدي استعداد أن أعيش مع سميرة في الجحيم ولا أعيش مع سهى في الجنة، ولكن لماذا الجحيم، إن سميرة هي ملاك الجنة، لا توجد جنة بدون سميرة حبي الأول والأخير، أحيانًا أشاكسها من فرط حبي لها.

تنتهي الحفلة في تمام الثانية بعد منتصف الليل، سهى تساعده بالنهوض من الكرسي وتسنده للخروج من القاعة ومازالت عيونه مغرورقة بالدموع... أرجوك تماسك تعبتني معك، ما هذا الإحساس المرهف... تطوق خصره بيدها ، يصلان الفندق:

- هل تريد أن آتي معك لغرفتك لاطمأن عليك.

- لا... لا... تصبحين على خير.

في الصباح تأتي لغرفته وتطرق الباب، فيفتح لها، تدخل دون استئذان...

- كيف حالك اليوم؟

- الحمد لله، ولكني أحس بوعكة صحية، حقيقة تعبان بحاجة إلى النوم.

- طيب لنفطر أولاً.

- اذهبي اطلبي الفطور وأنا قادم.

فلاح يطلب من النادل الحساب:

- يا أفندم كل شيء يُسجل على الغرفة.

- طيب عاوز أدفع حساب الغرفة.

- يا أفندم مع موظف الاستقبال.

- رجاءً الحساب.

- يا أفندم الحساب كله مدفوع أولاً بأول.

- من دفع الحساب؟

- سعادة الباشا.

- سهى، من الباشا؟

- بابا.

- ولكن أنا لا اقبل هذا أرجوكِ.
- والله كلم بابا.
- طيب وثمن تذاكر الحفلة.
- عيب أنا عازماك.
- بس ما يصحش كده، أنا عندي ماهية وكويس والحمد لله.
- ده رأي بابا، إحنا الاثنين أولاده.

فلاح يفكِّر: هل ممكن أن أكون بضاعة تشترى وتباع؟ هل من المعقول أبو سهى يشتريني بفلوسه وينسيني سميرة؟... لا أبدًا أبدًا.

يستأذن ويعود لغرفته ويتمدد على فراشه متعبًا نفسيًا وجسديًا، تنتظره سهى في الصالة، يتأخر عليها كثيرًا فتأتي للغرفة، تدق الباب، يقوم متهالكًا يفتح الباب ويعود لفراشه والعرق يتصبب منه، تضع يدها على جبينه فتجد حرارته مرتفعة: أنت مريض. تذهب إلى الاستقبال تطلب طبيبًا، وتعود مسرعة لعمل كمادات ولديها حبوب براستيمول خافض للحرارة، تعطيه قرصين، ولكنه لا يقوى على النهوض، تطلب له شوربة ساخنة، يأتي الطبيب لفحصه...

- خير دكتور؟
- الأمور كويسة، إرهاق يحتاج لراحة تامة مع كمادات، وهذه الروشتة وغدًا أزوره زيارة ثانية، وهذا تليفوني لو حصل طارئ ولكن اطمئني بعد هذه الحقنة كل شيء تمام التمام.

سهى تكثف من الكمادات ليديه وقدميه، وجبهته وتتمادى فتفتح أزرار قميصه وتسحب البيجامة، وتدلك رجليه وصدره ويديه فتتحرك أحاسيسه ويخجل من سهى...

- الله يخليك كفاية، علشان خاطري كفاية.

سهى لذتها مزيد من التدليك لفلاح ، تقبِّله وتضع خدها على خدهِ وهو مستسلم للأمر الواقع ومرتاح، وكأن سميرة هي التي تدلكه.

عامل الفندق يحضر العلاج ، شراب ونوع واحد من الحبوب وأقراص فواره فيتامين c

سهى تبذل جهودًا استثنائية في خدمته، تأتي بإناء عميق فيه ماء بارد نوعًا ما وتساعده على الجلوس على حافة السرير وتدلك قدميه بالماء لتخفض حرارته...

يكلِّم نفسه:

- والله سهى إنسانة بسيطة رغم أنها بنت باشا يعني غير متكبرة، أعتقد ندى مستحيل تعمل لي مثلها ، وحتى سميرة تخجل أن تعمل مثلها رغم أنها حبيبتي وأقرب الناس إلى قلبي لكن هناك حواجز اجتماعية وعادات تحول دون ذلك ، أخت لا تفعل لأخيها ما تفعله سهى ، هي نوعًا ما متحررة وعندها ثقة عالية بنفسها ، ولكنها ستصبح دكتورة أكيد يدربونهم على الإسعافات الأولية، هذا من صميم واجباتهم.

يخرج مع سهى للصالة يشربان الشاي ، في هذه الأثناء يصل أبو أكرم وأبو شهد قادمين من الإسكندرية ، يستقبلهما أحسن استقبال يحجزان لهما سويت ويقصان على فلاح وسهى رحلتهما الممتعة إلى بلاجات الإسكندرية ، ينصحهما فلاح بالسفر إلى الأقصر لأنه خلال الأسبوع القادم سيكون مشغولاً بالدوام في الكلية ، يستحسنان المقترح ويحجز لهما موظف الاستقبال بالطائرة ويحجز لهما فندقًا، ويقول لهما غدًا الجمعة كل شيء جاهز والسفر السبت.

يتناول الجميع الغداء في الفندق، ويستأذن فلاح لأنه تعبان فتتبعهُ سهى، تتحسس حرارته بشكل جيد: فلاح خوفتني عليك... ينام وتنسحب هي بهدوء إلى غرفتها.

بعد منتصف الليل تتفقده وتأتي لغرفته وتطرق الباب طرقًا خفيفًا ولكنه في سابع نومة لأنه أخذ حبة منوم، تطرق الباب مرات ومرات دون فائدة، فترتعب وتذهب إلى الاستقبال تستعين بالموظف ليفتح الباب بـ"الماستر كي"، فتجد فلاح في سبات عميق، توقظه، فيفتح عيونه على النصف فيلاحظ خيالها:

- كيف حالك؟

- تمام.

تجلس على حافة السرير وتدلك يديه وجبهته ثم قدميه وساقيه وفخذيه، فيمسك يديها لأنه بدأ يتهيج:

- كفاية سهى، أشكرك.

- إنك تخجل مني، لا تخاف سنتزوج وتكون مثل هذه الأمور طبيعية.

- اذهبي نامي، أنا بخير.

- تسمح لي أن أنام على الكنبة؟ لأن قلبي معك وسوف أسهر إلى الصباح.

- سهى براحتك، بحـ......

ولكن لا يستطيع إكمالها، لأن هذه الكلمة ملك سميرة لوحدها.

تستيقظ في السادسة وتتحسسه، حرارته جيدة، تقبِّله وتشد على يده وتستأذن في الذهاب إلى غرفتها...

- أكملي نومك.

- ضروري ارجع لغرفتي.

- خير؟

- حاجات نسائية.

- هل نسيتِ شيئًا؟

- لا... لا

- إذن ما المشكلة؟

- قلت لكَ أمور نسائية؟

- طيب قولي.

- ماذا أقول؟

- هل هي سِرّ؟

- نعم سِرّ.

- والله لن أدعكِ تذهبي إلا أن تقولي هذا السر.

- مع السلامة.

يمسك يدها...

- فلاح اتركني، إنها الإكس.

- وما هذا الإكس؟

- إنها الدورة الشهرية.

يترك فلاح يدها وتعود سهى لغرفتها.

في الثامنة صباحًا تأتي لغرفته فتجده في الحمام... تخبره أنها ستنتظره في المطعم ليفطرا سويًا... دقائق ويأتي، يسلِّم على أبي كرم وأبي شهد...

- كيف حالك اليوم؟
- أنا بخير، وأقترح أن نذهب اليوم إلى القناطر الخيرية.
- اللي تشوفه.

تعتذر سهى عن الذهاب بسبب وعكة صحية، يتردد فلاح بالذهاب، تسحبه على جنب:
- فلاح أنا بصحة جيدة، وهذه حالة متعودة عليها، أنتم ثلاثة رجال لا يصح أن أكون معكم، مع السلامة.

يذهب الثلاثة إلى مرسى الزوارق على النيل، يتفقون مع صاحب الزورق على جولة في النيل باتجاه القناطر الخيرية، سفرة ممتعة في النيل يأكلون الفطير المشلتت والعسل في جزيرة الوراق والسمك المشوي في القناطر الخيرية الواسعة الخضراء الكثيرة السواقي والسدود والأنهار أنشأها محمد علي باشا لدرء خطر فيضان النيل عن القاهرة.

يعودون عند المساء سعداء، ويذهبون جميعًا بعد ساعة زمن إلى كازينو هافانا في العتبة لتناول المرطبات، أبو كرم وأبو شهد يتفرجان على الكتب المعروضة على الأرصفة ، وفلاح يقص على سهى جمال القناطر الخيرية ويعدها أنه سيأخذها في مناسبة أخرى، يتفق الجميع على تناول العشاء عند الحاتي في القصر العيني كباب وكفتة، يستغرب أبو كرم أنهم في مصر يسمون التكة؛ كبابًا، ويسمون الكباب؛ كفتة.

يعود الجميع للفندق، ويودعهم فلاح لأنه سيذهب لكليته في الصباح.

- سهى، هذه الكليجة اقسميها مناصفة بيني وبينكِ وتصبحين على خير.

- لا تستعجل، ستفارقني أسبوعًا بحاله.

يتناولان حبات من الفاكهة ويشربان الكولا ويتسامران... يسألها عن صحتها فتقول له إنه أمر طبيعي يتكرَّر كل شهر عند كل النساء البالغات، إنه موعد نزول البويضة فأن لم تلقح تفسد وتنزل بشكل طبيعي، المهم الفتاة تهتم بنظافتها.

- طيب فلاح قبلة الوداع لمدة أسبوع، ولو أتيحت لك فرصة يوم الاثنين تعال إلى الفندق لأراك.
- سأحاول، تصبحين على خير.
- باي باي.

••••

يلتقي فلاح في الكلية بأصدقائه، وخاصةً سعد وأنس، ويستفسر عن أحوالهم وأمورهم، فلاح جدي في كل شيء ؛ يحضِّر دروسه يوميًا في المذاكرة المسائية، وكثير من زملاءه الطلاب يستعينون به في حل كثير من التمارين الصعبة، يساعد الجميع.

يوم الخميس يذهب مع سعد إلى بيتهم، وفي العاشرة ليلاً يعود للقسم الداخلي... ويوم الجمعة يذهب إلى بيت أنس تلبية لدعوة من أم أنس السيدة هدى...

بعد الغداء تنفرد السيدة هدى بفلاح في الصالة الجانبية الصغيرة:
- فلاح ابني أنا الودُّ ودي أن تتزوج أنتَ وندى وتعيشان معنا في هذه الغرفة

لغاية ما ربنا يفرجها عليك وتتخرج باشمهندس ، وفِي نيتنا كلنا نذهب للعراق نعيش هناك ، أنا حاسة إن ندى تحبك وأنتَ تحب ندى ، فكر كويس، وأنا مش عاوزة الرد دلوقتي، يمكن كمان أسبوع.

- ست هدى أنا طالب في الصف الأول وأمامي وقت طويل، وندى تخرجت وأصبحت مهندسة معمارية ألف من يتمناها.

- العبرة مش بزواج ندى، العبرة كيف سنهاجر إلى العراق أو الكويت، فلاح افهم الغاية.

- طيب... طيب، ست هدى... مع السلامة.

يخرج فلاح مهمومًا من بيت أنس ويعود للكلية، يكلِّم نفسه:

- يعني زواج مصلحة، يعني أنا جسر تعبر عليه أم أنس وعائلتها ومستقبلي وأهلي وسميرة ، أنا دايخ بسهى تطلع لي ندى وأمها ، وندى أكبر مني بخمس سنوات، أنا تريدني ست هدى أضحك على نفسي وأضحِّك الناس عليَّ، والله إذا أم ندى ألحت عليَّ أنا أعرف شلون أتخلص منها ومن ابنتها.

سهى في الفندق تكاد تموت غيظًا:

- أين فلاح ؟ ربما مريض، وربما زعلان مني، أنا تجاوزت حدودي، أنا أعرف الرجل يتجاوز حدوده وليس المرأة، ولكن ما العمل وأنا أحبه وهو خجول أكثر من أي فتاة ، يمكن من الريف ومتشبع بعادات الريف ، الفلاحون عندنا هذه عاداتهم، الحياء والخجل على أشده.

تستعين بموظف الاستقبال ليتصل بكلية فلاح يستفسر عن أحواله يتمكن الموظف من الاتصال ، يمكن ربع ساعة ويتصل بكم على هذا الرقم ، فعلاً يتصل... آلو، سي فلاح، هذه ست سهى تكلمك:

- آلو... سهى.

- نعم فلاح، كيف حالك؟

- كويس الحمد لله.

- قلقتُ عليكَ، لماذا لم تأتي إلى الفندق؟

- عندي امتحانات، مع السلامة.

ويغلق التليفون.

تتألم كثيراً، أكيد زعلان، والله هذا الشاب أمره غريب، البنت تزعل ولا الولد هذا فلاح عاكس الأمور ، حياءه غريب وعاداته غريبة ، ولكن يتعود مع الوقت، فلاح رجل بمعنى الكلمة حقيقي أنا أحبه، جمال وذكاء وحياء.

(١١)

سميرة في البصرة تحيا حياة روتينية بين المعهد والبيت، تعيد الذكريات مع فلاح كل يوم، لا بل كل لحظة، طيفه لا يفارقها وكل كلماته، ووجهة كأن مرآة تسير أمامها باستمرار لا تفارقها أبدًا حتى في المنام، تغمض عينيها على صورته وتفتحها وصورته مرسومة أمامها، هو جزء لا يتجزأ منها، إنه قلبها النابض، كل حياتها... تعيد قراءة رسائله القديمة والحديثة حتى حفظتها عن ظهر قلب مثلما حفظت معلقات الشعر الجاهلي في درس الأدب العربي، سميرة تجيد إلقاء الشعر ولهذا مدرسة اللغة العربية تحبها كثيراً وتشجعها على نظم الشعر، لها محاولات بسيطة... دمعتها في عينها ما أسهل نزولها عند أي ذكرى، والذكريات مع فلاح كثيرة، إنها العمر كله، لقد فتحت عينيها وهي طالبة في الصف الأول ابتدائي على فلاح جارهم حينما كانوا يلعبون سويةً في الشارع مع بقية الأطفال ألعاب البراءة البسيطة ويتقاسمان بعض الحلويات الرخيصة مثل العسلية المصنوعة من السكر والفل المصنوع من التمر والسمسم، لقد كانت الحياة أيام زمان متواضعة وجميلة فيها الصدق والمحبة والأمان... سبحان مغير الأحوال، ماذا فعلت بِنَا أحداث عام ١٩٦٣، وأي خوف ورعب زرعته في نفوس الناس، وما هذا الحزن والكآبة على وجوه العراقيين، العراقي بطبيعته جدِّي لا يحب الهزل منذ فجر التاريخ وثوري لا يرضى بالظلم، ولهذا تعمد الحكومات العسكرية لقيادته بالحديد والنار، الحمد لله فلاح يدرس في مصر في هذه الظروف الحرجة التي تمر بها بلادنا.

سميرة متفوقة في دروسها، باستمرار الأولى على المعهد، اليوم علم الطلاب

من المديرة أنه سيتم تقليص الدراسة إلى سنة ونصف لحاجة التربية والتعليم لمعلمين للمدارس الجديدة، فرح الجميع وهللوا ووُزعت الحلويات في المعهد ، ويوم الخميس بشرت سميرة أمها بهذا الخبر السعيد، لكن سميرة خائفة من تنسيبها بعيدًا عن أهلها في القرى والأرياف كما ينص قانون التعليم للمعلمين الجُدد ، وربما تنسب في أماكن موبوءة في عمق الأهوار حيث صعوبة الحياة والمواصلات ، ولكن ما العمل أصبح عندها راتب وضمنت مستقبل أمها وأخوتها من تقلبات الحياة وخوفها منها، لحد الآن تعيش على الآمال، لقد أصبحت معلمة هذه الحقيقة الوحيدة في حياتها، تنتظرها وتعد أيامها القليلة الباقية وهي مطمئنة للنجاح والتعيين.

أم فلاح وأبوه مهتمان بأحوال سميرة وأهلها الذين يزورونهم تقريبًا يوميًا، وأبو فلاح رفع الأرباح لهم إلى أربعين دينارًا في الشهر بسبب غلاء المعيشة المستمر في البلاد.

أبو فلاح يتابع بناء البيت، لقد وصل مرحلة السقف واستحق القسط الثاني، لديه المال الكافي للتسديد ولو نوعًا ما يؤثر على السيولة في المحل ولكن لا بأس.

فلاح يتفوق بالكلية ويحصل على امتياز في أربعة دروس أساسية يتقاضى عن كل درس عشرة جنيهات طبقًا لنظام الكلية وتمنحه الجامعة منحة ألف جنيهًا لتفوقه في الدراسة ، يبعثها لأهله عن طريق السفارة... يفرح أبوه لهذا الحدث السعيد ويسلِّم المبلغ فورًا للمقاول ويشكر فلاح برسالة، فيرد عليه ويوصيه بضرورة الاهتمام بسميرة وعائلتها وسد كل احتياجاتهم.

للأسبوع الثاني فلاح لا ينزل إلى الفندق... يزداد قلق سهى عليه ، تتصل بالسفارة السودانية يوم السبت بالموظف الذي أعطاها أبوها تلفونه للاتصال به عند الضرورة ، فيكلِّف السائق صابر بالذهاب إلى كلية فلاح والسؤال عنه...

ضابط خفر الكلية (النوبتجي) يرسل في طلبه... في المكتبة يطالع دروسه ، فلاح يرحب بصابر ، يَعرِفه لأنه أوصله للمطار عندما سافر للعراق وكان برفقتهم عندما ذهبوا إلى الأهرامات وحديقة الحيوانات:

- ست سهى بنت الباشا تسأل عنك وجدًا قلقة.

- خلاص سلِّم لي عليها وأنا بصحة جيدة.

يعود صابر:

- ست سهى فلاح كويس وبصحة جيدة.

- هل قال لكَ إنه سيأتي يوم الخميس للفندق؟

- لا، لم أسأله هذا السؤال.

- أرجوك أن تعود وتسأله علشان خاطري.

- حاضر يا ستي.

- دقيقة، خذ هذه الرسالة اعطِها لفلاح.

يقرأ فلاح الرسالة...

حبيبي فلاح أني أموت... ضروري أراكَ يوم الخميس بأي ثمن.

تمر الأيام وسهى تحسب دقائقها... تنتظر يوم الخميس في الصالة بعد الغداء ، يأتي صابر ومعه تذاكر السفر إلى السودان في ٤/٢٢ الساعة السادسة مساءً والعيد يصادف يوم ٤/٢٣ والعودة يوم ٤/٢٨ الساعة السادسة أيضًا رقم الرحلة ٤٨٦ ك.ل الخطوط الجوية المصرية.

- شكرًا صابر.
- أي خدمات ست سهى؟ سأكون عندكم الساعة الثالثة ظهرًا يوم السفر إن شاء الله لتوصيلكم للمطار، مع السلامة.

في هذه الأثناء يدخل فلاح الصالة ويسلم على سهى وصابر... تسحبه من يدهِ إلى غرفتها وتحتضنه وتقبله وتبكي على صدرهِ فيجلسها على الكرسي ويقبل رأسها ويعتذر منها...

- والله كدت أموت، لماذا كل هذا الظلم؟ والله أنتَ أكبر ظالم.
- بشرفك سهى...
- ليه أنتَ كده؟
- حقيقة أنا زعلان وسأغيِّر الفندق.
- ليه؟؟! أنا عملت حاجة غلط لا سمح الله؟!
- أنتِ تدفعين عني فلوس وكأني لا شيء بنظرك، أنا لست فقيراً لأحد، لا أسمح لأحد أن يدوس على كرامتي.
- أنتَ قلت لي مرة إِنَّكَ ترسل فلوس إلى أهلك فهل أنتَ تنتقص من كرامتهم ؟!
- هؤلاء أهلي...
- ونحن أهلك، لازم تفكر كويس أرجوك، وبلاش من هذه الحساسية المفرطة.

يقتنع بكلامها ويقبلها في رأسها، تحضنه وتقبله ثلاث قبلات متتالية تقول له: صافي يا لبن... فيرد عليها: صافي يا لبن.

يذهب لغرفته، يستحم ويغيِّر ملابسه، ويأتي لها في الصالة فيجد أبا كرم وأبا شهد قد عادا من الأقصر فيرحب بهما:

- بعد أن ترتاحا اليوم في التاسعة نذهب لعرض مذهل في مسرح البالون في العجوزة.

- فلاح حبيبي أطلب منك طلب، ولا تكسفني أرجوك وإلا أزعل عليكَ مثلما زعلت عليَّ.

- ماذا تحبين سهى؟

- أحب أن أهدي لكَ بدلة سوداء بمناسبة عيد الأضحى القادم على ذوقي، الله يخليك وافق أرجوك، تعال إلى الدرزي (الخياط) الذي تحت الفندق ليأخذ مقاساتك.

- أمري لله.

تكلِّم الدرزي:

- هذا فلاح، أين القماش الذي اتفقنا عليه؟ أريد البدلة جاهزة قبل العيد بيومين.

- حاضر... حاضر... مع السلامة.

- سهى فاجئتِني، ماذا أشتري لكِ بمناسبة العيد؟

- نتفق أنا وأنتَ.

- لا، سهى أنا غدًا الجمعة اشتري على ذوقي.

يذهب الجميع للمسرح لحضور عرض جمباز روسي، تخاف سهى من بعض الحركات العنيفة ومن الطيران في فضاء المسرح وتلوذ باستمرار بفلاح وتدس رأسها بصدرهِ... يغادران المسرح خوفًا عليها ويعتذران من أبي كرم وأبي شهد ويذهبان إلى شاطئ النيل للنزهة وشم الهواء المنعش، وشرب الكولا مع السميط (الجرك).

- حبيبي فلاح أنتَ أصبحتَ كل حياتي، لا أستطيع الحياة بدونك، أرجوك لا تعذبني، روحي فداك.

••••

يوم الجمعة يتفقون على زيارة حي الحُسين ، يصلون مع صلاة الظُهر فيجدون تجمعات هائلة من الناس في الميدان وفِي الصحن ومجموعة كبيرة من الدراويش يضربون الدفوف ويتمايلون ويهزون الرؤوس فتتمايل.. الله حي.. الله.. الله حي، يخاف فلاح على سهى ويتذكر ما حصل لها في السيدة زينب فيسرع بالخروج والذهاب إلى مقهى نجيب محفوظ في سوق الصاغة، يتناولون الغداء حمام محشي ويشربون الشاي الكشري ويصر أبو كرم على دفع الحساب ، يستأذن فلاح لقضاء حاجة فيذهب لأحد الصاغة ويشتري كلمة الله مع زنجيل كارتير قصير ويضعه الصائغ في علبة جميلة ويعود بسرعة والعلبة في جيبه.

يحدثهم أبو كرم عن نجيب محفوظ وأدبه وقصصه الكثيرة وثلاثيتهُ المشهورة : قصر الشوق ، بين القصرين ، السكرية... وكيف تمكن من كتابتها في هذه المقهى، المصريون يكرمون عظماءهم بتخليد تراثهم وأسمائهم.

- نحن العراقيون لا نملك هذه الثقافة ، عظماؤنا ، علماؤنا ، أدباؤنا معظمهم مغتربون هاربون من بطش السلطة لأنها تطاردهم، بعضهم لا يجرؤ على دخول الوطن خوفًا من غياهب السجون وملاحقات الأمن لهم ، شعراء كبار لهم وزنهم في العالم العربي لا بل بالعالم أشعارهم مترجمة إلى لغات حية يعيشون في الغربة مشردين، أين الجواهري الكبير؟ أين نازك الكلائكة ؟ أين لميعة عباس عمارة؟ أين سعدي يوسف؟... الشاعر يجب أن يكون

مطية للحكومة يسخِّر كل شعره للمديح ، وأي مديح ؛ مديح الظالمين الجلادين ؛ جلادي الشعب القتلة المجرمين الذين يصادرون كل الحريات ويحكمون الناس بالحديد والنار ، بينما نلاحظ في مصر وهي من البلدان العربية الوضع يختلف تمامًا، عند المصريين ثقافة تخليد وتعظيم عظمائهم بمتاحف يقيمونها لهم وتماثيل يخلدوهم بها ، أتمنى أن تشاهدوا ضريح فكتور هيجو ونابليون في باريس ، وضريح شكسبير في لندن وضريح بوشكين في روسيا، الأمم العظيمة تمجِّد عظماءها إلا نحن العراقيون.

يعودون للفندق بعد ساعتين من الزمن يجلسون فيها في كازينو على نهر النيل، سهى تذهب مع فلاح لغرفته...

- لم أشبع منكَ، أريد أن أسهر معك الليلة.
- كيف حال دراستكِ ومستواكِ في الدروس؟
- اطمئن ، جيدة ودرجاتي جيدة... أنتَ وضعتني على السكة الصحيحة ، أشكرك.
- هذا واجبي وسعادتي، أنتِ غالية عليَّ والله العظيم.
- الله يخليك تقدر تعدي عليَّ يوم الاثنين ولو لساعة واحدة.
- اذكري الله، لم يبقى للعيد سوى أسبوع واحد وسنسافر معًا.
- تعرف ماذا أتمنى؟... لو أنا وأنتَ في جزيرة نائية وسط المحيط بدون ناس.
- نعم، نعم... إنها جزر الواق واق.
- تسخر مني؟ أشكرك.
- لا والله ولكني أوضح لكِ الأمور، هذه الجزر في خيالك في قصص ألف ليلة وليلة، لا وجود لها في الحقيقة... اذهبي نامي، غدًا عندك وعندي دوام.

- أنا اليوم أنام على الكنبة لا أفارقك أبدًا، أعطني بيجامة من عندك.

يقبل مضطرًا لأنه يعرف عنادها، يتناول من الدولاب بيجامة ويعيدها فورًا، انها بيجامة سميرة التي اشترتها له ولبستها لتبقى رائحتها بها... يخرج بيجامة جديدة ويسلمها إلى سهى ، تلبسها بالحمام بعد أن تأخذ دوشًا سريعًا لجسمها دون شعرها...

- انتظر سأعود لغرفتي لأتدخن واجلب لي ثوب نوم وأعود بعد ساعة ، أرجوك لا تغلق الباب بالمفتاح.
- حاضر... حاضر.

يستحم ويتعطر وينام... بعد ساعة سهى جالسة على السرير عند رأسه تربت بيدها على خده، يدور رأسه فإذا هو بين فخذيها العاريتين يشم رائحة المسك والعنبر التي تثير الشهوات...

- ما هذا سهى، ماذا تفعلين؟
- لا أقدر على فراقك أعذرني، أنا أحبك، أشتهيك، أريدك، ولكن بالله عليك لا تؤذيني، نحن بالسودان مثلكم في العراق عذرية الفتاة كل شرفها.
- وهل ممكن أنا أؤذيكِ؟ أرجوكِ اذهبي لغرفتك.

تتمدد على طول فلاح وتحضنه ، وتطبق عليه بكامل جسدها وتقبله قبلة عنيفة تفرغ فيها كل شوقها واشتياقها وشهوتها فيه ، يرتجف ، ويستسلم للأمر الواقع، ويحس بماء لزج ينساب منه:

- أرجوكِ ارحميني وارحمي نفسكِ، لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك.

تسارع بدخول الحمام، وتتأخر هناك، وهو يحتاج الحمام، تخرج وقد لفَّت

شيئًا بمزيدٍ من ورق التواليت بيدها وتذهب مسرعة لغرفتها... فلاح في نشوة ما بعدها نشوة، وسهى في حلم جميل وقد أفرغت حملاً ثقيلاً عنها وشعرت أن وزنها قد خَفَّ كثيراً.

• • • •

فلاح في السابعة صباحًا يودع أبا كرم وأبا شهد ويتمنى لهما سلامة العودة غدًا للوطن سالمين ويعتذر عن أي تقصير... يقبلانه ويودّعانه ويشكرانه على كل شيء ويبلغه أبو كرم لأول مرة، أنه محافظ البصرة، وأبو سعد مدير التحرير في المحافظة أي مدير الحسابات...

- أي شيء يحتاجه أهلك نحن برسم الخدمة، وإذا عدت إلى بغداد في الإجازة ضروري زيارتنا، مع السلامة.

يذهب إلى غرفة سهى، يطرق طرقًا خفيفًا على الباب، تفتح وهي في ثوب النوم الشفاف الكشمشي الذي يبان من تحتهَ كلُّ شيء، وقد نست أن تلبس ملابسها الداخلية، يحاول غلق الباب بسرعة لكنها تسحبه بقوة داخل الغرفة وتطبق عليه بقبلة قوية، يتهيج، ولكنه يضبط نفسه بالعافية ويخرج وقد وضع حقيبته الصغيرة أمامه تلافيًا للفضيحة...

يرمي نفسه في التاكسي في باب الفندق ويعود للكلية غارقًا في أحلامه وأوهامه مؤنبًا نفسه متذكرًا سميرة:

- والله أنا خائن، والله أنا خنت العهد مع سميرة، ليتني متُّ قبل اليوم، كنتُ أخاف من ندى ومن جرأتها، الآن سهى تجاوزت كل الحدود، أي حُب هذا، والله هذا جنس، لا تسيطر على نفسها، فتاة جنسية تعشق

الجنس وتهواه، والله هذا تهور، ترى متى أستطيع تحمل مثل ذلك، ربما في إحدى المرات يحدث المحظور، اليوم لولا أني بكامل ملابسي وسهى شبه عارية ربما لحصل ما لا تُحمد عقباه، الله يستر كيف أحِدُّ من تهور سهى واندفاعها، عليها أن تحافظ على نفسها، ستصبح طبيبة وهي بنت وزير لو حصل شيء لا قدر الله سيجبرني أبوها على الزواج منها، وما هو مصير سميرة المسكينة، أكيد ستموت أو تضيع وأتحمل أنا ذنبها بالكامل... يعني لو سميرة لا سمح الله تعمل شيئًا بسيطًا من هذا؛ هل يمكن أن أسامحها؟ لا والله يمكن أن أقتلها وأضيع مستقبلي، ماذا تفعل يا فلاح، أين عهودك لسميرة؟ أين قسمكَ على قبر أبيها، والله إنَّكَ لا تستحي، عليك أن تخجل من نفسك يا تافه يا كذاب، هل نسيت حكاية أبيك لكَ عندما قال لكَ إن الذي يكذب يستطيع أن يسرق ويستطيع أن يزني لأن الكذب والسرقة حلقات مترابطة، هذه سهى أمانة في عنقك، كيف تسمح لنفسك بكل هذا... بشرفك هذا حب... لا والله هذا نوع من الجنس يعني إلا يدخل المرود بالمكحلة كما يقول العراقيون حتى يسمى جنسًا، لا، لا. هذا الجنس بلحمه وشحمه وعظمه.

السائق بباب الكلية: تفضل يا بيه...

فلاح ينتبه لنفسه يدفع أجرة السائق على العداد وينزل.

• • • •

لم يبقَ إلا أربعة أيام على موعد السفر إلى السودان، فلاح في المساء يجتر الذكريات:

- سهى تسحبني بقوة لأرض قتل، يا الهي ماذا أفعل، أترك سهى وأترك الفندق؟ سهى أصبحت قدري، ثم بدون سهى أين أقضي وقت الإجازة، ما ذنبي أنا لأحاسب نفسي ؟!... المفروض سهى تحاسب نفسها لأنها فتاة يجب أن تحافظ على نفسها، جدي رحمه الله كان يقول إن النبي كان يقول: لا يختلي رجل بامرأة حتى ولو كان يقرأها القرآن، فكيف أنا وسهى في غرفة واحدة، لا بل في سرير واحد ونحن في عنفوان الشباب، الله يستر.

فلاح في المكتبة يذاكر ويرى صورة سميرة مرسومة في كتاب المذاكرة فيحدثها :

- سميرة أنتِ عمري، أنتِ حياتي، أحبكِ بكل جوارحي، لا بل بكل خلية حيَّة في كياني...

يُخيل إليه أنها ترد عليه:

- يا روح سميرة، يا قلب سميرة...

- أرجوكِ سامحيني واغفري ذنوبي، أتوسل إليكِ حبيبتي، لقد أخطأتُ، وإليكِ أتوب، ولكن عن هواكِ وحبكِ لن أتوب... لقد تكاثرت عليَّ الذنوب ولست بقاصدها، والله هي التي تقصدني وتطاردني وتفرض نفسها عليَّ والله العظيم، الودُّ ودي أن أفضفض لكِ عما يجيش بداخلي وأكتب لكِ عن تهور ندى وسهى الحقيقة سهى كانت عاقلة مؤدبة ولكنها تجاوزت الحدود المسموحة، سأذهب معها للسودان لزيارة أهلها هناك، أبوها وزير وعنده أملاك كثيرة وأراضٍ زراعية واسعة، إنه باشا كبير، الكل في خدمته...

- فلاح هل جننت؟ وتكتب لسميرة كل هذا...

يكلِّم نفسه... إنه في مرحلة هذيان، بعد أن أدمن حب سميرة حَدَّ النخاع وتشربت في دمهِ وكيانه وأحلامه... سميرة يجب أن لا تعلم بذلك لكي لا أحطمها وأقضي عليها... ولكن في الصدقِ منجاةٌ وحبل الكذب قصير... إنه حمل ثقيل يجب أن أزيحه عن كاهلي، من حملَ ما لا يطيق هلك، لا... لا... لا أدمر حياتي وحياة سميرة... هي لا تقدر على تحمل مثل هذا الكلام... أكيد ستمرض وربما تموت لا سمح الله، فلاح أكتم السر ولكل أزمة فرج...

ضـــــاقت فلـــــما اســـــتحكمت حلقاتهـــــا

فُرجــــــت ، وكنــــــت أظنهـــــا لا تفـــــرج

لنرى النهاية كيف ستكون، ولكن يا فلاح إياك أن تنوخ للمغريات والمال، إياك أن تخون العهد وتقتل الحب، لا... لا... أنا أضحي بأي شيء في هذه الدنيا إلا حبي لسميرة وتعلقي بها وإسعادها، إنها حبي الأول والأخير.

نَقِّــلْ فُــؤادَكَ حَيــثُ شِــئتَ مِــن الهَــوى

مــــا الحُـــــبُّ إلاّ للحَبيـــــــبِ الأوَّلِ

كَــــمْ مَنْــــزِلٍ فِي الأَرْضِ يألفُـــــهُ الفَتَـــــى

وحَنِينُـــــــــهُ أَبَـــــــداً لأوَّلِ مَنْـــــــزِلِ

يحاول أن يقنع نفسه بأشعار حفظها أيام الدراسة أيام زمان، ولكن هيهات، إنه يشعر بداخله بالذنب، ولكن للغربة القاتلة ظروفها ومتنفساتها... امنحي القوة والصبر يا الله.

يحزم حقائبه بعد أن يختار أحسن ما عنده من ملابس ويترك مجالاً للبدلة

الجديدة في الحقيبة ويركنها بجانب الدولاب، ينشط في تحضير دروسه فيأخذ كتبهِ ويذهب للمكتبة للمذاكرة. ينزل عند المساء يوم الثلاثاء الموافق ٤/٢١، فيجد سهى في الصالة ترحب به وهي تقرأ...

- خير سهى؟
- كل خير، لكن غدًا عندي امتحان الساعة العاشرة صباحًا وأعود فورًا وأحسن شيء تأتي معي للكلية... فلاح ، هناك موضوع في درس الفارما كولوجي (علم الأدوية) لا أستوعبه.
- ما رأيك ، أسرع وسيلة نذهب لخال صديقي سعد الصيدلي في ميدان طلعت حرب القريب منا، إنه أستاذ في كلية الصيدلة نستعين به.
- نعم... نعم... بسرعة.

تتفاجأ سهى أنه أستاذها في علم الأدوية... يرحب بهما ويسأل فلاح عن أحواله...

- أنا بخير يا دكتور، ولكن سهى عندها استفسار من حضرتك لو سمحت.
- تفضلا في المكتب... خيراً إن شاء الله...
- أستاذي هذا موضوع لم أستطع استيعابه...

الدكتور يشرحه لها خلال ربع ساعة...

- واضح سهى؟
- نعم واضح دكتور.
- ركزي على هذا الموضوع - ويؤشرهُ لها بالقلم -... مع السلامة حظًا سعيدًا.
- فلاح، كم أنا محظوظة.
- ركزي على هذا الموضوع الذي أَشَّرهُ لنا الدكتور أكيد سيأتي سؤال منه.

- أكيد، لأن الموضوع مهم والأستاذ أكَّد ذلك.

يعودان للفندق، وبباب الفندق يتذكر فلاح البدلة...

- اطمئن، استلمتها، وهي في دولابي... وأرجو أن لا تزعل اشتريت لكَ قميصًا راقيًا حرير أبيض وتي شيرت أبيض جميلاً.

- ما هذا يا سهى؟

- قلت لكَّ أرجوك لا تزعل، أنا أعرف أنكَ حساس ولكن أنا يعجبني أن أراك أشيك شاب في العالم.

يجلسان في الصالة الصغيرة الجانبية يذاكران وسهى مركزة على كتابها ويحاول فلاح مساعدتها بالقاموس العصري... وبعد ساعتين تستوعب الموضوع ولكن الأمر يحتاج إلى إعادة...

- طيب نذهب لقياس البدلة.

- اِعطِني البدلة لأقيسها.

- دقائق وكل شيء عندك حبيبي.

- البدلة والقميص والحذاء تجنن، سيت متجانس، والله أنتَ أجمل عريس.

- وأنتِ أجمل عروسة.

فلاح لحد هذه اللحظة لم ينادي سهى بكلمة حبيبتي ، لأن هذه الكلمة تملكها سميرة لوحدها ولا يمكن أن يجزئها أو يشارك أحدًا بها سميرة...

- تسمح لي أن أقبِّلك؟

- لنعود للصالة عندي كلام يجب أن تسمعيه... أرجوك أن تضبطي الأمور،

دراستنا ومستقبلنا قبل كل شيء، لأن كلياتنا صعبة جدًا وتحتاج إلى جهد استثنائي، كذلك أرجوكِ ونحن عند أهلك يكون بيننا الاحترام المطلق ولا أسمح لكِ أبدًا أن تأتي لغرفتي وإلا حجزتُ في أي فندق، اتفقنا؟

- نعم، كل طلباتك مُجابة.

يذهب لغرفته، يضع الملابس الجديدة في الحقيبة، يطلب من سهى أن تنام قبل الحادية عشر لتنهض في الصباح وتراجع قليلاً ثم يذهبان للامتحان.

تدخل قاعة الامتحان في العاشرة وتخرج منها في الحادية عشر والنصف وابتسامة عريضة على وجهها...

- خير سهى؟

- تصور، سؤالان من الموضوع الذي أشَّره لنا الدكتور، والسؤال الثالث الذي شرحه لنا في الصيدلية...

- والسؤال الرابع؟

- هي ثلاثة أسئلة أجبت عليها بالتمام والكمال... تعرف أن مجال علم الأدوية واسع لا يمكن الإحاطة به، لقد كانت فكرتك جدًا ذكية بالذهاب إلى خال سعد.

- تهانينا، والآن نذهب لتناول الغداء في مطعم محترم في سوق التوفيقية ثم نعود على وجه السرعة للفندق لتحضير الحقائب وانتظار صابر السائق.

- وهو كذلك.

في تمام الساعة الثالثة ينقل صابر الحقائب للسيارة، وينطلقون إلى مطار القاهرة الدولي.

(١٢)

تصل الطائرة الخرطوم قبل السادسة، فيجدان باستقبالهما والد سهى وأختها الصغيرة ومجموعة من موظفي أبيها، يتجهون إلى صالة كبار الزوار يشربون العصير، ثم إلى سيارات مرسيدس سوداء في انتظارهم.

- سهى، أين الحقائب؟
- أخذوها الموظفون تبع بابا.

يهمس لنفسه: ما هذه الأُبهة؟ يا سلام على الخير والمنصب.

المشكلة أن السيارة مظللة، فلا يرى شيئًا من الجانب ولكنه يرى من زجاج السائق ومن الزجاج الخلفي أنهم يسيرون في موكب رسمي... يشاكس سهى:

- أنا اليوم القائد العام للقوات المسلحة.

تضحك:

- إنت لسه شفت حاجة؟.

تتوقف السيارات أمام قصر منيف في بابه الخدم والحشم، يفتحون الباب لفلاح وسهى ويفتحون بابًا آخر للباشا... فلاح في حالة ذهول مما يراه... يدخلون القصر الفسيح... صالة شرب الشاي أكبر من بيت فلاح كلهُ، وأجمل ألف مرة...

- ما هذا العز؟!!... يا إلهي، ربما عندنا ناس يعيشون في هذا المستوى ونحن لا نعلم، الله أعلم.

يرتاح الجميع قليلاً ويشربون الشاي، ترافقه سهى إلى غرفته...

- سهى، هذه حدودك كما اتفقنا.

- حاضر فلاح... سأذهب لأمي وأخواتي، مع السلامة مؤقتًا.

ينظر فلاح من شباك غرفتهِ التي هي عبارة عن سويت فخم، فيرى الحدائق الغنَّاء وأنواع الورود الزاهية والأشجار الباسقة المنظمة وهناك عدد من القصور التي تحيط بالقصر الكبير... والله إنها "سرايا" كما يسميها المصريون، لا يابا أبو فلاح وأبو سميرة متونسين عندهم بيوت شعبية أصغر من بيوت خدم الباشا، الله يعلم بيتنا الجديد في أي مرحلة من البناء وصل، ولكن أي بيت مقارنةً بهذه القصور... والله قصور ملوك... في الصور رأيت صورة قصر الرحاب وقصر الزهور والله لا شيء بالنسبة لهذه.

يأتي كبير الخدم:

- تفضل يا باشا إلى صالة الطعام، الباشا الكبير ينتظر.

يلبس البدلة الجديدة وملحقاتها فيجد العائلة كلها بانتظاره يرحبون به أحلى ترحيب، هناك بعض الكلمات سريعة لا يفهم معناها ولكن عمومًا اللهجة السودانية تشبه إلى حد بعيد اللهجة المصرية ولكن بلكنة تختلف.

ينظر يمينًا ويسارًا فيجد طاولة وقد رُتبت عليها الفاكهة بأنواعها وأخرى عليها أنواع المشروبات الغازية وثالثة عليها القهوة والشاي ورابعة عليها أنواع الحلويات، وعلى كل طاولة يقف خادم بملابسه السودانية المتميزة وعمامته الملونة يلبّي الطلبات.

تجلس سهى بجانب أمها، وبين الحين والآخر أمها تقبِّلها وتضمها إلى صدرها وتمسح على رأسها وكأنها قديسة.

فلاح ينظر من الشباك الكبير من خلال الزجاج إلى المساحات الخضراء التي تحيط بهذه القصور وإلى أشجار المانجو والموز والعرموط والأجاص والجوافة وغيرها...

يتناولون العشاء من أطباق متعددة وكبيرة، الخدم يملأون أطباقهم، سهى تطلب منه أن يرافقها في جولة حُرَّة حول بيتهم:

- هذه أربعة قصور عامرة، هذا بيت العائلة الكبير، وهذا بيتي أنا مسجَّل باسمي ومؤثث أحسن تأثيث على ذوقي وهناك بيوت الخدم، الآن سندخل بيتي.
- طيب، كما تحبين.

يفتح الخادم الباب الرئيس والإنارة...

- هل أنا في حلم أم في علم؟... معقول سهى تملك كل هذا وأنا اتدلل عليها وأزعل منها واشترط عليها وهي تحاول أن ترضيني والله الظاهر أنا بطران أو عبيط كما يقول المصريون، أنا وسميرة ندرس لنتوظف لكي نعيش، لكن سهى تدرس وتتغرب عن هذا العز لمن، ولماذا؟ إنها تعيش في جنة حقيقية ونحن نحلم بجنة روحانية يُقال إنها في السموات السبع ولكن لحد الآن لم يراها أحد، لكن هذه الجنة موجودة أراها وألمسها وأتدلع عليها، ما هذا الغباء يا فلاح؟ وتبقى المشكلة سميرة، لو يقدر الله يبدِّل لي سهى بسميرة... ما بالك فلاح تضحك على نفسك مثلما يضحك علينا رجال الدين بالجنة والنار، أستغفر الله وأتوب إليه، هل أنا يهودي لأقول ذلك لأن

اليهود حسب ما سمعت من خضوري اليهودي الصرّاف يقول هنا في هذه الدنيا الجنة والنار وليس في عالم آخر... والله أنا لا أعرف ماذا أقول ربما أنا مجنون ولا أعلم، إنها معادلة معقدة يصعب حلها، ولكن نعود فنقول العقل بالصبر والصبر مفتاح الفرج.

في الصباح بعد تناول الإفطار أنواع الأجبان والألبان والقشطة والفطير المشلتت بالدهن الحُرِّ والعسل الأصلي، يقوم فلاح وسهى وأختها بجولة بالسيارة المرسيدس الفارهة في الخرطوم مع الدليل فتاة سودانية تعمل في مكتب سكرتارية الباشا.

السودان يا سادة تعني بلاد السود أو أرض السود لسمار بشرتهم القاتم، والمصريون يسمونها بلاد النوبة، كانت مصر والسودان بلاد واحدة من زمن الفراعنة، حتى استقلت عام ١٩٥٦ بعد ثورة ١٩٥٢ التي أطاحت بالملك فاروق ملك مصر والسودان، العاصمة الخرطوم التي يلتقي عندها النيل الأزرق بالنيل الأبيض وبجانبها أم درمان مثل القاهرة والجيزة أو مثل الكرخ والرصافة في بغداد، من أحلى المدن في الشمال طبعًا الخرطوم وأم درمان والجزيرة وفِي الجنوب جوبا وبامبيو ومدينة واو التي تعني النار رغم وفرة مياهها ومزارعها، هذا نهر النيل وهذه جامعة الخرطوم وسنعبر إلى جامعة أم درمان ولنجلس في هذا الكازينو الجميل على ملتقى النهرين العملاقين. السودان تعتبر سلة غذاء العالم لسعة أراضيها الصالحة للزراعة ووفرة مياهها النقية وكثرة الطمى الذي تجرفه الطول والفيضانات، المياه الزائدة تذهب إلى مصر من الجنوب إلى الشمال ويقال إن نهر النيل الوحيد الذي يجري من الجنوب إلى الشمال ويصب في البحر الأبيض المتوسط فهو أمرٌ عجيب.

عند الظهيرة يعودان للبيت ويتزهان في بساتين الفاكهة المجاورة للقصور ويقطع فلاح حبات من الفاكهة، ويعودان لتناول الغداء...

تخبرهما أم سهى:

- الباشا اليوم سيتأخر، يمكنكما تناول الغداء معنا أو لوحدكما...

- ماما نريد لوحدنا.

- خلاص سهى على راحتكما.

سهى تقول لفلاح:

- أرجوك لا تتقيد ، البيت بيتك والأهل أهلك ، وأنتَ لاحظت أهلي كم يحبونك... خلف القصر يوجد مسبح جميل يحيطه سياجٌ عالٍ لكن المشكلة لا نستطيع أن نسبح معًا... في القاهرة عندما تسبح النساء يُحظر على الرجال التواجد في المسبح والعكس صحيح، رغم أن أبي إنسان متحرر ولكنه بنفس الوقت متدين يراعي التقاليد والعادات ، أنا أكثرهم تحررًا لأني درست في القاهرة ، أنتَ لست متحررًا كفاية كأنك كنت تعيش في قرية بالعراق رغم أنهم يقولون إن بغداد والبصرة من المدن المتقدمة في الوطن العربي.

ينسحب فلاح لغرفته للراحة، وسهى تذهب لأمها وأخواتها.

• • • •

الباشا عنده صالون ثقافي يلتقي فيه كل ليلة جمعة مع مجموعة من المثقفين والمسؤولين الكبار في الدولة وبعض رؤساء الأحزاب لمناقشة كثب من الأمور، الباشا يدعو فلاح لحضور الصالون ليتعرف على كبارات البلد وعدد من

الكتاب والشعراء السودانيين، وبالصدفة كان الكاتب المصري المشهور "أنيس منصور" ضيف شرف على الصالون، هذا الكاتب فلاح يحبه ويقرأ له عموده في جريدة الأهرام القاهرية وهو معجب بأفكاره، كذلك كان فلاح عنده فكرة عن شاعر الأمة السودانية المشهور في أفريقيا ومصر محمد مفتاح الفيتوري.

احتدم النقاش، وكان معظمه نقاشًا سياسيًا، ولكن تدخل الباشا وحوَّله إلى نقاش ثقافي، أنيس منصور يقول بعد أن تعرف على فلاح من العراق أن الأدب عمومًا يُكتب في مصر ويُطبع في لبنان، ويُقرأ في العراق... فترتفع معنويات فلاح... بعدها يشيد الفيتوري بحركة الشعر الحر في العراق هو من روادها ويقرأ شعرًا لعبد الوهاب البياتي وبدر شاكر السياب، يستحسنه الجالسون، فلاح مندهش من قدرات هؤلاء الأدباء، يرى نفسه قزمًا بالأدب أمام هؤلاء العمالقة، ولكن في العراق يوجد من هم أعلى شأنًا ومكانةً وأكثر شاعرية منهم: الجواهري، الرصافي، الزهاوي والسياب، والقائمة طويلة جدًا والكل تعرف ذلك، أليس الجواهري شاعر العرب الأكبر؟

••••

صباح اليوم الثالث من العيد، الباشا يدعو فلاح لجولة حُرَّة في الخرطوم وأم درمان، ويتناولان الغداء في الجزيرة عند أصدقاء الباشا، فيستأذن فلاح من سهى، ويذهب مع الباشا... يجلسان في كازينو على ضفاف النيل راقي جدًا ومعلق بحيث تشرف على مناظر طبيعية خلابة تسلب اللُّب، الباشا يطلب أرجيلة وفلاح يطلب قهوة برازيلية:

- اسمع ابني فلاح، أنتَ أصبحت أحد أَفراد العائلة، ابنتي سهى أمانة في رقبتك، أنا معجب بها يا ولدي وبشخصيتها وثقتي بها مطلقة وإلا ما تركتها تتعلم في القاهرة... أنتَ ابن ناس طيبين باين عليك من أخلاقك العالية، وابنتي تعلقت بكَ، فكن أخًا لها بمعنى الكلمة، وأنا مثل والدك، ولتعتبر هذا البيت بيتك وأنا مستعد للوقوف معكَ لغاية تخرجك بإذن الله من الجامعة، وأنا وضعت لكَ ولسهى مبلغًا من المال عند مدير الفندق ومبلغًا من المال في البنك الأهلي المصري باسم سهى، أرجوك اعتبرني والدك، فأنتَ وسهى واحد، وأرجوك يا ولدي لا تتحرج أبدًا.

- عمي أبو سهى.

- قل أبي، أنا أشعر أني أبوكَ، أطال الله في عمر أبيكَ في البصرة، اتفقنا فلاح أنتَ الآن شقيق سهى.

- نعم بابا.

- عظيم، أنا الآن جدًا مرتاح.

تتحرك بهما السيارة في كورنيش النيل، في طريقهم إلى الجزيرة يشاهد فلاح الأراضي الزراعية الواسعة والجمال والأبقار والخرفان أعداد هائلة.

- لديكم خيرات كثيرة.

- صحيح فلاح لكن شعبنا شعب كسول، فلاحنا لا يعمل مثل الفلاح المصري، فلاحنا قنوع بما تعطيه له الطبيعة، لا يبذل جهدًا لزيادة الإنتاج، لاحظ يا ولدي الفلاح المصري يملك دونم أو دونمين وأحيانًا بالقراريط ولدية إنتاج أعلى من الفلاح السوداني الذي يملك عشرات الدونمات، لاحظ كل فلاح صانع له أرجوحة بين شجرتين طول النهار نائم فيها، نحتاج إلى ثورة ثقافية

مثل ثورة الصين الثقافية، ولكن الفلاح السوداني أحيانًا معذور، وسائل الري ما زالت بدائية، والمواصلات بين القرى والأرياف والمدن تكاد تكون شبه معدومة، هذا وغيره عوامل مؤثرة على الإنتاج، نقول نحن سلة العالم الغذائية ونحن نستورد كثيرًا من المواد الغذائية من الخارج، مثل بلادنا مثل بلادكم، سوء في التخطيط ومشكلة الأحزاب الدينية وثورات الجنوب المسلحة ومشاكل دار فور وغيرها... تعرف ولدي، نصف موارد البلاد تُهدر للتسليح بسبب العصيان في جنوب البلاد تمامًا مثل عصيان الأكراد عندكم في الشمال، كان بودّي أن تزور مدينة جوبا على النيل الأبيض نوعًا ما قريبة ومدينة واو الجميلة ولو أنها بعيدة عن الخرطوم ولكن إجازتكم محدودة نؤجلها إلى وقت آخر في العطلة الكبيرة عندما تنجحان إن شاء الله... ولدي، مازلتما في بداية الطريق وأمامكما المشوار طويل، أنا في الحقيقة بحاجة لرجل ذكي قريب مني مؤتمن يدير أعمالي الكثيرة، الله كريم، نصبر إن الله مع الصابرين، بس أنتم شدوا حيلكم وخلصوا مراحل الدراسة بنجاح والسنين تجري يا ولدي.

يعودان للبيت، سُهى تفتقد فلاح، وحينما تراه تجري إلى السيارة لاستقبالهما...

- سهى نحن جوعانين، قولي للسفرجي يحضّر لنا الغداء الله يخليكِ ابنتي.

سهى تشاركهما الطعام، يستأذن الباشا، فتنفرد بفلاح:

- الأيام مرَّت سريعًا، وبعد غدٍ نعود، والحقيقة أنا مشتاقة للعودة للقاهرة، لأني هنا مش عارفة ألتم عليكَ.

فلاح سارح في تخيلاته: لو سميرة معي ورأت هذا العز كله ماذا تقول، والله هذه نعمة والذي يرفسها يعمى كما تقول أمي، يعني لو أن سميرة قد أحبها ابن ملك هل تتركني يا ترى؟ وتنسى حبي، والله حيرة... ويردد مع نفسه أغنية أم كلثوم التي يعشقها:

حيرت قلبي معاك وأنا بداري واخبي
قولي أعمل إيه وياك
والا أعمل إيه ويا قلبي
بدي اشكيلك من نار حبي
بدي احكيلك عا اللي في قلبي
وأقولك عا اللي سهرني
وأقول لك عا اللي بكاني
وأصوَّر لك ضنى روح
وعزة نفسي مانعاني
يا قاسي بص في عنيا
وشوف إيه انكتب فيها
دي نظرة شوق وحنية
ودي دمعة باداريها
وده خيال بين الأجفان
فضل معايا الليل كله
سهرني بين فكر وأشجان
وفات لي جوه العين ظله
وبين شوقي وحرماني
وحيرتي ويا كتماني
بدي اشكيلك من نار حبي
بدي احكيلك عا اللي في قلبي

وأقولك عا اللي سهرني
وأقول لك عا اللي بكاني
وأصوَّر لك ضنى روح
وعزة نفسي مانعاني

يا سميرة أنقذيني من هذه الورطة، أرجوكِ خلصيني من هذه الحيرة، قلبي عندك ، روحي عندك... والوساوس أتعبت عقلي ، وإغراء الجمال وإغراء المال... سميرة حبيبك فلاح أنقذيه قبل أن يغرق... ولكن هيهات وألف هيهات أن أفرِّط بسميرة ولو للحظة... لدي استعداد أن أعيش معها في الجحيم لا قدر الله ولا أعيش مع غيرها في الفردوس.

• • • •

قبل العودة للقاهرة بيوم تحتفل العائلة بدعوة الأقرباء والأصدقاء في القصر الكبير وحفلة موسيقية وعدد من المطربين والمطربات وسهرة ممتعة، يطرب فلاح على الموسيقى والغناء السوداني المميز...

صباح اليوم التالي تحضير الحقائب، وتتناول العائلة مجتمعة غداءً مميزًا، وفِي تمام الساعة الثالثة يودِّع الجميع سهى وفلاح إلى المطار وإلى القاهرة، حيث ينتظرهما صابر السائق لينقلهما إلى الفندق.

يأخذ حمامًا ويرتمي في فراشهِ يفكِّر، تدخل سهى الغرفة:
- فلاح أنا مشتاقة لكَ.
- سهى كُنَّا معًا.
- لا... فلاح مشتاقة أن أقبِّلك.

- سهى لقد اتفقنا الله يخليكِ.

- فلاح أنا مدمنة، إذا لم أقبِّلك لا يمكن أن أنام يا مسهرني.

تجلس على حافة السرير وتقبِّله قُبلة طويلة وكأنها تريد أن تمص دمه كله... فلاح رغم النشوة:

- سهى، قطعتِ نفسي، على كيفك.

- طيب فلاح، أخذت حقي، تصبح على خير.

تغلق باب الغرفة وتعود تفتحها:

- فلاح أنا اليوم أنام على الكنبة، أرجوك سامحني، لا أستطيع فراقك.

- سأفارقك أسبوعًا كاملاً.

- أنا لا أعرف لماذا لا تقيم هنا باستمرار معي؟

- هذا قانون الكلية، أنتِ تريدين أن تمشِّي الدنيا على مزاجك كما هو الحال عند أهلك في السودان.

أخذ معه في الرحلة إلى السودان مائتين وعشرين جنيه مصري كل مدخراته، لم يستطع أن يصرف منا قرش تعريفة واحد، لا بل عاد محملاً بالهدايا من أم سهى لأمه وأخواته وإخوانه وحصة الأسد إلى سميرة ظنًا منهم أنها أخته الكبيرة كما قالت لهم سهى... حقيبة الهدايا أَمَّنها فلاح في غرفة سهى.

في اليوم الثاني سهى تحصل على نتيجة علم الأدوية درجة كاملة أي امتياز وتحصل على مكافأة من الكلية تفرح بها أمام زميلاتها وزملائها... تعد الساعات لمجيء فلاح في نهاية الأسبوع يوم الخميس لقد أصبح الخميس والجمعة كل حياتها وكل أيام الأسبوع اختزلتها بهذين اليومين أو اليوم والنصف... يأتي فلاح ولكنه مهموم لأن سميرة كانت مريضة بسبب أنفلونزا

حادة، أقعدتها الفراش أربعة أيام، وكأن الأنفلونزا أصابته كما أصابتها.

- ما بكَ فلاح؟

- والله تعبان شوية أحتاج راحة، ولولا زعلك لما أتيت للفندق.

يذهب لغرفته، يأتيه موظف الاستقبال:

- سي فلاح عندك ضيوف في الصالة.

يتحامل على نفسه ويخرج، فيجد ندى...

- كيف حالك فلاح؟ أين أنتَ يا رجل؟ أين كنت أيام العيد؟

- كنتُ في رحلة إلى السودان.

في هذه الأثناء تأتي سهى...

- أعرِّفك بزميلتي، ندى أخت صديقي في الكلية أنس.

- أهلاً وسهلاً...

سهى تلاحظ أن هناك علاقة حميمة بينه وبين ندى فيجنُّ جنونها، تقول له:

- إذا ممكن تعطيني كتابي؟

- أي كتاب؟

- أنا نسيت كتابي في غرفتك.

ندى تفتح كامل عيونها وتفغر فاها، يستأذن فلاح من ندى ويذهب إلى غرفته ليفهم ما الأمر وأي كتاب هذا الذي تتحدث عنه، تتبعه سهى إلى الغرفة:

- من هذه فلاح ؟!

- إنها ندى سبق أن حدثتك عنها، خلصيني منها ومن بجاحتها.

يعودان للصالة بوجوه متجهمة:

- أنتَ خطيبي يا فلاح ومسؤول عني، كيف يضيع الكتاب منك وغدًا عندي امتحان؟!

ندى يصفر وجهها وتتلعثم وتستأذن وتغادر الفندق.

سهى تضرب على يد فلاح:

- خلصتك منها يا شاطر.

- والله أنتِ الشاطرة، عاشت الأيادي.

- اليوم العشاء على حسابك.

- حاضر... حاضر.

يقضيان سهرة جميلة رومانسية في عوامة على نهر النيل في كورنيش المعادي، يتجاذبان أطراف الحديث... يسرح يفكِّر في سميرة وأحوالها ودراستها، وأهله ومراحل بناء البيت الجديد واستحقاق القسط الثالث الذي يستحقه المقاول قريبًا وهو لا يملك أكثر من مائتين وعشرين جنيه أي مائة وعشرة دنانير... تقترح سهى كسر الجمود بينهما، تستأجر مركبًا شراعيًا للنزهة في النيل على حسابها الخاص، فلاح يوافق، ينساب بهما المركب بهدوء في النيل، يعيش لحظات من الخيال وكأن روحه ترفرف على صفحات ماء النيل، فيدندن مع مقطع من أغنية "النهر الخالد" التي حفظها من أم سعد وهي تغنيها على أنغام العود الذي تجيد العزف عليه، سهى تستمتع بتركيز عالي لصوت فلاح الجميل الهادئ وانسجامهِ مع كلمات الأغنية ولحنها الراقي المعبِّر، سهى تنصت بكل جوارحها:

يا واهبَ الخلدِ للزمانِ

يا ساقي الحبِ والأغاني

هات اسقني واسقني
ودعني أهيمُ كالطير فى الجنانِ
يا ليتني موجة فاحكي
إلى لياليكَ ما شجاني
واغتدي للرياحِ جارا
واسكب النور للحيارى
فان كواني الهوى وطارَ
كانت رياح الدجى طبيبي
آهٍ على سرك الرهيبِ
وموجك التائه الغريبِ
يا نيل يا ساحر الغيوب

- فلاح، بربكَ أصدقني القول، هل أنا وأنتَ سنبني أسرة سعيدة؟ هل تفكر أن يعيش أهلك معنا ونكون عائلة كبيرة واحدة ؟ أبي يود أن تكون رجل البيت مستقبلاً ومسؤول عن إدارة أعماله.

- الله كريم، لسه قدامنا طريق طويل، نحن أبناء اليوم.

صباح الجمعة ، يأتي أنس إلى الفندق ، يلتقي بفلاح ويرجوه مرافقته للبيت لأن أُمه تريد رؤيته لأمر ضروري...

يستأذن من سهى في غرفتها ويشرح لها على السريع ويعدها أن اليوم ستنتهي علاقته ببيت ندى.

يجلس أمام أم ندى، وندى تحضِّر القهوة...

- فلاح، أنا أحببتك مثل أولادي، وأحببت ان يكون لكَ نصيب في ندى، ابنتي ندى جدًا تعبانة لأنكِ أولاً لا تبادلها نفس الشعور وثانيًا رأتك مع فتاة سودانية تدعي أنها خطيبتك.

يطرق فلاح بعض الوقت ثم يرفع رأسه:

- ست هدى، أنا أعتز بصداقتكم وحبكم، ولكن لا أستطيع الارتباط بندى لأن لدي خطيبتي في العراق وهناك التزام أخلاقي لا أستطيع كسره أبدًا، كذلك اختلاف الدين بحد ذاته يشكِّل مشكله اجتماعية لا يستسيغها أهلي على الأقل ولا يقبلونها... ست هدى بالوقت الذي يجب أن يوحِّد الدين الناس نراه كواقع حال يفرقهم...أرجو أن تعذريني من هذه المسؤولية وأنا لم أعطي وعدًا لندى ولَم يحصل أي اتفاق بيننا بهذا الصدد، أكرَّر اعتذاري ومحبتي واحترامي لكم.

ست هدى واجمة مستغربة، بعد أن حطَّم هذا العراقي كل آمالها ولخبط كل خططها... تستدرك:

- اسمعني فلاح، تستطيع الزواج من ندى على الورق فقط كجواز مرور إلى العراق.
- أنا لا أعرف أن أكذب لا على نفسي ولا على الآخرين، ولا أستطيع أن أقوم بمثل هكذا عمل دون علم أهلي الذين سيرفضون حتمًا، أضف إلى ذلك أنا طالب بعثات مستقبلي ضابط مهندس يحتاج إلى سلسلة من الموافقات التي لا يمكن تحقيقها وأنا في المرحلة لأولى للدراسة، أرجوكِ أن تعفيني من هذه المهمة الصعبة، آسف، وأرجو المعذرة من أي إحراج سببته لكم دون قصد مني، مع السلامة.

ينسحب بهدوء بعد أن يودِّع ندى مصافحًا إياها معتذرًا بأدب جَمّ... ويعود للفندق غير راضي عن نفسهِ.

تستقبله سهى:

- خير فلاح؟

- والله يا سهى بلاوي ما أعرف من أين تحدف على راسي.

- قصدكَ...

- لا خلصت من ندى ولكنها ساعتان محرجتان كانتا كأنها امتحان صعب... أريد أن أستحم وأرتاح قليلاً قبل الغداء.

يرتمي في فراشه: ما هذه البلاوي يا إلهي، أنا أحب أن أكون جدي وصادق في حياتي، لا أحب الكذب والمراوغة، لكني الآن أعيش بشخصيتين وهذا يحط من قدري ويضعف شخصيتي، ما العمل... لا أستطيع مصارحة سهى خوفًا عليها، ثم أين أقضي عطلة نهاية الأسبوع؟ وما الضرر الذي تسببه ليَّ سهى؟ المشكلة أنها تحبّني صادقة وتعتقد أني صادق معها، أنا في الحقيقة استلطفها لكن حبي الأول والأخير لسميرة، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك سميرة ما تركتها أبدًا... لا أحب أن أكسر قلب سهى، لكن الأمور هكذا تعذبني وتأخذ حيزًا من تفكيري بسميرة، أنا أجامل على حساب صحتي وشخصيتي، لكن ما الضرر الذي تسببه ليَّ الآن سهى؟ إنها صادقة بحبها ليَّ وأنا أجاملها رغم أني لحد هذه الساعة لم أقل لها أني أحبكِ كما قلتها مرارًا وتكرارًا إلى سميرة من أعماق قلبي بكل صدق وأمانة.

سهى عندها تحضير لدروسها وتعطي قائمة طويلة من المصطلحات الطبية إلى فلاح ترجوه مساعدتها بالقاموس، يجلسان بالصالة الجانبية وينكبّان على متابعة الدروس لغاية الساعة الثامنة حيث بعدها يتركان الفندق للتنزه على كورنيش النيل في جانب العجوزة، يجلسان على حافة سياج النيل الكونكريتي

المنخفض يأكلان الترمس وبجانبهما قُرب الجسر فتاة وأختها تبيعان الذرة المشوية على الفحم، والصغيرة تصيح بأعلى صوتها الجهوري: حمام مشوي يا ذرة.

سهى تلتصق بجانب فلاح فيؤنبها، إنهما في الشارع وربما لا يختلف الشرطي المصري عن عقلية الشرطي العراقي فكلاهما من طينة واحدة بقلة الثقافة والذوق والعادات الريفية الموروثة:

- استري علينا الله يستر عليكِ.
- حقكَ، لكني مشتاقة إليكَ وأشعر براحة عندما يمس جسدي جسدك، أشعر بنشوة وارتياح وكأني أحلق بالفضاء وبذلك التيار الخفي الذي يسري في بدني فيهز كياني ويخدرني فأنتشي، يا لقوة أعصابك وقدرتك على التحكم بعواطفك، ارحم عواطفي، أنا أحسُ أن إحساسكَ مرهف وأنتَ كتلة من العواطف والأحاسيس، لكنكَ بخيل معي جدًا.
- أرجوكِ افهميني، أنا أخاف عليكِ ولا أحب أن أشغلكِ عن دراستكِ ولا أودُّ أن تعيشي في الأوهام.
- يعني حبنا أوهام في نظركَ؟
- أنا لم أقل ذلك.
- إذن ما معنى كلمة أوهام هنا؟
- قصدي أن نهتم بدراستنا ومستقبلنا ونحقق طموحنا، الوقت مهم أن لم تقطعيه قطعك، العالم المتقدم يهتم بالإنسان والزمان، ونحن العرب نهمل هذين العاملين المهمين الذين تُبنى بهما البلاد.

يعودان للفندق...

- لم يبقَ عندي من التحضير غير موضوع قصير سآتي لدراستهِ عندكَ.

الجو نوعًا ما حار، يدخل فلاح لأخذ دوش سريع... تعود سهى على وجه السرعة، تدخل غرفته وتسمع خرير الماء، تفتح باب الحمام وفلاح مغطى وجهه بالصابون، يصيح:

- من هنا؟
- أنا سهى
- ماذا تفعلين هنا؟
- أريد أن أستحم معك في نفس البانيو.
- ماذا جرى لكِ؟

تخلع ثوبها وتدخل معه في البانيو... ينتفض ويترك البانيو وهي أمامه عارية... ماذا أفعل بهذه المجنونة يا إلهي؟

تخرج من البانيو وتحشر نفسها في روب فلاح، فيحصل تلامس واحتكاك بين الأجزاء الحساسة، يكاد الاثنان يُغمى عليهما لولا الطرق على باب الغرفة... يخرج بهدوء ويغلق باب الحمام ويقول:

- مَن؟
- أنا موظف الاستعلامات، سائق السفارة صابر يريد سهى.
- طيب لحظات وستكون في الصالة.

تلبس ملابسها بسرعة وتسرّح شعرها على عجل وكل جسمها يرتجف ويداها ترتجفان، تلبس الثوب بالمقلوب، ينبهها فلاح، جسمها يقطر ماءً من شدة التعرق، تسحب أنفاسها وتجلس قليلاً لتسترد أنفاسها، تخرج لتجد صابر في انتظارها:

- خير صابر؟

- ست سهى الباشا في القاهرة في مهمة رسمية ينتظركما أنتِ وسي فلاح في فندق سوفوتيل كايرو الجزيرة على العشاء.

- طيب انتظرنا.

- حاضر يا ستي.

تعود لغرفة فلاح فتجده مرميًا على الفراش وقد غطَّى وجهه بالوسادة...

- فلاح... فلاح... يا فلاح... أبي هنا ويود رؤيتنا.

يتجمد فلاح في الفراش لا يحرِّك ساكنًا.

سهى خائفة، تقترب من سريره وتمسك يده، يرفع الوسادة عن وجهه:

- خير سهى؟

- ألم تسمعني؟

- أنتِ طيرتِ عقلي من رأسي، ماذا تفعلين؟ تريدين أن تدمري مستقبلنا في لحظة طيش وتهور.

- قلت لكَ مرارًا وتكرارًا أنا ضعيفة أمامك، جاملني يا فلاح.

- لتكن المبادرة منكِ ، لماذا أنا دائمًا يجب أن أبادر ، أنتِ مجنونة والله مجنونة رسمي، ما هذه التصرفات الصبيانية؟ أنا مضطر أن أقول للباشا حتى لو زعلتِ.

- ماذا تقول يا مجنون؟ بدِّل بسرعة لنذهب.

- والدرس لم تقرأيه.

- عندما نعود.

بعد نصف ساعة يذهبان للباشا، يجدان الوفد ينتظرهما في المطعم، الوزير الباشا رئيس الوفد يقدِّم ابنته سهى طالبة الطب وخطيبها فلاح الباش مهندس للسادة الوزراء السودانيين والمصريين.

يتصبب العرق من فلاح ويصفر وجهه المائل للسمرة...

يتناول الجميع العشاء ما لذَّ وطاب، وتهمس سهى في أذن الباشا أن عليهما المغادرة بسبب إكمال تحضير واجباتهما...

- سهى، بعد غدٍ عيد العلم في مصر وهناك إجازة لكل المدارس والجامعات، ونحن قادمون للتهنئة والمشاركة والتنسيق.

يجلس فلاح وسهى على كراسي راحة متجاورة يتناولان الحلويات... تقول له:

- أبي خطبني رسميًا لكَ أمام السادة الوزراء، عليك احترام هذا العهد.

يطرق إلى الأرض، لا يعرف بماذا يرد عليها.

- على فكرة، لقد علمت أن رئيس بلادكم عبد السلام عارف ووفد كبير سيشارك الرئيس جمال عبد الناصر بهذا العيد، هكذا يقول الباشا.

تفرح سهى بالعطلة وبعيد العلم، ويعودان للفندق، وهي سعيدة وفلاح يكاد رأسهُ ينفجر من كثرة التفكير... تقرأ درسها في غرفته وتنام على الكنبة... وهو مهموم من تصرفاتها ومن كلام الباشا، ولكنه فرح بالعطلة وبعيد العلم.

يوم السبت تبلغه عمادة الجامعة أنه سيُقلد وسام العلم لنجاحه الأول على المرحلة الأولى ولحصوله على درجة الامتياز في أربعة دروس علمية؛ من قبل

الرئيس جمال عبد الناصر...

تجلس سهى مع الوفد السوداني وفلاح مع الوفد العراقي، بعد حين يُنادى اسمه... يقلده الرئيس جمال وسامًا ويسلمه ظرفًا بألف جنيه، يعلن عريف الحفل عن تبرع الرئيس العراقي للطالب فلاح بألف دينار، يبادر الباشا باسم دولة السودان للطالب العراقي الأول ألف جنيه، كان بود الباشا إعطاؤه ثلاثة آلاف جنيه ولكن بروتوكوليًا لا يجوز أدبيًا دفع أكثر مما دفعه الرئيس جمال... ينتهي الاحتفال وفلاح أصبح من الأغنياء بما حصل عليه من مال بحدود ألفي دينار.

يعطي الفلوس كلها إلى سهى ويطلب منها وضعها في أمانات الفندق غدًا، وهو سيحاول النزول لرؤية الباشا قبل سفره.

يسعد بهذا التكريم المجزي غير الموعود به، ولكنه مهموم بسبب هذه القيود الجديدة التي قيَّد نفسه بها مكرهًا، فسيصبح مدانًا ولو أخلاقيًا للباشا ولسهى، وهذا ما يحز في نفسه ويربك حياته رغم أنه المستفيد الوحيد ورغم أنه بحاجة ماسة لهذا المال لإنجاز البيت الجديد في البصرة... وفي الحقيقة هذا استحقاقه والمفروض لا منَّة لأحد عليه، ولكنه بدأ يتحسس من بعض تصرفات سهى لأنها تحاول أن تملكه بالمال إذ اقترحت عليه ليلة البارحة مستغلة وجود الباشا:

- ما رأيك أن نأخذ من بابا مبلغ خمسة آلاف دولار أمريكي ترسلها مع هذا المبلغ ليوسع والدك تجارته في مدينتكم.
- لا أستطيع اتخاذ القرار، القرار لأبي، كذلك لا أحب أن أكون مدانًا لأحد.
- وهل أنا أحد؟

- وأنتِ من أين لكِ هذه الأموال؟
- من أبي.
- يعني أموال الباشا.
- أليس نحن الاثنان أولاده؟
- ولكن نفسي تأبى استغلال الباشا لأي سبب، يجب أن تعلمي يا سهى هذا هو أنا لا أقبل مِنَّة من أحد حتى منكِ أو من الباشا أحب أن أشق مستقبلي بنفسي، بجهودي، ولا أحب أن أكون عالةً على أحد.

يدخل غرفته ويغلق بابها بالمفتاح، يكتب مبتهجًا إلى سميرة عن تكريمه في عيد العلم باعتباره الطالب المتميز في الجامعة وهو في غاية السرور والارتياح :

سميرة في الحقيقة أنا تعبان، أشعر بضغوط هائلة أخاف ألا أتحمل ثقلها ينوء بها كاهلي وتنهار قيمي ومبادئي التي تربيت عليها.. الإغراءات كبيرة لا تُطاق ، أرجوك أن تشدي من أزري وتتواصلي معي باستمرار وتحثيني على الصمود على عاديات الزمن... ولكي أكون واضحًا وصريحًا معكِ يا غاليتي ، هناك إغراءات مالية بالنسبة ليَّ كبيرة أحاول مقاومتها قدر طاقتي ، وهناك إغراءات وعروض من نوع آخر أخاف منها وأحاول تجنبها ولكنها تلاحقني وتقض مضجعي... بشكل عام أنا لست مرتاحًا وأنا بعيد عنكِ.

هذه الرسالة تصعق سميرة صعقًا ولا تعرف كيف تفسِّرها ولا تعرف أبعادها ، ماذا يعني فلاح بهذا الكلام غير المتوازن، هل ضاع وسط هذه الزحمة وكما يسميها الإغراءات، ما هذا الكلام غير المقبول وغير المنطقي، يعني لو أنا

كتبت إليه مثل هذا الكلام، هل يقبله مني ؟!... ماذا يقول فلاح ؟ ما هذا التخاذل ؟ وهل من المعقول أن ينحدر ويكتب لي بهذا المستوى، وماذا أستطيع أنا أن أفعل له وأنا بعيدة عنه لا حول ولا قوة، لا أعلم هل ممكن أن أسافر له في العطلة... ولكنه سيأتي والله أعلم.

تكتب له، وبين الحين والحين تمزِّق الرسالة وتبدأ برسالة جديدة بسبب عصبيتها وبسبب دموعها المنهمرة بغزارة على الرسالة... ثم ترتمي في فراشها وتضرب بكلتا يديها وسادتها وتبكي بصوت مسموع، فتأتي أختها الصغيرة التي تحبها وتقبِّلها: لا تبكي سميرة، سيعود فلاح...

حتى هذه الطفلة تعيش معاناة سميرة.

سميرة تمرض وتعاني من وعكة صحية، ولكنها تتجلد:

- يجب أن أكون قوية، ويجب أن أتخرج من المعهد، ويجب أن لا أستسلم، أمامي مسؤوليات أمي وإخوتي، المهم أن أكون مخلصة وفية طاهرة نقية، إن الله معي وسينصرني أكيد في النهاية، أنا إنسانة طيبة عفيفة شريفة ولهذا الله معي.

تكتب لفلاح للمرة السابعة بعد أن تهدأ:

أنا ثقتي بالله وبك عظيمة، ليس عندي غير الله وأنتَ... ولكني لا أستجدي الحب منك ولا يقدر الحب أن يذلني فكيف يقدر أن يذلني المال ولو كان كنوز قارون، أنا لم أفهم ماذا تعني بالإغراءات الأخرى... إنَّكَ بهذا المنطق وهذه الأفكار تدمرني وتقضي عليَّ، وأنتَ تعرف أني أصبحت مسؤولة عن أمي وإخوتي، وأنتَ ترميني بسهامك من القاهرة عِوَض أن تشدَّ من أزري وترفع من معنوياتي يا بطل.

تقترب امتحانات نهاية السنة الدراسية ، وفلاح يخصِّص كل وقته للدراسة ليحافظ على مستواه ودرجاته العالية ويحث سهى على مواصلة الدراسة ليل نهار ، وأن لقاءهما في هذه المرحلة لا يخدمهما ، فمن الضروري التركيز على الدراسة وتحقيق النجاح...

- أرجوك فلاح، ضروري رؤيتك ولو يوم الخميس فقط.
- وقتنا لا يسمح بضياع ساعة واحدة.

يتخذ قراره ولا يهتم بإلحاح سهى.

تنتهي الامتحانات وهما ناجحان فرحان مسروران... يحاول فلاح الحجز إلى بغداد ولكن سهى ترجوه أن يسافرا عشرة أيام للسودان ومن هناك يسافر ، أو يقضيان معًا هذه العشرة أيام في أسوان سياحة... يرفض عرضها بقوة ويبدأ بشراء بعض الهدايا ويركز على هدايا سميرة ، تضطر سهى للحجز إلى الخرطوم ولكنها تطلب منه وترجوه أنه في منتصف الإجازة لابد أن يلتقيا في مكان، فيقول لها، الله كريم.

يسحب فلوسه من الأمانات ويرزم حقائبه، طائرته غدًا ظهرًا الساعة الثالثة، وسهى طائرته في الرابعة، تتصل بموظف السفارة ليرسل لهما السائق صابر في تمام الساعة الثانية عشر.

يسهران في حفلة غنائية في الأوبرا، ولكنه يغلبه النعاس من إجهاد المذاكرة فتعود به سهى إلى الفندق...

- هذه أخر ليلة لنا معًا، أرجوك أن تسمح لي بالنوم هذه الليلة على الكنبة.
- موافق، لكن بشرط...

- فهمت يا فلاح يا قروي... يا... وتسكت.

- كملي كلامك، تقصدين يا متخلف... أشكركِ... أنا أخاف عليكِ من الزلل والشطط، والله أنا أخاف عليكِ...

- مفهوم، والله مفهوم... أليس ظُلمًا أن نحرم أنفسنا من مُتع الحياة وملذاتها ومن لذة الحب.

- كل شيء بأصوله، وأنتِ أمانة وأنا مسؤول عن صونكِ، أرجوكِ وأتوسل إليكِ أن تساعديني.

يجلسان في الصالة يتحدثان، يداه فوق الطاولة، ويداها فوق يديه تستمد منه القوة والحب والحنان.

باستمرار كلمة الله على صدرها التي أهداها لها فلاح، بين الفينة والفينة تقبِّلها بحنان وكأنها تقبِّله هو...

- فلاح، هذه مجموعة هدايا اشتريتها لكَ ولعائلتك أرجو قبولها وهذا فستان جميل لأختك الكبيرة على مقاسي، تقبِّل لي الجميع وأرجو أن تعرض على والدك مقترحي بتطوير محلكم التجاري وقد رحَّب أبي الباشا بالفكرة.

يهز رأسه.

- يعني موافق؟

- لم أقل موافق، سأقول لأبي إن وافق الله كريم، نحن بصدد بناء بيت جديد وتأثيثه وسأستفاد من هذه الفلوس التي حصلت عليها في عيد العلم.

- لديَّ مدخرات وحساب في البنك الأهلي ممكن أسحب لكَ أي مبلغ تحتاجه.

- لا... لا... عندي ما يكفي وزيادة.

يعودان لغرفته، لديها رغبة بالنوم على الكنبة، وتقبل بشرطه مرغمة...

- فلاح، ولكن قبلة الوداع...

تقترب منه وتعصره على باب الدولاب وتقبله قبلة تفرغ فيها كل شوقها وهيامها، فتجرح شفتهُ السفلى وتمص دمها فتتلطخ شفتاها بالدم...

- ما هذا ؟! ماذا أقول لأهلي ؟ ماذا أقول لموظف الاستعلامات ؟ اهدأي أرجوكِ وتمالكي أعصابكِ ولا تخلقي لنا المشاكل.

يجبرها على النوم في سريره ويطبطب عليها كما يطبطب الطفل لينام، وهي في غاية السعادة والهدوء والخدر. فعلاً تنام، يذهب هو لينام على الكنبة ورائحة المسك والعنبر تملأ فراشها.

يتناولان إفطارهما معًا ويطلبان من موظف الاستقبال تصفية الحساب... فيجيب:

- كل شيء تمام، لقد استقطعنا من مبلغ الباشا الوديعة لدينا كامل الحساب.

ينقل النادل الحقائب من الغرف إلى الاستقبال ويضع الحقائب الزائدة في الأمانات... يودّعان موظفي الفندق... ويأتي صابر لنقلهما للمطار.

(١٣)

يصل فلاح اليوم الثاني للبصرة، يتأخر القطار ساعة عن موعد وصوله بسبب مشاكل فنية في محطة آور في الناصرية، يوصله التاكسي لباب البيت بعد الثامنة صباحًا فيجد أُمه فقط في البيت، تستقبله بالأحضان والقبلات... صديقه سلام يشاهده في السيارة فيهرع لاستقباله وتقبيله، يساعده في إدخال الحقائب إلى البيت، إنه حقيقة يحب فلاح وصديق مخلص، لكن إمكانياته العلمية محدودة لانشغاله بالسياسة فدخل مضطرًا معهد المعلمين في البصرة.

يجلسان في غرفة الضيوف يتجاذبان أطراف الحديث.

أم فلاح في المطبخ تجهِّز الغداء...

- شلونك أم فلاح؟ إن شاء الله زينة، ما أخبار البيت الجديد؟
- أبوك دفع للمقاول خمسمائة دينار قبل فترة، حاليًا البيت جاهز للتسليم لكن المقاول يريد مبلغ سبعمائة دينار وأبوك أجَّل دفعها لحين مجيئك وموافقتكَ وملاحظة النواقص.
- ماما، هذا خبر مفرح... وبيت سميرة كيف أحوالهم وكيف أحوال سميرة؟
- ابني، بخير، لكن سميرة هذه الأيام لا يعجبني حالها.
- خير ماما؟
- كل خير، لكنها ضعفانة وتعبانة، وبين فترة وأخرى تمرض ووجها شاحب ودمعتها باستمرار في عينيها.

- لماذا ماما؟
- ربما تخاف من المستقبل غير المضمون، أنا أقترح أن تلبسا خاتم الخطوبة ونخلص من كلام الناس... سميرة فتاة شريفة من عائلة عفيفة، والكل يعرف بعلاقتكما وحبكما، يعني أنتَ قطعت قسمتها بالزواج.
- ماما، ماذا تقولين؟ ما هذا الكلام الماسخ، لا أحب أن أسمع مثل هذا الكلام منكِ... هل أنا مقصِّر ماما؟!
- نعم ماما مقصر وألف مقصر... ابني هذه بنية أهم شيء عندها سمعتها، لازم ابني نخطبها لكَ وتخلصنا الله يخليك... أمها غير مرتاحة وتشكي وتبكي.

يبتئس فلاح من كلام أمه ويتضايق ويدخل غرفته ويغلق الباب ويرمي نفسه على فراشه وهو يتألم، تنزل دمعتان حارتان من عينيه، وينام ساعة زمن يصحو على صوت أبيه العائد للغداء، يعلم أن فلاح في البيت فيهرع لغرفته ويحتضنه ويقبله...

- فلاح، جئت لنا في الوقت المناسب، غدًا نستلم بيتنا الجديد، وأنا غدًا أجهِّز مبلغ القسط.
- بابا لحظة...

يفتح حقائبه اليدوية ويخرج رزمة من الفلوس:

- هذه خمسمائة دينار التي دفعتها من سيولة المحل، وهذه سبعمائة دينار القسط الرابع، ويبقى بذمتنا ألف دينار تُقسَّط على عشرة شهور كما ينص العقد المبرم بين المقاول وبينكَ.
- ابني، من أين لكَ كل هذه الفلوس؟

- بابا، أنا طالب متفوق واستحق التكريم، والله فتحها بوجوهنا.

يفرح أبوه بهذا الخبر السعيد، تتدخل أمه:

- والله أنا الذي يهمني خطبة سميرة لفلاح... أبو فلاح والله هذا طلب مشروع.

- ولكن يا أم فلاح واحدة واحدة، دعينا نخلص من شغلة البيت ونشوف.

- لا... أنا عندي سميرة وفلاح أهم من البيت، هؤلاء أولادنا ولازم نسعدهم، أبو فلاح أنتَ حقكَ تذهب للعمل في الصباح وتعود للبيت في الليل لا تسمع كلام الناس وخاصة نسوان المحلة وشكوى أم سميرة المستمر، سميرة تعبانة ، سميرة مريضة... أنا يوميًا أسمع هذه الأسطوانة المشروخة من أمها.

- بابا.

- يا عيون بابا.

- مساء اليوم أحب التحدث معكَ في موضوع مهم، ممكن؟

- بكل ممنونية ، لندع أخاكَ "صباح" يذهب للمحل بعد الغداء وأنا وأنتَ نأخذ راحتنا على بردِ الوقت.

- نعم بابا، نذهب إلى كازينو ١٤ تموز في الكورنيش.

- صار فلاح، اتفقنا.

تبعث أم فلاح إلى سميرة وأمها ليتفضلا للغداء معهم بمناسبة قدوم فلاح... تسمع سميرة، ينتابها فرح غامر مع مسحة من الحزن واضحة على محياها، تعدِّل من زينتها وتسرِّح شعرها وتضع مكياجًا خفيفًا جدًا وبودها لو تحصل على باقة ورد... وتأتي برفقة أمها إلى بيت فلاح...

يصافحها فتضع يدها في يده كأنها عصفور دافئ مسكين، يشد على يدها فتسري قشعريرة في جسده وجسدها وحرارة خفيفة محببة... إنه الحب الحقيقي... الودُّ وده يحضنها، يقبِّلها، لكنها العادات والتقاليد تحول دون ذلك.

يتناولون الغداء، وسميرة سارحة لا تتكلم، تختلس النظرات إلى فلاح، وهو يبادلها اختلاس النظرات... يلاحظ أنها مثل وردة جوري فقدت نظارتها، وجهها مائل للصفرة، عيونها فيها دموع تتحرك يمينًا ويسارًا وهالة خفيفة من السواد حول عينيها حاولت إخفاءها بالمكياج ولكن بقى أثرها واضحًا...

لا شيء يُسمع غير أصوات الملاعق وصوت أبي فلاح وهو يبلع الطعام، ينظر فلاح لأبيه باحترام منتقدًا هذه الحالة غير المستحبة ولكنه يتجاوز ذلك احترامًا لأبيه...

يشربون الشاي والكل سكوت... تكسر أم فلاح هذا الهدوء:

- فلاح، سميرة... في هذه الإجازة تتم الخطبة... أنا وأم سميرة نرغب بذلك... ما رأيك أبو فلاح؟...

- خير وبركة.

فلاح يذهب إلى الحمام، تتبعه سميرة...

- لنجلس في الغرفة، عندي حديث طويل معك... ما بكِ سميرة؟ أحوالكِ لا تعجبني.

- لقد فقدت من وزني عشرة كيلوات، وأحس أني واهنة متعبة، نومي قليل وأكلي قليل ونشاطي قليل، ليس عندي غير الدراسة والتفكير المستمر والخوف من المستقبل، ومن كلام أمي التي تخاف عليَّ.

- ماذا أستطيع أن أفعل لكِ؟

- تستطيع أن تخطبني لكي أرتاح وترتاح أمي على الأقل.

- حاضر سميرة، حاضر... إن الحب الذي يربطنا أعظم بكثير من أي رابطة.

- هذا صحيح، ولكن علينا أن نراعي تقاليد مجتمعنا.

- حقكِ... هل أستطيع أن أُقبلكِ؟

- أنا ملكك، كُلي لكَ.

يقبِّلها ويضع يده على صدرها فيحس بالسوتيان قد انكمش، صدرها خَفَتَ.

- هل تتذكرين فيلم "بطل الشمال" يوم أُغمي عليكِ واضطررتُ إلى تدليك صدرك؟

- أتذكر ذلك، وكيف أنساه؟!

- هناك فرق كبير بين صدرك الناهد وصدرك اليوم.

- ربما لا تشعر بحجم الألم والمعاناة التي أعيشها بعيدة عنك، والوساوس وكلام أمي وزميلاتي في المعهد الذي يكاد يقتلني.

- هانت الأمور.

- أنا سأتخرج بعد ستة شهور وأنت بعد أربع سنوات، كيف تقول هانت؟... لا، مازالت الأمور معقدة.

- لقد ضاق صبرك بيَّ.

- لا... والله بالنسبة ليَّ سأنتظرك العمر كله ، ولكن هذا مجتمعنا وهذه تقاليدنا التي تربينا عليها ، إذا تقدر خذني وطير بيَّ بعيدًا وأنا راضية مطمئنة.

- اطمئني يا سميرة.

- غدًا عندي أخر امتحان ، وبعدها تبدأ العطلة... بعد ساعة أعود للبيت لأدرس، وفِي المساء نلتقي حبيبي.

- فِي المساء عندي موعد مع أبي لنشاهد البيت الجديد.

- خُذ راحتك... سأستأذن إذن.

- مع السلامة سميرة.

• • • •

يذهب برفقة أبيه إلى البيت الجديد، البيت جميل وواسع، فيه ست غرف نوم وحديقة، وفِي منطقة جديدة، لكنه دون أي أثاث.

- بابا، عندي فلوس نستطيع أن نؤثث البيت أحسن تأثيث.

- إن شاء الله يا ابني.

يسلِّمان المقاول سبعمائة دينار، ويوقع أبو فلاح عشر كمبيالات كل كمبيالة بمائة دينار ، ويستلمان المفاتيح ، ويلتزم المقاول بكافة بنود العقد ومنها صيانة لمدة ستة شهور.

يذهبان إلى كازينو ١٤ تموز في الكورنيش، ويجلسان في الركن البعيد الهادئ...

- أبي، أرجوك أن تسمعني بتركيز عالٍ، وتفهمني وتدلني طريقي... أنا أحب سميرة حُبًا حقيقيًا صادقًا منذ سنين، وأنتَ تعرف ذلك... وسميرة وأمها ومعهما أمي يطالبنني الآن بضرورة تقديم خاتم الخطوبة وإعلانها أمام الناس لأنهن محرجات من كلام الناس، وسميرة صحتها في تدهور مستمر لأنها غير مرتاحة نفسيًا وكثرة تأنيب أمها لها وانتقاد زميلاتها بالمعهد... أنا في الحقيقة يا أبي - وهذا الكلام بيني وبينك فقط - قد تعرفت على طالبة من السودان تدرس الطب وأبوها أستاذ كبير وباشا ووزير، وذهبت لزيارتهم في الخرطوم بدعوة كريمة منهم، ورأيت عجبًا من القصور والمزارع والبساتين والخدم والحشم والإمكانات الكبيرة التي لا أستطيع وصفها لكَ الآن، تصور يا أبي أن بيتنا الجديد هذا عبارة عن بيت من بيوت الخدم عندهم!... الفتاة اسمها سُهى، تملك قصرًا منيفًا وحسابًا في البنك وكل طلباتها مجابة من أبيها الباشا، والذي عنده ثلاث بنات وليس عنده ولد، وزوجته دخلت في سن اليأس، ولها أملاك وأراضٍ زراعية كثيرة، سهى تحبّني حَدَّ العبادة، وأنا أستلطفها وأساعدها في دراستها... وعقلي مشتت التفكير ومتعب نفسيًا... أرجوك أن تنصحني.

- ولدي، لقد فاجأتني بهذا الكلام...

- لحظة أبي... أهل سهى لديهم استعداد أن يعطونا أي مبلغ من المال لتطوير تجارة محل الكهربائيات...

- وبعد يا فلاح؟

- هذا كل شيء يا أبي.

- فلاح ابني ، لو خيروك بين سميرة وسهى وعليك أن تختار واحدة خلال دقيقة واحدة ؛ من تختار؟!
- طبعًا اختار سميرة.
- خلاص، إذن لماذا نناقش الموضوع؟
- أنا أفكر بسعادتكم ونقل حياتكم نقلة نوعية.
- ابني أنا لا أؤمن باليانصيب ، أولاً نحن الحمد لله والشكر جيدين جدًا ، أصبح لدينا بيت ومحل وأولاد الله يبارك فيهم... ومثلما أنتَ ابني ؛ سميرة أيضًا ابنتي ولا يجوز أن تفرِّط بها، لقد ائتمنتك فلا تخون الأمانة.
- بابا، أنتَ فهمتني غلط ، أنا لا يمكن أن أترك سميرة ، هذا مستحيل، لكن أعجبني أن تشاركني الرأي.
- ابني، أغلق هذا الموضوع، نحن لا نبيع أنفسنا بالمال مهما كان هذا المال، أنا رجل أخاف الله وقد علمتكم على الصدق وحفظ العهد... توكل على الله وأخطب سميرة.
- أبي حتى لو كان رأيك غير هذا لأقنعتك بهذا الرأي الذي تفضلت به بكل ضمير وأمانة وصدق.

فلاح يلوم نفسه على هذا الطرح السخيف الذي لا يرضاه قلبه وضميره وحتى أبوه، ولكن أحيانًا النفس أمَّارة بالسوء:
- أبي، أرجوك حدِّد موعد الخطبة.

يعود فلاح للبيت وتأتي سميرة ، يركِّز النظر على وجهها وصدرها ويتمنى أن يخترق النظر ملابسها ويرى نهديها ماذا حلَّ بهما ولماذا ذبلا بهذه السرعة...

- ما بكَ فلاح أصدقني القول.

- اليوم اتفقت مع أبي على الخطوبة خلال هذا الأسبوع.

تطير سميرة من الفرح وتشهق شهقة، يخاف فلاح عليها... تبادره بقبلة قوية يذوب الاثنان فيها.

- سميرة، تقلقني صحتك.

- اطمئن، بعد اليوم أنا سميرة الجديدة.

- أرجوكِ، هل ممكن أن ألمس نهديكِ؟

- لا...لا... بعد الخطوبة أفكِّر، أما الآن فلا.

- قبل قليل تقولين أنا ملكك.

- أنا روحي ملكك، قلبي ملكك، كياني ملكك.

- خلاص سميرة، كما تحبين...

يتذكر سهى وكيف تتمنى أن يتقرب لها، أن يقبِّلها، أن يمس صدرها، أن ينام بجانبها، وهي بنت باشا، وسميرة يتيمة ولكن عندها عزة نفس عالية.

أم فلاح تعطي لأم سميرة خمسين دينارًا لتجهيز سميرة بما تحتاجه... تصرف منها عشرين دينارًا وتعيد الباقي لأم فلاح... يذهب فلاح وسميرة إلى شارع الصيادلة لشراء الحلق (الدبل) وخاتم وتراجي إلى سميرة، تذكِّره أنه سبق وأعطاها مائة وعشرين دينار أمانة عندها للطوارئ، فقال لها:

- احتفظي بها.

- سأشتري ستائر للبيت الجديد وحمالات للستائر وفرشات وكل ما نحتاجه.

في اليوم التالي يذهب معها إلى المحافظة ويسأل عن مدير التحرير أبي شهد فيستقبله بالأحضان ويقدِّم سميرة خطيبته فيرحب بها أبو شهد ويشربون العصير، يتوجهون لغرفة المحافظ الذي يرحِّب بفلاح أجمل ترحيب... فلاح

يسأله أنه بحاجة إلى نجار شاطر أمين لعمل أثاث للبيت الجديد، فيأخذهما المحافظ ومدير التحرير إلى نجارة الفن الحديث في شارع الوطني ويتم الاتفاق على ثلاث غرف: نوم موديل إيطالي حسب الكتالوج، طعام، ضيوف، من خشب الصاج البورمي... يحسب النجار حساباته وتقديراته ، فيقول : ستمائة وعشرين دينار.

- كم ربحك بها؟

- والله يا سعادة المحافظ مائة وعشرون دينار فقط.

- طيب، إذن كل أثاث فلاح بخمسمائة دينار وأبو شهد يعوضك إن شاء الله.

- موافق.

- حرِّر لنا إيصالاً واستلم من فلاح مائتي دينار عربون، نريد غرفة الضيوف والطعام خلال هذا الشهر وغرفة النوم حتى لو بعد ست شهور.

فلاح يهمس بأذن أبو شهد:

- أريد سريرين لأخوتي.

- خلاص، وسريرين لفلاح هدية أنا أعوضك يا نجارنا الورد.

- أنتَ تؤمر يا أبا شهد ، أنتَ وسعادة المحافظ على راسي ، السرائر تكون جاهزة الأسبوع القادم.

يقول أبو كرم:

- أنا هديتي لفلاح ثلاجة من الأسواق الأفريقية العراقية.

فيقول أبو شهد:

- هديتي سجادة كاشان إيرانية إلى غرفة فلاح.

يعود فلاح وسميرة مبتهجين... يضع بيدها ثلاثمائة دينار باقي مبلغ النجار تحتفظ به عندها للعام القادم.

- فلاح، ضعها عند عمي أبوك أحسن وأضمن.
- لا سميرة، يجب أن تتحملي المسؤولية من الآن.

كانت سميرة قد ادخرت بعض المال، تذهب ومعها فلاح إلى العشار لشراء ستائر وحمالاتها من النوع الممتاز، تشتريها ولا تقبل أن يساهم معها، لكنه يشتري قطعتين قماش لها على ذوقها لتفصيلها بدلتين حديثتين على الموضة عند الخياط الباكستاني المشهور في البصرة، كما يشتري سجادتين جديدتين من النوع الجيد، وثُريا لغرفة الضيوف... يستأجران سيارة ويعودان فرحين إلى البيت.

سميرة على المقاسات تفصل الستائر لأنها شاطرة في هذا المجال. فلاح بطبيعته كل الأمور يضع لها خطة عمل، يجلس معها في غرفته ويبدأن بوضع خطة عمل للخطوبة وتأثيث بيتهما الجديد، ولكن ليس على حساب المحل، وإنما بإمكانياتهم المتاحة... تذكِّره بالمائة وعشرين دينار التي لديها...
- قلتُ لكِ مرارًا وتكرارًا إنها فلوس طوارئ لكِ.
- مادام عمي موجود أطال الله في عمره ؛ أنا لا أخاف من شيء فهو مسؤول عنا وأنتَ تستطيع أن تؤكد ذلك عليه.
- وأنا لا أتفق معكِ على ذلك... أرجوكِ لا تلحيَّ بالموضوع، أنا عندي فلوس وزيادة.

فلاح إنسان قنوع، يرضى بالحياة البسيطة ويحبها، وسميرة كذلك...

- سميرة، يوم الجمعة ستُعلن خطوبتنا بحفل بسيط في بيتنا هذا وكنت أتمنى أن نقيمه في البيت الجديد، ولكن هذه رغبة أمي وأمكِ... ما رأيكِ ندعو أبا كرم وأبا شهد.

- ندعوهما بعد أن تستقرون في البيت الجديد، يكون ذلك أحسن.
- نعم... نعم، تفكير سليم... سميرة، هل ما زلتِ مصرة على ألا تسمحي لي بتقبيلك إلا بعد الخطوبة؟
- هذا صحيح، اصبر يا فلاح.
- أنا الود ودي أن أندمج فيكِ ونكون جسدًا واحدًا وقلبًا واحدًا وعقلاً واحدًا وإحساسا واحدًا، يعني أنا أنتِ... وأنتَ أنا.

••••

تقتصر الخطوبة يوم الجمعة مساءً على عدد محدود من الأصدقاء والأقرباء، وكأن سميرة مقطوعة من شجرة، أمها وخالتها وأخواتها الصغار، ويحضر سلام وأهله وجانيت وأمها وثلاث بنات من زميلات سميرة في المعهد... تُعلن الخطوبة وترتفع الهلاهل وخاصةً من أم سميرة وأم وفلاح الصديقتين الحميمتين... بعد أن تنتهي مراسيم الخطوبة يذهبان إلى العشار إلى كازينو العوائل يحتفلان بالحدث السعيد لوحدهما...

يتذكر سهى، ويود أن يحكي لسميرة عنها، ولكنه يستدرك خوفًا على شعورها وللمحافظة على فرحتها هذا اليوم، ولكن يحكي لها عن ندى وأم ندى، وكيف تمكن من الخلاص من هذه الورطة...

- هل تعرف ماذا كُنتُ أعمل لو أحببتَ غيري وعلمتُ بذلك وتأكدتُ من ذلك، والله وحقكَ يا فلاح لا يمكن أن أعيش في هذه الدنيا لحظة واحدة... أُنهي حياتي بأي طريقة ودون تردد.

- أنا أمزح معكِ، أرجوكِ انسي الموضوع ولا تعقّدي الأمور.

يعودان إلى البيت ومعهما علبة حلويات فيجدان أم سميرة وأخواتها مدعوات للعشاء عند أم فلاح التي توزع الحلويات على الجميع... يجلسان في غرفته، تجلب لهما أمه العصير وبعض الحلويات وتقبّلهما وتتمنى لهما الخير والسعادة... سميرة تضع في فمه قطعة من الحلويات...

- أريد حلويات من التي وعدتِني بها.

تنهض وتغلق باب الغرفة وتنظر إلى ستارة الشباك المسدولة وتطبق عليه بكل قوة وتقبِّله قبلة عنيفة وتطوق رقبته وتشمه وتذوب فيه... يترنح، فتمسك به بقوة، فيمسك صدرها ويدس يده من بين الزراير ليلامس نهديها الغضين... لا تتحمل ذلك فترتمي بأحضانه وتقبله ثانيةً وثالثةً وترتمي على السرير... يجلس على حافة السرير ينظر إليها بتركيز من رأسها حتى أخمص قدميها وقد كشفت التنورة عن أحد فخذيها البيضاوين الناصعين، فيسترها احترامًا لها... هي في نظره قديسة وجوهرة نادرة يجب أن يحافظ عليها طاهرة نقية... يُجلسها ويضع رأسه في حجرها ويغفو قليلاً وهي تمسِّد له شعره وتحرِّك يديها على وجهه وصدره... وهو هائم في عالم آخر؛ عالم ملائكي مثالي يتمناه ويرنو إليه بكل جوارحه... في خياله أن سميرة ملاك من الملائكة بأخلاقها وصدقها وأمانتها وطهارتها ونقاء سريرتها وبساطتها، عليه واجب المحافظة عليها حتى من الهواء أو من أشعة الشمس، يتذكر يوم الخطوبة ويطلب منها أن تأتي غدًا بكامل زينتها، يعني الخطوبة تتكرر لهُ اليوم لوحده...

- أنا أخجل من أمكَ، أرجوك لا تحرجني، أنتَ الآن يمكنكَ أن تأتي لنا للبيت

وتجدني كما تحب على أربعة وعشرين حباية ، أنا أحب النظافة والاهتمام بنفسي وبزينتي ولكن أنتَ تعرف أن المجتمع هنا نوعًا ما غير متطور وكثير الانتقاد، ثم لا تنسَ أن الزينة يوميًا مكلفة ماديًا ونحن ناس بسطاء، أرجوك وافق على مكياجي البسيط هذا، ولكن غدًا شيء آخر.

- حاضر.

••••

ينشغل فلاح وسميرة بإعداد البيت الجديد وتتهيأ له فرصة الانفراد بها في البيت الجديد لوحدهما لكنه يحترم مشاعرها وشخصيتها وأنوثتها لأنه أساسًا يقدسها.. يعلقان الستائر الجميلة ويفرشان السجاد الجديد ويستلمان السرائر الجديدة وطقم القنفات وميز الطعام من النجار ، ويدفعان مائة دينار أخرى إلى النجار من الفلوس الأمانة التي عند سميرة، ويرسل لهما أبو كرم الثلاجة وأبو شهد السجادة الكاشاني الإيرانية.

يحاول فلاح أن يُمدِّد هذه الفترة قبل انتقال أهله للبيت الجديد، لأنه يتمتع بفسحة من الحرية هو وسميرة بهذا العش السعيد الجميل.

البيت يغدو جميلاً جدًا ، يضع فلاح قائمة بالمواد التي سيجلبها من البيت القديم ، يحسب ما تبقى لديه من نقود ، الأمور جيدة ، يستطيع أن يؤثث المطبخ بطباخ جديد وكاونتر جميل وميز وأربعة كراسي وشراء صحون جديدة، سميرة تقول:

- العافية درجات... شوية، شوية يكمل البيت لا تجهد نفسك.

- أنتِ تعرفين أنني عندما أريد إنجاز شيء لابد أن أكمله على أحسن وجه...

إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.

سعادتها لا توصف وقد تحقق حلمها بحبيب القلب وأصبح ملكها، وتبقى مشكلة أهلها وأهله وأنهما جزء من هذه العائلة الكبيرة وليس لهم عِش مستقل، ولكن تكلم نفسها: سهلة، العافية درجات يا سميرة... ما تحقق شيء عظيم والعظمة لله وحده.

أبو كرم وأبو شهد يوجهان دعوة كريمة إلى فلاح في نادي الموظفين في كورنيش شط العرب يتعرف من خلالهما إلى أعيان أهل البصرة وكبار الموظفين في المحافظة، ويشيد أبو كرم بأخلاقه وكرمه ومساعدته لهما عند زيارتهما للقاهرة. يرحب الجميع بفلاح... وفي الساعة العاشرة يستأذن ويعود للبيت ليجد سميرة تنتظر في غرفة ضيوف بيتهم المطل شباكها على الشارع، تسمع وقع خطواته، تنظر من خلال زجاج الشباك وهي مختبئة خلف الستارة، فتراه قادمًا...

- فلاح... فلاح... يا فلاح...

وهو عيناه وأذناه مركزة على الشباك أساسًا... يسمعها ويقف... تفتح له باب البيت بهدوء، ولكنه لا يدخل...

- سميرة، غدًا أحكي لكِ... تصبحين على خير.

• • • •

يذهب يوم الأربعاء لزيارة أبي شهد في المحافظة، فيخبره أنه وأبو كرم قررا دعوته مساء الخميس في نادي الميناء (بورت كلاب)... يأتي أبو شهد على فلاح

إلى بيتهم ويصحبه إلى النادي فيجدان أبا كرم في انتظارهما، فلاح يعيش في دنيا غريبة في مجتمع بصري غير المجتمع الذي تعود عليه، مجتمع فيه نوع من الرقي والتحضر والإتكيت الذي لم يره بكل حياتهِ في الجمهورية، للحقيقة لم يجده في مصر وحتى في بيت سعد وأنس أصدقاءه، البنات تلبسن أحدث الموضات، الرجال يلبسون البدلات السوداء والزرقاء وأربطة العنق الزاهية، والندلاء يتحركون بملابسهم الخاصة المميزة النظيفة لأداء الخدمات... مجتمع متطور عن المجتمع الذي اعتاد عليه... يهمس في أُذن أبي شهد:

- ممكن أن نأتي أنا وخطيبتي إلى هذا النادي؟
- تعال معي إلى مدير إدارة النادي.
- مرحبا...
- أهلاً وسهلاً أستاذ أبو شهد...
- أنا والمحافظ نريد تسجيل أستاذ فلاح وزوجته عضوين في نادي الميناء.
- نعم وبكل ممنونية... ليملأ أستاذ فلاح هذه الاستمارة وتؤيد من قبلكم ودفع الرسم ويعتبر عضوًا في النادي منذ اليوم.

يأخذان الاستمارة ويعودان لملأ بياناتها، ويوقع أبو كرم وأبو شهد وفلاح... وبعد دقائق يأتي مدير النادي إلى طاولة المحافظ ويسلم عليه ويستلم الاستمارة ويقول لفلاح:

- في أي يوم تأتي بالصور تستلم الهويتين، وسأضع اسميكما أنتَ وزوجتك في الاستعلامات لغرض دخولكما.

أبو شهد يسلم مدير النادي ثمانية دنانير بدل الانتساب... يعترض فلاح

ويخرج محفظته، ولكن أبو كرم يمسك يده.

في العاشرة أبو شهد يوصل فلاح إلى بيتهم، سميرة كالعادة تنظره وتنظر من الشباك لتلك السيارة الحديثة الفارهة التي أوصلته للبيت.

يستلقي فلاح على ظهره في فراشه يقارن بين حياتهم التي تعودوا عليها وحياة الناس الذين شاهدهم في نادي الميناء، غريب أن يعيش أهل البصرة وكأنهم شعبان ؛ شعب بسيط يعيش على الكفاف حياة بسيطة متواضعة، وشعب آخر تمامًا مرفه متطور، تصور أن المحافظ دفع حساب الدعوة للمدعوين أربعين دينارًا أي بمعدل خمسة دنانير للشخص الواحد، وهذه الخمسة دنانير قد تكفي عائلة بسيطة طعام وشراب لمدة أسبوع بدليل أن راتب المعلم الاسمي لا يتجاوز اثنين وعشرين دينارًا، يعني أن سميرة بعد تخرجها وتعينها بوظيفة معلمة لا يتجاوز راتبها أربعين دينارًا بأي حال من الأحوال، وموظف آخر بالدولة يصرف في دعوة لعدد قليل أربعين دينارًا، طيب هل أستطيع مثلاً أنا أن أدعو أبا كرم وأبا شهد في هذا النادي ؟!... المشكلة الآن أنا مشترك في هذا النادي هل نستطيع أنا وسميرة التردد عليه ! ؟...لأجرب حظي وأرى.

يشرح لسميرة شيئًا عن هذا النادي:

- ولكي تري الناس بأم عينيك علينا أن نجرِّب حظنا بالذهاب هناك يوم الخميس... لا، ليس الخميس لأنه ربما يكون هناك أبو شهد وأبو كرم ولا أحب أن يدفعا حسابنا، ثم نحن لا نشرب مشروبات كحولية لأنها أكيد غالية ونحن أساسًا لا نتعاطاها ولا نستسيغها ولا نعرفها... إذن لنجرب، لأن التجربة أكبر برهان.

يستمران بإكمال متطلبات البيت ، والود وده أن ينتقل أهله قبل عودته للقاهرة بأسبوع ، وتتفق معه سميرة على هذا الأساس... يجهزان البيت بالكهربائيات المهمة من محل والده بدون مقابل طبعًا ، هناك كثير من الشركات تقدِّم هدايا مجانية للمستوردين كنوع من الدعاية، يستغلها فلاح وسميرة لكي لا تؤثر على أرباح المحل... يعلقان المصابيح مثل الفلورسنات، يصعدان على كرسي واحد للعمل متلامسَين، فتسري القشعريرة في كيانهما فيتركان العمل لعدم إمكانية إكماله...

- ماذا تفعلين بي، ومن أين لكِ هذه الطاقة العظيمة المؤثرة التي تهز كياني هزًا، هذه طاقة لا تضعف ولا تنفذ.
- لا تنسى أنك تملك نفس الطاقة ، لا بل أقوى من طاقتي، إنها هبة الله فينا... الحمد والشكر لله.
- حبيبتي، أعتقد أن هذا هو الحب الحقيقي، أنا في الحقيقة لم أشعر بمثل هذه القشعريرة إلا معكِ.
- ها، أفصح بربك أفصح... قل الحقيقة، اصدقني القول، بدأت أخاف من تلميحاتك.
- أنا أقول مثلاً، والأمثال تُضرب ولا تُقاس.

تمر الأيام ، ويبدأ فلاح يتردد على المحل لمساعدة والده وأخيه "صباح" ، ويستعين بأحد عمال التأسيسات الكهربائية أصدقاء والده بتركيب الإنارة في البيت الجديد ، ويتفاجأ بالهدايا التي يقدمها له أصدقاء والده بمناسبة الخطوبة وخاصة عمال التأسيسات ومندوبي الشركات، يفرح فلاح وسميرة بهذه الهدايا القيمة.

الأربعاء يلبسان أحسن ما عندهما، ويأخذ فلاح معه مبلغًا من المال تحسبًا للطوارئ وصورتين له ومثلها لسميرة مع وصل الانتساب ويذهبان إلى النادي... يستقبلهما موظف الاستعلامات بالترحاب، ويستقبلهما مدير الإدارة ويرحب بهما أجمل ترحيب ويعلمهما أن الهويتين جاهزتين تنقصهما الصورتان... يسلمان الصورتين اللتين تُلصقان وتكبس الهويتان فورًا وتسلم إلى فلاح:

- النادي ناديكم وعلى الرحب والسعة في أي وقت تحبان، وإذا تحبان أن نعمل لكما اشتراك في المسبح فنحن حاضرين.

فيرد فلاح:

- في وقت آخر إن شاء الله.
- أستاذ فلاح، أرجو منكَ مساعدتنا.
- بماذا أساعدكم؟
- أن يأمر سيادة المحافظ مدير المشاتل بتزويدنا بأنواع من الورود النادرة لديهم.
- ولماذا لا تطلبون ذلك أنتم؟
- الموضوع يحتاج لوساطة.
- إن شاء الله.

سميرة منبهرة من هذه الاحترامات ومن ضخامة النادي ونظافته ومن الأثاث الراقي وحسن النظام والحدائق الغناء ورائحة الزهور الفواحة... يدخلان قاعة العوائل

- ما هذا الجمال وما هذه الديكورات وما هذه كراسي الراحة الفخمة، والله كل شيء هنا مدهش يا فلاح، لأول مرة في حياتي أشاهد مثل هذا الصرح الكبير.

تنظر سميرة إلى العوائل وإلى الفتيات بعمرها، فتندهش من الموضة والجمال والأناقة والهدوء...

يأتي النادل...

- تفضل أستاذ.
- رجاءً بيبسي كولا.
- حاضر أستاذ.

دقائق ويعود النادل.

- أي خدمات أخرى أستاذ؟
- لا... شكرًا.

فلاح يتحرك إلى لوحة الإعلانات ليطلع على أسعار المأكولات الأسعار معقولة ومقبولة:

- رجاءً نفرين مشويات مشكل.
- فلاح لم تأخذ رأيي بذلك.
- هذا للتجربة، أرجوكِ اصبري، وفِي المرات القادمة ستطلبين لنفسك، هذه المرة سماح.
- لا حبيبي، أمازحكَ... أنا آسفة.

الساعة التاسعة يطلب فلاح قائمة الحساب...

- أستاذ، دفعتها الإدارة، مدير الإدارة، مع السلامة، وهذه باقة ورد هدية لأحلى عضوين في النادي، وهذا شعار النادي وبادج النادي لسيارتكما.

فلاح يود معرفة قائمة الحساب، على جنب يسال النادل:

- رجاءً، كم كانت قائمة الحساب؟

- ستمائة فلس مع الخدمة.

- شكرًا.

- تصوري كل قائمة الحساب بستمائة فلس، وكل هذه الأبهة والخدمات، والله أرخص من كازينو العائلات في الكورنيش، الظاهر المشروبات الكحولية غالية جدًا، الحمد لله أننا لا نتعاطى هذه المشروبات.

يعودان للبيت، سميرة تقترح أن يجلسا قليلاً في غرفة الضيوف في بيتهم، فيوافق فلاح، تفتح باب البيت بهدوء، أمها وأخواتها نائمات...

- أشعر أني ملكة اليوم، وأنتَ مليكي.

- لم أتوقع أن في مدينتنا حياة تختلف تمامًا عن الحياة التي تعودنا عليها كل هذه السنين.

- أنتَ تستاهل كل خير، والمستقبل أمامنا.

يمسك يَدها:

- أتعلمين أني أخاف منكِ، أستحي منكِ، أحس أنكِ شيء مقدس ولكِ رهبة في نفسي.

- أنا إنسانة بسيطة كما تعلم وقليلة الحيلة، ولكن الله يحبني فوهبني فلاح وزرع حبي في قلبهِ.

- والله لا أجاملكِ، أنتِ هبة من السماء وهبها الله جلَّ جلاله لي.
- بماذا أرد عليكَ... لا توجد كلمات، إنها تتيه على شفتي.
- تصبحين على ألف خير، وإلى اللقاء غدًا... والله إنها أحلى أيام عمري، مع السلامة.
- مع ألف سلامة فلاح.

لها قدرة عجيبة على السيطرة على مشاعرها وعواطفها رغم النار المستعرة في داخلها ، تختلف تمامًا عن سهى التي لا تستطيع التحكم في عواطفها الجياشة ، ولو كانت سهى تحب شابًا آخر متهورًا غير فلاح الخجول المؤدب لحصل لها ما لا يحمد عقباه ولفقدت عذريتها من أول تهور لها، لكن حظها جيد لأن فلاح ابن ناس وقد تربى تربية صحيحة يخاف عليها ويقاوم اندفاعها بكل قوة وحكمة ، وأحيانًا يلوم نفسه عندما يجاملها تدفعه شهوة الشباب ولكن بحدود.
سميرة تفكِّر وهي في فراشها : هل أنا ظلمتُ فلاح بهذا التحفظ الشديد والجدية الزائدة عن حدها، إنه يحبني ويحترمني، ولربما سِرُّ حبه ليَّ يكمن في قدرتي على هذا التحفظ وكبح جماح عواطفي، أنا أهم شيء في حياتي كرامتي ، ولكن هل في الحب كرامة ؟!... الحب هو الحب ومثلما أنا أحبه ؛ هو أيضًا يحبني ويخاف عليَّ... لا ، لا... نحن شباب وما زال شيء من المراهقة في نفوسنا والشيطان شاطر والنفس أمارة بالسوء ، إذن لابد من وجود حدود بيني وبين فلاح ، إنه ليس نوع من الحرمان وإنما نوع من حفظ كرامة الإنسان وصيانة الحب الطاهر الشريف.

في اليوم التالي يذهب فلاح لزيارة أبا شهد ويقص عليه زيارتهما هو وسميرة إلى نادي الميناء، ويخبره عن طلب مدير إدارة النادي عن نوع من الورود من مديرية المشاتل...

- فلاح، تحصيل حاصل، لهم حصة من هذه الورود، طيب فلاح سأقول له هذه الورود لأجل خاطرك وننهي الموضوع... على فكرة، هل بيتكم الجديد فيه حديقة؟

- نعم أبو شهد، حديقة نوعًا ما متوسطة المساحة.

- طيب لماذا لا تأخذ لها أنواعًا من الورد.

- تحتاج إلى تربة جديدة وتنظيم ومن ثم زراعة الورد فيها.

- بسيطة...

يتصل أبو شهد بمدير البلدية ويرجوه إرسال مهندس زراعي أو مرشد زراعي ليكمل تنظيم حديقة بيت أستاذ فلاح.

وما هي إلى ثلاثة أيام ويتم تنظيم الحديقة وزراعتها بالورد وبعض الأشجار المثمرة وجهنمية وملكة الليل في مدخل البيت فيزاد جمال البيت رونقًا وبهاء.

يفرح فلاح وسميرة بحديقة البيت المبهجة التي تفتح النفس...

- هذا لا يهمني كثيراً بقدر ما يهمني أن تستردي صحتك...

- ألا تراني أحسن هذه الأيام.

- صحيح، نوعًا ما.

سميرة فعلاً تتحسن صحتها وتتورد خدودها قليلاً وينهد صدرها وتزول الهالة السوداء الخفيفة من عينيها.

- انظر لي ، أنا أجمل بكثير بعد الخطوبة ، أحس بذلك وأشعر به ، والله صدقني.

- ولكن أريد المزيد.

يقبِّلها شاكرًا تجاوبها...

- الله عسل ، والله عسل يا معسولة الريق ، والله يشع من عينيكِ بريقًا ، حرامات كل هذا الذكاء ولَم تكملي دراستك.

- سيكون عندي الوقت الكافي لخدمتك وتربية أولادنا.

ينظر إليها باحترام جَمٌّ ويهابها ويخاف عليها من الهواء الطائر وهي ثقتها مطلقة به لا تخاف الخلوة معه، وحتى عندما يقبِّلها بأدب واحترام ويضفي عليها صفة التقديس...

- ما هذا الرضاب الحلو المذاق على شفتيكِ حبيبتي؟

- عندما أكون بقُربك تسري حرارة جميلة أحبها في جسدي وأحس بلاعب حلو المذاق يملأ فمي ويرطِّب شفتيَّ، وبعرق بارد منعش يخفِّف من حرارة جسمي...

- أحس بالانتعاش والود ودي أن أطير وأحلِّق في هذا الفضاء الواسع مثل الملائكة الصالحين... أنا الآن أحب الحياة، لا بل أملكها، هذه الدنيا ملكي أنا، ما أجملها على بساطتها.

- دعنا بسطاء، أنا لا أحب تعقيدات الحياة ومشاكلها وبهرجتها، المهم أنتَ حبيبي، هذا كل ما أتمناه من الدنيا.

تمر الأيام بسرعة، وتقارب الإجازة على الانتهاء، يُفَعِّل فلاح تذكرة السفر، موعدها الأسبوع القادم يوم الثلاثاء صباحًا الساعة الثانية عشر ظهرًا... سميرة تبتئس، فسيفارقها ويعود للقاهرة وقد تعودت عليه، تحس بنفسهِ كل يوم...

- سميرة، علينا بالصبر ومن الله الفرج، المستقبل مهم، من جدَّ وجد ومن زرعَ حصد، والصمود يصنع النصر.
- الحمد لله والشكر على ما حققناه في هذه العطلة، أنا سعيدة جدًا ومرتاحة جدًا، لقد قطعنا شوطًا كبيراً وتحققت أماني كثيرة، أنا عندي قدرة عالية على الصبر.
- على فكرة، هل يكفي المبلغ الذي يدفعه أبي لكم كل شهر؟
- نعم، يكفي وزيادة، لا تنسى أن المعهد أصبح يعطيني كل شهر ستة عشر دينار، ولدي المبلغ الاحتياط المائة والعشرون دينار.
- استلمي مني هذا أرجوك حبيبتي ولا تردي طلبي.
- ما هذا؟
- ثمانون دينارًا تضيفينها على مبلغ الطوارئ.
- هذا كثير، ولا ننسى فلوس الغرفة المائتان دينار حق النجار.
- أخبرني أبو شهد أن الغرفة في الشهر القادم ستكون جاهزة إن شاء الله وسيجلبها النجار ويركبها في الغرفة التي اخترناها المطل شباكها على الحديقة، غدًا نزرع جهنمية حمراء وملكة الليل على شباك غرفتنا، سنذهب أنا وأنتِ للمشتل، أبو شهد قال لمدير المشتل ما أطلبه منه يعطيه لي، غدًا نجرِّب ذلك.

- أبو شهد وأبو كرم يحباننا جدًا وكأننا أولادهما.

- فعلاً أنا ألاحظ ذلك، إنهم ناس طيبون.

يذهبان في اليوم التالي إلى المشتل، يستقبلهما مدير المشتل ويرحب بهما ويختار لهما أجمل جهنمية لون ورودها أحمر فاقع، وأروع ملكة ليل رائحتها عطرة فواحة، ويهديهما مجموعة من الروز بألوان جميلة جذابة، يصر على توصيلهما إلى البيت ومساعدتهما في زرع هذه الورود الجميلة.

فلاح وسميرة في غرفة المستقبل،...

- هنا تنصبون السرير، وهنا يكون الدولاب، ما رأيكِ سميرة؟

- هذه أمور ممكن تحريكها متى ما ترغب، إنها لست رَوَاسِي، صحيح؟

- صحيح، والله أنتِ تفهمين.

- أشكركَ، تضحك عليّ َ، أنا أستاهل الاستهزاء، سوف لا أقترح عليك أي شيء.

- حبيبتي، زعلتي؟

- منكَ أزعل؟! لا والله، ولكن أحيانًا يعجبني مشاكستك، أرجوك لا تزعل من مشاكستي.

يمسح بمنديله بعض الرضاب عن شفتيها وحبات من العرق على جبينها ويقبّل جبينها، فتضع يدها على خدهِ وتسحب أنفه بحنية...

- كلُّ شيء بكَ جميل، وكأن صائغًا ماهرًا صاغه.

- ماذا أقول فيكِ؟ سبحان الخلاق، ما أطيب عطر جسمك وما أحلى ملامحك وما أعذب حديثك وما أرقكِ وما أجمل حياؤكِ وأرقَ أنوثتكِ، وأحلى ما فيكِ طيبتكَ ونقاء سريرتكَ وصدقكِ وأمانتكِ.

- شكرًا حبيبي، هذا من حسن ذوقكَ يا قلبي، يا حياتي... كلامك هذا يكاد يقضي عليَّ، فارحمني واسقيني الحب حبة حبة، فأنا لا أتحمل كل هذه الأشواق مرةً واحدة.

- والله لا أعرف هل أنا أخاف منكِ أم أستحي منكِ، حبيبتي دائمًا لتكن المبادرة منكِ.

- أنا مثلكَ أحس بالرهبة والخشوع والقداسة أمامكَ.

- لا تستغربي، إنه الحب الحقيقي النابع من كل ذرة من كياننا، ليمنحنا الله القدرة على الصبر والمطاولة ليوم الزواج.

- والله هذه أيام جميلة في حياتي، والله هذه جنتي وأمل حياتي، صدقني أنا محظوظة. الحمد والشكر لكَ ربي، وأنتَ وعدت فكفيت ووفيت، شكرًا لكَ.

- والآن لنعد للبيت، وبعد غد ننتقل لهذا البيت.

- على فكرة، أنا لا أستطيع العيش في بيتنا وأنتم ليس أمامنا، يوجد بيت جميل في شارع بيت جانيت سننتقل به، هل أنتَ موافق؟

- الذي يسعدكَ.

- فرق الإيجار بسيط ثلاثة دنانير فقط.

- إذن بعد غد ننتقل سويًا ويبقى يومان على موعد سفري، اليوم السبت وأنا الاثنين أسافر إلى بغداد لأطير إلى القاهرة الثلاثاء ظهرًا.

- تصل حبيبي بالسلامة، ولا تنسَ أن تأتي في عطلة نصف السنة في موعد تخرجي من المعهد.

- حاضر حبيبتي.

تودِّعه مساء الاثنين في محطة القطار وسيل من الدموع لا تقدر على إيقافها، وقد ابتلَّ منديله وهو يهدئها ويربت على كتفها ويتوسل لها أن تهدأ قليلاً...

- دعني حبيبي أنفِّس عن نفسي بهذه الدموع، لا تقلق، إنها دموع الوداع.
- سنلتقي قريبًا، تجلدي، أنتِ بطلة.

يتحرك القطار الصاعد... تعود مع صباح شقيق فلاح وما زالت دموعها تنهمل فتحرق وجنتيها، وصباح يهوِّن عليها:
- أرجوكِ خذي بالك من نفسكِ، سيعود فلاح قريبًا سيعود، هدئي من روعكِ أرجوكِ.

(١٤)

يصل فلاح القاهرة ويتردد في الذهاب إلى فندق مونتانا حيث هناك احتمال لقاؤه بسهى وهو يعيش أحلى الأحلام مع سميرة ومازالت دموعهما الساخنة يوم الوداع تكوي شغاف قلبه، لا يحب أن يمس هذا الحلم الملائكي وهذه الجنة الجميلة بما يعكِّر نقاءها وصفاءها، وسهى ستستقبله بالأحضان والقبلات وما زال طعم العسل في فمهِ وما زالت نظرات سميرة وهي تتوسل إليه بهذه النظرات الثاقبة أن يحافظ على العهد والأمانة، لكن الإجازة باقي منها أربعة أيام والكلية الآن خالية من الطلاب وربما القسم الداخلي مازال مغلقًا، إذن ضروري أن يذهب إلى الفندق، ولكن من الممكن أن يغيِّر الفندق، وحقيبته في الأمانات ثم سهى تعرف كليته والسائق صابر يعرف مكانه:

- لماذا أنا خائف من سهى، هل أنا فتاة !؟... هل ارتكبت معها خطأ وأتحرج مواجهتها، هي فتاة طيبة جدًا تحبني وتتمنى رضائي عنها ولكن مشكلتها أنها جريئة ومندفعة ولا تستطيع السيطرة على شهواتها، لكنها واثقة مني وهذا سرُّ اندفاعها معي... ما الضرر الذي يمكن أن تسبِّبه لي سهى؟!... إذا أنا واثق من نفسي وواثق من حبي إلى سميرة، حتى القلق البسيط الذي كنت أعاني منه انتهى وقد أصبحت سميرة كل حياتي وكل مستقبلي، الغُربة قاتلة وسهى تخفِّف عني غربتي وربما بُعدي عن سميرة.

يحاول أن يقنع نفسه، فيذهب إلى الفندق ويدهُ على قلبهِ، ماذا يقول لسهى ؟! هل يقول إنه خطبَ حبيبة قلبه سميرة، وأنه سعيد معها ؟!... الأفضل السكوت والاحتفاظ بهذا السر هنا في القاهرة له وحده، يعيش فيه مع أحلامه وتمنياته وحبه الملائكي الطاهر... هذا الحب الحقيقي الذي نادرًا ما نجد مثله.

يجد سهى في صالة الفندق فتجري باتجاهه، وتحرجًا من الجالسين بالصالة ومن موظفي الاستقبال تقف أمامه كأنها صنم ودموعها تبلل خدها الأسمر المملوء، تأخذ منه الحقيبة اليدوية، يستلم مفتاح غرفته ويذهب برفقتها وكأنها ظله إلى غرفته... تغلق باب الغرفة على عجل وتحتضنه وتقبله قبلات متلاحقة، يحس أن نهديها الريانة تضغط على صدره بقوة وكأنها قدت من العاج وليس من لحم ودم...

- احكي لي عن كل شاردة وواردة عشتها في البصرة، عن أهلكَ وكيف قضيت وقتكَ...
- لا، لا... احكي أنتِ لي الأول.
- والله حياة روتينية مع أمي وأخواتي، وأبي مشغول طول النهار في الوظيفة وطول الليل في الصالون الثقافي ويوم الجمعة معظمه في الحسابات مع الموظفين... حياة كلاسيكية رتيبة، لقد مرَّت الإجازة بسرعة مذهلة بحيث عدت منذُ ثلاثة أيام وأنا أُمنِّي النفس بلقائك، والله هذه الأيام الثلاثة التي مرَّت عليَّ هنا في الفندق كأنها دهر، ما أصعب ساعات الانتظار، ما أقساها، اليوم ردت لي روحي.
- اسمحي لي أن آخذ حمامًا على السريع ونلتقي في الصالة لنقرر أين نتناول الغداء اليوم، أنا ولو أكلت في الطائرة لكنه يبقى أكل طائرات أخف من الخفيف.
- أما أنا فنسيت الأكل برؤيتكَ الغالية.

- ما رأيكِ أن نتناول السمك في مطعم أسماك النيل؟

- لا، اليوم لن آكل السمك لأني أريد أن أشبع من تقبيلك ورائحتك العطرة، فلا تحرمني من سعادتي، ثلاثة شهور وأنا أنتظر هذه اللحظات السعيدة.. هذه هدية لكَ من السودان؛ آية كرسي مع قلادتها ألبسك إياها...

تطوِّق عنقه وتقبله بقوة كعادتها، وتقدم هدية أمها خاتمًا ذهبيًا كبيراً فيه عدد من الماسات.

- وعندي مفاجأة جميلة لكَ عندما نعود من المطعم.

••••

فلاح ترك خاتم الخطوبة عند أمه أمانة لأنه طالب ولا يريد إحراج نفسه أمام زملائه الطلاب، واستأذن من سميرة فوافقت ولكن على مضض، وإكرامًا لفلاح لأنها لا تحب أن ترد له طلبًا مهما كان...

يتفاجأ فلاح بمفاجأة سهى بأن أمها اشترت لهما حلق (دبل) مطعمة بالماس من صائغ العائلة ، واحدة لها والثانية له ، لربط الكلام والعلاقة بينهما ، وتحتفظ سهى بهذا الحلق لحين مجيء أهلها في عطلة نصف السنة لتلبيس دبلة الخطوبة باحتفال عائلي.

- سهى، مازلنا طالبين في المرحلة الأولى، ما لنا والخطوبة والزواج، علينا أولاً أن نفكر بمستقبلنا وتخرُجنا ونعتمد في حياتنا على أنفسنا وبعد ذلك تأتي مرحلة الخطوبة والزواج... يكون في معلوماتك طالما أنا طالب لا يمكن أن أوافق على مثل هذه الخزعبلات غير المسؤولة.

- يعني تزَّعل ماما؟

- ماما ليس على كيفها تقرِّر، وعلينا أن ننفذ، أنا حتى لو تزعلين لا أوافق على مثل هذه الأفكار في الوقت الحاضر ومثلما أنتِ لكِ أهل يوافقون أو يرفضون، أنا أيضًا لي أهل يجب أن يكونوا على علم ودراية وخاصة في موضوع حيوي مثل هذا.

- خلاص، لا تزعل، نضعهما في الأمانات، وعندما يأتي أهلي تفاهم أنت حبيبي معهم.

- أنا ذاهب اليوم إلى بيت سعد لزيارتهم والاطمئنان عليهم.

- وتتركني وحدي؟

- ماذا تريدين أن أفعل لكِ؟

- أكيد أنت زعلان... أرجوك انسَ الموضوع ولا تعقِّد الأمور علينا، هذه اللحظات الجميلة أنا انتظرتها بفارغ الصبر، كنت أتصور أن هذا يفرحك، خلاص انسى موضوع الحلق (الدبل) وأجِّل موضوع بيت سعد إلى الغد.

- حاضر، حاضر... أرجوكِ لا تفاجئيني بقرارات من هذا النوع مستقبلاً.

يعودان للفندق ويجلسان في الصالة وفلاح مهموم ويفرك بيديه وكأن حدثًا جلل قد حدث...

- افرجها، قلنا خلاص، أنت لا تحبني ولا ترغب الارتباط بي، هذه هي الحقيقة.

- من قال إن هذه الحقيقة؟ أنتِ تقولين وأنتِ تبررين، وأنتِ تريدين أن تقرري... وأنا؟... هل أنا طرطور أو قطعة شطرنج تحركينها على كيفك؟!

- أنا لم أقل ذلك؟

- لا، إنكِ تتصرفين هكذا لأنك بنت الباشا... أنا شيء آخر، عليكِ أن تفهمي ذلك.

- خلاص، أرجوك لا تتعصب وتجعل من الحبة كبة.

- اسمحي لي أن أذهب لغرفتي لأرتاح ونلتقي عند المساء، مع السلامة.

تذهب لغرفتها وتجهش بالبكاء: من يرى نفسه؟ أنا ألف من يتمناني ممن هو أحسن منه من أولاد الباشوات والعوائل السودانية الكبيرة، هو يقول أمه ربة بيت أُمية، أبوه صاحب محل بسيط، وبيتهم في حي شعبي في أقصى جنوب العراق، هذا لو لم يرَ أملاكنا ويلتقي بأبي الباشا ماذا كان يفعل؟!... ولكني أحبه وأتمنى رضاه، وعلي أن أحافظ على العلاقة التي بيننا، أنا لا أستطيع أن أعيش بدونه، هذه المشكلة يحلها أمي وأبي عند زيارتنا في العطلة القادمة.

ينهض من فراشه ويغادر الفندق إلى بيت سعد دون علم سهى، يستقبله أهل سعد استقبالاً جميلاً، يسألون عن أهله وكيف قضى الإجازة في العراق، فيخبرهم عن بيتهم الجديد وعن خطيبته سميرة فتسأله أم سعد:

- هل خدودها موردة؟... عريضة الهامة طويلة القامة؟...

- نعم... نعم، ماما أم سعد.

- مبروك فلاح تستاهل كل خير، عندك صورة لسميرة؟

- نعم، وهذه صورتها.

- الله، الله، ما أجملها.

أم سعد الفنانة المقتدرة تضرب على العود وتغني... ينسجم فلاح مع كلمات الأغنية المؤثرة التي تمس شغاف القلب:

أنساك...! ده كلام... ؟ أنساك...! يا سلام...!
أهو ده اللى مش ممكن أبدًا. ولا أفكر فيه أبدًا
ده مستحيل قلبي يميل ويحب يوم غيرك أبدًا
أهو ده اللى مش ممكن أبدأ
ولا ليلة ولا يوم... أنا دقت النوم...أيام بُعدك
كان قلبك فين ؟...وحنانك فين ؟... كان فين قلبك ؟
أنا أنسى جفاك وعذابي معاك ما أنساش حبك
أنساك ده كلام أنساك يا سلام
واحب تانى ليه وأعمل فى حبك إيه
ده مستحيل قلبى يميل ويحب يوم غيرك أبدًا
أهو ده اللى مش ممكن أبدًا

يتأثر وتنزل دموع ساخنة من عينهِ... ويكلم نفسه: معقول أنا أحب غير سميرة ؟... هذا هو المستحيل، أنا فتحت عيوني على سميرة وليس في قلبي غيرها.

يعود للفندق فيجد سهى في الصالة في حالة زعل شديد، يسلِّم عليها فلا ترد السلام، تنظر له بعيون مغرورقة بالدموع، فيجلس بجوارها ويعتذر منها ويوعدها أن يعوضها غدًا... تهدأ قليلاً ويذهبان إلى غرفته...

- اسمعني حبيبي، العمر محدود وقد مضى رُبعه، وأنتَ تريد أن تضيع الرُبع الثاني بتزمتك هذا، يعني يضيع نصف العمر علينا هل هذا يسعدك ؟... والله حرام...

في هذهِ الأثناء يدخل سعود ويسلِّم عليهما فترد عليه ببرود... يصافح فلاح ويعلمه أن والده في القاهرة قادم من الكويت على رأس وفد للتعاقد مع عدد كبير من المهندسين والفنيين لكونه وزير الطاقة الكويتي، وبنفس الوقت لحضور عيد العلم...

- قبل أن أنسى ، أنتَ وسهى مدعوان اليوم على عشاء راقص في فندق شيراتون الساعة الثامنة نتحرك معًا إلى هناك.
- اسمحوا لي أن أغير ملابسي وأستعد.
- سهى، اسمحي لي أن أذهب لغرفتي لاستحم وأغيِّر ملابسي، وكذلك أنتِ.
- أنا لا أحب غلاسة سعود.
- علشان خاطري سهى.
- حاضر... حاضر.

يتحركون معًا بسيارة الوفود التي يرسلها لهم السيد الوزير... يجلسون على طاولة الوزير بعد أن يتعرفوا عليه... تبدأ الموسيقى بالعزف وينهض الشباب للرقص... سهى تطلب من فلاح أن يشاركها هذه الرقصة الرومانسية... همس بأذنها أنه لا يجيد الرقص...

- بسيطة، أنا أُعلِّمك.
- أرجوكِ لا تحرجيني.

تسحبه من يده ، يساعدها سعود بتشجيع فلاح... يندسان وسط الراقصين لكي لا يراهما سعود والآخرون... تطوق خصره بيدها اليسرى وتمسك يده باليمنى وتطلب منه أن يقلدها... تتحرك على الموسيقى الكلاسيكية البطيئة وتطلب منه أن يتحرك مثلها... يبذل الجهود ويركز لكي لا يدوس على قدمها، ينجح إلى حد ما... صدرها العالي يحتك بصدره..

- سهى، رجاءً...

- فهمت، فهمت... لنتابع الرقصة.

تتوقف الموسيقى... يتعرق ، فتعطيه منديلها... يصفق لهما سعود وأبوه والوفد المرافق... دقائق وتعاود الموسيقى ويتجمع الشباب والشابات في المرقص... سعود يتجرأ فيطلب من سهى أن تشاركه هذه الرقصة... تمتعض، ولكنها إكرامًا لفلاح ترد بأدب: آسفة لأني تعبانه... وتنظر إلى فلاح، فيحرِّك رأسه...

- ما معنى هذا يا فلاح؟.

- طبعًا أوافق على اعتذاركِ، وأحسنتِ التصرف.

في العاشرة يشكران الوزير وينسحبان بهدوء ويقولان لسعود: غدًا نلتقي.

يعودان للفندق، وفي غرفته:

- هذا ثقيل الدم سعود يريدني أن أرقص معه، بصراحة لا أطيقه.

- لقد أحرجتِ الرجل رغم بجاحتهِ وقلة ذوقه... ما رأيكِ أنتما لائقان لبعضكما، أنتِ ابنة وزير وهو ابن وزير.

- عيب هذا الكلام، هذا كلام بايخ لا أقبله، أنتَ تزعلني منكَ...

- والله أمزح، أرجو المعذرة.

تترك الغرفة وتذهب مسرعة لغرفتها وترمي نفسها فوق فراشها وتجهش بالبكاء.

فلاح مع نفسهِ يأسف لهذا المزاح البايخ فعلاً لأنه يمس مشاعرها وكرامتها، ولا يحق له أن ينتقص منها وهي تعامله بكل أدب واحترام، وعليه أن لا

ينسى أنها بنت باشا وعاشت في عز وأُبهة وخدم وحشم والكل رهن إشارتها وطاعتها... بينما هو يأتي من حي شعبي ابن إنسان بسيط يستهزأ منها ويحط من قدرها ويعاملها بجفاء، وهي تبسط له كل أنواع الولاء والطاعة وتتمنى رضاه عنها وبأي ثمن وبأي تضحية، وتعرض عليه نفسها ومركزها ومالها وكل ما تملك، وترجوه أن يكون رجل البيت لانشغال والدها الباشا بالمسؤولية وبصالونه الثقافي وبأعماله الواسعة، وفلاح يتدلل عليها ويؤنبها ويوبخها، يعمل ما لا يستطيع والدها الباشا أن يعمله معها لأنها فلذة كبده... فلاح، عليك أن تراعي نفسكَ في بنت الناس ولا تكن متعجرفًا هكذا... هذه الفتاة الرقيقة تحبك وقد سممت بدنها بكلام لا يليق أن تقوله لها وتزعلها... المطلوب منكَ الآن ان تصالحها وتعتذر منها، لأنها تحب رضاك وترغب أن تسمع كلمة حلوة منكَ...

يتوجه لغرفتها ويطرق بابها طرقات خفيفة متقطعة، فتعرف بإيحائها أنهُ فلاح... تفتح الباب... بعيون دامعة وصوت متعب فِيهِ بحة حزن وألم: تفضل، ادخل...

يدخل وتغلق الباب وترتمي عليه وتجهش بالبكاء والنشيج...

- أنا أعتذر منكِ سهى، أرجو أن تسامحيني، والله كنتُ أمزح وألعب معكِ، أنا هكذا يعجبني أن أمزح معكِ.
- ليس هناك في الحب مزاح، إن كان حبكَ حقيقيًا... للحب وقته، والجد وقته، والمزاح واللعب وقت آخر تمامًا... لا يجوز المزج بين الحب والهزل ولا بين الجد واللعب، وأنتَ أستاذي وأنا منكَ أتعلّم... أرجوك ارحم

شعوري وأنوثتي ورقتي، لا يصح أن تعاملني بمثل هذه الخشونة، أنا لا أستاهل منك كل هذا العذاب.

- خلاص، وهذه بوسة صُلح.

- واحدة لا تكفي، أريد بوسات بعدد الكلمات المؤلمة كأنها سهام وجهتها ليَّ... لا، بل على عدد حروف هذه الكلمات، وتحسب كل النقاط حروفًا...

تعانقهُ ويبدأ رشاش القبلات بكل العواطف والأشواق لتطفئ مراجل النار التي تغلي جواها من الحب والأشواق والعشق والهيام... لقد أصبحت مدمنة عليه، لا تستطيع أن تعيش بدونه، فهو قدوتها، وهو حبيبها، وهو ملاكها المقدس، تعشق كل ما فيه، وتتمنى أن تسمع منه كلمة حب ولو همسًا... لكنه بخيل، وبخيل جدًا، نادرًا ما يُسمعها كلمة تطيب خاطرها وترد الروح لها وتريحها وتبرد ولو شيئًا من نارها، نار الشوق والوجد.

- ما رأيكِ سهى أن نذهب غدًا صباحًا إلى حديقة الحيوانات في الجيزة مرةً أخرى لنشرب الشاي في جزيرة الشاي ونستمتع بمنظر وحركة القرود هناك.

- طيب، اتفقنا.

في العاشرة من صباح الجمعة في جزيرة الشاي يرشفان أكواب الشاي الكشري ويتفرجون على جبلاية القرود...

- على فكرة فلاح ما معنى كلمة جبلاية؟

- كلمة مصرية تصغير لكلمة جبل على ما أعتقد، عندنا في العراق يسمونها تَلّ...

ينظران للقرود بشغف، تلاحظ سهى أن القرد أصابع يده متساوية ومتشابهة وليس عنده إبهام مثل الإنسان ولا توجد عنده عضلة الإبهام، ولهذا يصعب عليه أن يمسك عصا ويقاتل لكنهُ شاطر بتسلق الأشجار أحسن من الإنسان، وقد سمعت في جلسة ثقافية من أستاذ دكتور متخصص في علم الآثار أن أطباقًا فضائية في سالف الزمان نزلت في بلاد ما بين النهرين في العراق وفِي مصر أرض الكنانة وفِي منطقة محددة في المكسيك يبحثون عن معادن نادرة يحتاجونها في كوكبهم لندرتها عندهم ، وعندما وجدوا أن العمل صعب ويحتاج إلى جهد ووقت وأن الإنسان هنا متخلف عنهم وغير قادر على العمل بسبب تخلف عقله وعدم وجود عضلة الإبهام اضطروا أن يمنحوه جينات ليطوروه ويستثمروه...

- سهى ، أنا أتابع وأقرأ الكثير من الكتب في الإجازات لأوسِّع دائرة معلوماتي... عمومًا الإنسان لا يستطيع أن يعيش في عُزلة لأنه سيُصاب بالملل ولكن الحيوان والإله يستطيعان ذلك، لأن الحيوان لا يحس بما حوله والإله قائم بذاته، وأن الإنسان يحمل كل الصفات فهو يملك صفة العقل وبهِ غرائز الحيوان، ولا أحد يعرف أصل الإنسان، الأديان تقول إنه جاء من السماء، وهناك من يقول إن الإنسان هاجر إلى الأرض من كواكب أخرى، وهناك من يقول إن الإنسان عُقدة العُقد ، ولفك هذا اللغز علينا أن نستعين بالحيوانات الأخرى، وأقربها للإنسان هذا القرد، شاهديه يا سهى، لأن الذي يفعله القرد بغير عقل ؛ يخفيه الإنسان بمنتهى العقل، ولذلك إذا أردنا أن نتعرف على صورتنا الخفية ، فهي الآن أمامنا في جبلاية القرود هذه... فَلَو أُتيحت لك الفرصة وساعدك وقتكِ أرجو أن تقرأي كتاب ليال واطسون مدير حدائق جوهانس بيرغ في أفريقيا الجنوبية (القرد الذي

يأكل كل شيء) عن عادات الإنسان الذي يشبه إلى حد بعيد في عاداته القرد... الإنسان يأكل كل شيء بينما هناك حيوانات تأكل النبات فقط وأخرى تأكل اللحوم فقط بمعنى هناك النباتي والحيواني... لكن الإنسان يأكل الاثنين، حتى أن فترة راحتنا تكون بين وجبات الطعام... ولمعلوماتك الإنسان لا توجد عنده فترة محددة للرغبة الجنسية فهو يشتهي على مدار السنة وهذه واحدة من معاناتي معكِ...

- فلاح، دخيلك، بشرفكَ هذه تسميها معاناة؟ هذه سميها: حب، شوق، عاطفة ممزوجة برغبة العشق والحنان.

- طيب... كل الحيوانات لها موسم زواج وموسم ولادة إلا الإنسان، فالأنثى تحمل وتلد في أي وقت، وللإنسان القدرة على التكيف مع البيئة وفق نظرية النشوء والارتقاء والتطور للعالم داروين، ضروري يا سهى تطلعي على كتاب هذا الرجل الفذ (أصل الأنواع) الذي يناقش التغير في الصفات الوراثية عبر الأجيال... ولهذا نجد أن الإنسان عاش كل هذه الأزمان وتطور بينما انقرضت كثير من الحيوانات... وعليكِ أن تعرفي أن الإنسان يشبه الحيوان في الأكل والبوسات الجميلات بيننا، ولكن الجميل في هذه الحيوانات أنها لا تعرف الخجل والكذب، لهذا الإنسان يحبها ويحن إليها ويراقبها عن قرب وعن كثب، وهذا سر قضاءنا ساعات الآن نراقبها ونضحك أحيانًا عليها رغم أن هناك احتمال قوي أحيانًا أننا نقوم ببعض تصرفاتها.

- هذا موضوع يقع ضمن اختصاصي ودراستي ، وأنتَ مازلت تعلِّمني وتفيدني... أنتَ ليس فقط حبيبي وأيضًا أستاذي.

- تمنيتُ أن تكون أمي قد أخذت نصيبها من التعليم مثلنا ولكن مع الأسف أمي إنسانة أُمية لا تقرأ ولا تكتب ، ولكنها طيبة ، صادقة ، أمينة ، كلها حنان وعاطفة وحب... كذلك تمنيت أن يكون أبي هو الآخر مثل أبيكِ ، ولكن تحصيله العلمي توقف عند المرحلة المتوسطة لحاجة أهله له في المعيشة... وكان ممكن أنا أن أكون كذلك ، لولا إصراري وموقف أبي المشرِّف معي ومع إخواني وندمه لأنه لم يكمل دراسته... أنا سعيد بطموحك واختيارك دراسة الطب رغم أن أسباب العيش الرغيد متوفرة لديكِ على أبهى صورها ، هذا كان سببًا من أسباب إعجابي بكِ يا سهى واحترامي لقدراتكِ... هناك ناس تستسلم عند أول عقبة تصادفها في حياتها ، وهناك أهل العزيمة والإصرار الذين يسعدهم تحقيق أمنياتهم ومستقبلهم ، وأنا وأنتِ منهم والحمد والشكر لله الذي زرع فينا بذرة العلم والتعلم.

يعودان إلى الفندق، يخبرها:

- ضروري اليوم أن آخذ محاضرة في تعلم العود ، لأن إهمال أي شيء يعني نسيانه ، أحتاج ساعتين اليوم... أنتِ خذي راحتكِ فيها... نلتقي في الصالة بعد الساعة السادسة مساءً.

يتفاجأ بقدوم ندى إلى صالة الفندق، تقول له إنها بحاجة ماسة له... يرافقها إلى مطعم قريب من الفندق قبل أن تراها سهى وتعمل له مشكله هو في غنى عنها...

- ندى، أكيد أنتِ جوعانة...

- أي والله...

- تفضلي اطلبي ما تحبين ونتكلم أثناء تناولكِ الطعام لأنه في الساعة الرابعة عندي محاضرة أي بعد ساعة ونصف.

- أنتَ تعرف أني أحبكَ وأرتاح إليكَ، وقد كنت أمنِّي النفس أن تكون من نصيبي، ولكنكَ فضلت عليَّ هذه السودانية السمراء من بلاد السود لأسباب لحد الآن أنا لم أفهمها... ولكن مع هذا اسمكَ وصورتكَ لم تفارقا خيالي... وأنتَ تعرف أني مررت بتجربة فاشلة مازلت أجترُّ ذكراها الأليمة على نفسي... أنا فتاة مجتهدة أحاول أن أقوم من عثرتي هذه وأن ابدأ حياة ناجحة من جديد... صحيح تعز عليَّ كرامتي أن أعود إليكَ بعد أن تركتني، ولكن قلبي يحن إليكَ ويود رضاكَ... أنا جئت اليوم وكلي أمل أن نعيد الروابط التي كانت بيننا والتي احتفظت بها في داخلي...

يختلس النظرات إلى ساقيها البيضاوين الملفوفتين اللتين كشف الثوب القصير عنهما، وينظر إلى صدرها الذي كشف عن أكثر من نصفهِ، وإلى نهديها البارزين، ووجهها الجميل...

تواصل ندى الكلام:

- أنا لا أطمع في الزواج بقدر ما أطمع بالراحة معكَ، فأرجو أن لا تحرمني من هذه النعمة، أحس براحة نفسية معكَ، وأنتَ تعرف أني فتاة متحررة، وأحب أن تكون لي علاقة جميلة معكَ.

- أرجوكِ اسمعيني، أنا مشغول بالدراسة طوال الأسبوع في الجامعة وليس لدي وقت غير الخميس ونهار الجمعة أنزل إلى وسط البلد في هذا الفندق

مثلما ينزل أخوكِ أنس إلى بيتكم ليستعيد معنوياته وليبدأ أسبوعًا جديدًا من الدراسة والعمل... أما عن الفتاة السودانية فهي نزيلة في هذا الفندق، بمعنى مقيمة في هذا الفندق وتحصيل حاصل أن أراها وألتقي بها وليس كما تتصورين، يعني هي زميلتي وليس حبيبتي كما تتصورين. أنا حبيبتي وخطيبتي في بغداد وليس في القاهرة.

- أنا تعلمت الدرس واستوعبته من خلال نقاشكَ في الزيارة السابقة لبيتنا، وأنا مقتنعة بذلك... ولكن مع هذا أنا في الحقيقة لم أجد من يستهويني وأقتنع بشخصيته وأميل إليه وائتمنه على نفسي من هو أحسن منكَ أو مثلكَ أو نصفكَ على الأقل، وأنا أحس بشعور من الراحة بجوارك أرجو أن لا تحرمني منها... ثم لماذا قاطعتنا ونحن جميعًا نحبكَ ونرتاح إليكَ، أنا وأنس وماما وأخواتي كلنا نحبكَ ونتمنى رضاك.

- ندى، اقترب موعد المحاضرة، وأنا أقدِّر مجيئكِ، وعرضك هذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على المحبة والود والصداقة، وأنا سأكون عند حسن ظنكِ وأحافظ على معنوياتكِ على أن يهيئ لكِ الحظ إنسانًا ترتاحين له وتحبينه وتتزوجينه... سأنسق الأمور مع أنس... ومتى ما احتجتِني ممكن الاتصال باستعلامات الفندق بالإجازة لنلتقي في مكان آخر.

- الأسبوع القادم الخميس عيد ميلادي وأنا ادعوك فهل تأتي؟

- طيب سأتفق مع أخيك أنس وبكل ممنونية، وألف مبروك وشكرًا على الدعوة... مع السلامة...

يصافحها، فتقبِّله قبلة خاطفة وتنسحب...

ويعود للمحاضرة في قاعة الموسيقى في الفندق.

في السادسة يلتقي فلاح وسهى، ويحكي لها قصة لقائه بندى وما دار بينهما من حديث... تبتئس من كلامه وتلومه:

- هل من المعقول والمقبول أن تتجاوب مع طروحات ندى البايخة... أصلاً لازم تكون مكسوفة من نفسها، هذا فتاة تريد أن تبيع نفسها، تعرض نفسها للبيع، والله عيب عليها وخزي... وأيضًا عيب عليكَ فلاح، كلامكَ هذا إساءة لي، أنا أرفضه وبقوة ومن حقي أن أزعل عليكَ وأغضب عليكَ... ما هذه الحركات، أنت إنسان مثقف وواعي وأنا أتعلَّم منكَ كثيراً من الأمور الأصولية.

- أرجوكِ اسمعيني، أنا بطبعي خجول وكثير الحياء، ولا أحب أن أُسيء لأي إنسان، وندى أنا جاملتها ولَم أحب أن أكسر خاطرها وأسبِّب لها آلامًا فوق آلامها التي تعاني منها، إنها مسألة إنسانية... ماذا كنتُ أقدر أن أفعل غير ذلِكَ، هل أطردها، هل أقول لها تفضلي من غير مطرود؟... أنا لا أملك مثل هذه الأخلاق، ولا أملك مثل هذه الجرأة... والخطأ الذي وقعت فيه أنه كان المفروض أن نلتقي في صالة الفندق وأنتِ تواجهينها وتؤنبينها بهدوء، ولكن أنا خفت أن أخلق مشكلة من لقائكما وخفت منكِ أن هناك احتمال تهينيها... المهم أنا لم أذهب لها ولم أستدعِها، وجاملتها إكرامًا لأخيها ولأمها ولأني كنت يومًا صديق العائلة... أرجو أن تفهميني وتعذريني.

- خلاص أنسى الموضوع وأرجوك في المواقف المحرجة يجب أن نتشاور ونتفق، نحن مثقفان وكل مشكلة يمكن حلها بالحوار والتفاهم، وطالما أحدنا

يحب الآخر ؛ فمن السهولة أن نتفق على كل شيء وخاصةً ما يمس علاقتنا وحبنا ومستقبلنا ، أنا مؤمنة بحكمتكَ ورجاحة عقلكَ لأنكَ معلمي وحبيبي... أعياد شم النسيم ستبدأ غدًا وعلينا استثمار هذه الإجازة ، أقترح أن نذهب للعين السخنة لقربها من القاهرة تقريبًا تبعد ساعة زمن بالسيارة.

- ولماذا لا نذهب إلى القناطر الخيرية؟
- لا، في وقت آخر لأنه لا أنتَ ولا أنا نحب أكل الفسيخ والبيض الملون، فأنا لا أستسيغ رائحة الفسيخ.
- أنا أسمع بهذا الفسيخ، فما هو؟
- سمك منقوع بالماء والملح لمدة طويلة، أنا شخصيًا لا أحبه، موجود لدينا في السودان لأنه الظاهر من أعياد الفراعنة... المهم اتفقنا أن نذهب إلى العين السخنة... لنذهب للاستقبال للحجز.

يحاول موظف الاستقبال دون فائدة...

- المهم احجز لنا سيارة ونحن إذا حصلنا هناك على حجز فكان بها، وإلا سنعود في المساء.

يشتريان بعض المعلبات والفاكهة ويرزمان حقائبهما ويتهيئان للسفر.

- طيب سهى، والآن أين نذهب؟
- أنتَ توجه ليَّ دعوة لترضيني ولننسَ ندى.
- حاضر، تفضلي، نزهة على كورنيش النيل لنأكل الترمس والذرة المشوية، ونشرب الكولا ونأكل السميط...

- حيلك، هذه دعوة شعبية رخيصة.

- ألم أقل لكِ أنني عشت شبابي في منطقة شعبية ، سعادتي كانت عندما أذهب مع صديقي سلام عند المساء بعد فترة المذاكرة لنأكل الباقلاء من عربة ناصر أبو الباقلاء.

- أريد دعوة ترتقي إلى مستوى الأحداث التي قمت بها مع ندى...

- الله أكبر ماذا فعلت؟... هل ارتكبت إثمًا؟

- نعم، هذا أكبر إثم.

- خلاص، قرري وأنا أنفذ.

- هناك حفلة موسيقية اليوم في الأوبرا لفرقة الكونسرفتوار الفرنسية... ولكن علينا أن نرتدي بدلات الحفلة وخاصةً أنتَ، بدلة زرقاء أو سوداء وقميص أبيض وفيونكة وحذاء أسود... وأنا فستان سواريه ، يعني فستان سهرة طويل.

- إذن لنسرع.

يأخذان أماكنهما في الأوبرا، ينظر فلاح للحضور: عوائل أرستقراطية على حبة ونصف...

تصدح الموسيقى ، الموسيقيون من الرجال والنساء وأخر أناقة ، والمايسترو بعصاه الصغيرة الرقيقة يحرِّكهم... لم تتعود أذنه على هذا النوع من الموسيقى ، غريبة على مسمعهِ... ينظر إلى سهى يجدها غير مرتاحة من الصوت العالي، يهمس في أذنها:

- هل أنتِ مرتاحة؟

- لا والله.

- إذن لننسحب بهدوء...

يتركان الصالة...

- أنا لا أحب هذه الموسيقى، تصوري أطرب للغناء الشعبي أكثر في بلدي مع حبي إلى محمد القبنجي وناظم الغزالي ومائدة نزهت مثلاً.
- كذلك هنا في مصر الكل يعشقون فن أم كلثوم وعبد الوهاب وحليم وفريد ، مع حبهم للطرب الشعبي مثل محمد طه وعبد المطلب وغيرهم...
- خلاص أحسن شيء نذهب إلى مسرح شكوكو لنضحك مع الناس.

يذهبان إلى المسرح ، وشكوكو وعصاه وجلبابه وطربوشه المميز يرقص ويغني... ثم سيد ملاح ونكاته وخفة دمه... بعدها غنى محمد عبد المطلب أغنيتهِ المشهورة:

غدار يا زمن لا ليك خل ولا صاحب
عز الحبايب خدتهم ولا فضلش ولا صاحب
أنا صاحبت صاحب أتاري صاحبي مصاحب
وصاحب اتنين يا زمن ما لوش صاحب
وأشكيك لمين يا زمن وانت ما لكش صاحب
غدار يا زمن لا ليك خل ولا صاحب

- شوف فلاح ما يصحش واحد يصاحب اثنين ، هكذا يقول الموال... هذه حكمة جميلة.
- أرجوكِ لا تتفلسفي... المهم نهيئ أنفسنا للسفر... السيارة غدًا ستكون جاهزة لننطلق صباحًا في الثامنة إلى العين السخنة... هل أنتِ جاهزة؟.
- طبعًا جاهزة.
- على بركة الله، وإن شاء الله سفرًا سعيدًا نرتاح فيه.

(١٥)

يصلان العين السخنة... ازدحام في الاستقبال... يتمكن فلاح من الحصول على مفتاح شاليه بعد جهد وتعاطف موظف الاستقبال معهما لكونهما عرب من العراق والسودان، ويعاملهما بنفس أسعار الحجز للمصريين لأنهم من دول شقيقة.

ينزلان في شاليه خاص، غرفة واحدة ومطبخ صغير وحمام لا غير... المشكلة الغرفة فيها سرير واحد وثلاث كراسي راحة وميز وسط ودولاب ملابس، فلاح يراجع الحجوزات مرة ثانية عن شاليه فيه غرفتان أو غرفة فيها سريران...

- أستاذ، توجد لدينا ثلاث شاليهات فاضية متشابهة تمامًا أعطيناكم واحدًا منها، ونعتذر منكما...

يعود فلاح إلى الشاليه مهمومًا...

- ما بكَ فلاح؟...

- أنا غير مرتاح من هذه الشاليهات، لماذا غرفة واحدة وسرير واحد؟

- وما الضير في ذلك، أنتَ خايف مني وإلا إيه؟

- أيوه سهى أنا خايف منكِ.

تضحك سهى عليه:

- لأول مرة في حياتي أرى رجلاً يخاف على نفسه من فتاة... يعني خايف من إيه يا فلاح؟... بسيطة أنتَ نام على الأرض وأنا أنام في السرير.

- نعم ممكن، حَل مقبول لغاية غدًا على الأقل.

يذهبان إلى الشاطئ... تلبس مايوهًا فرنسيًا ذا قطعتين وردي اللون تبان منه كل مفاتنها... تطلب من فلاح أن يساعدها بربط خيط السوتيان المطاطي... يرتبك، يشد الخيط بقوة فيفلت من يديه ويسقط السوتيان من صدرها... يغمض عينيه... تضع يديها على صدرها وتطلب منه أن يحاول مرةً أخرى... يرى نهديها السمراوين المنتصبين كأنهما صواريخ معدة للإطلاق... يحاول مرة ثانية، تلمس يديه حلمات نهديها... سهى في نشوة وتهيج، تمسك به بقوة وتقبِّله، فيسقط السوتيان مرةً أخرى... فلاح يغط بالعرق ويحمَّر وجهه وترتجف يداه ويجلس على حافة السرير... تأتي سهى وبيدها السوتيان وتجلس في حِجره وتطلب منه ربط السوتيان... لا يتحمل ذلك ويبدأ التهيج الجنسي يسيطر عليه ولا يقوى على مقاومته وجسمه يلامس جسمها ويمنحه الدفء والطاقة الجنسية... ولكنه يتماسك وبرباطة جأش يربط السوتيان بيدين مرتعشتين، وهي في حضنِ تتأوه، وتمسك به بقوة...

- خذي بالك من نفسك، أرجوكِ، لنذهب إلى البلاج، هيا اتبعيني.

يفتح باب الشاليه ويسحبها بقوة من يدها... يدخلان الماء سويًا... الماء نوعًا ما فيه لسعة برودة عند المساء... تلتصق به وجسمها يحتك بجسمه، وأحيانًا تحتك المناطق الحساسة فيهتاج الاثنان ويشعران بنشوة وراحة...

- فلاح، الله يخليك، دفيني أنا بردانة.

يقف بطولها وأجسامهما متلامسة... تتعمد الالتصاق به أكثر وأكثر، يزداد إحراجًا من وضعه ومن الناس ولا يستطيع الخروج من الماء خوفًا أن يلاحظه الناس، وحياءً من سهى...

يكلِّم نفسه: والله المرأة أحسن من الرجل لا تبان عندها متغيرات في شكلها يمكن أن تلاحظها الناس من على بُعد...

- ماذا تقول مع نفسكَ؟ أكاد أسمعكَ.

- أقول إن المرأة أحسن من الرجل...

- فهمت... تستطيع أن تلبس مايوهًا مطاطيًا وتحل هذه المشكلة إن رغبت بذلك...

- من أين لكِ كل هذه الخبرة؟

- ألم تشاهد المسبح الكبير في بيتنا؟ ثم أنا أسافر مع أهلي كثيراً إلى دول أوربا ونسبح في البلاجات وفي مسابح الفنادق الراقية ذات الخمسة نجوم أو السبعة نجوم.

- أنا جعان، وأنتِ؟

- لسه بدري، كمان ساعة.

- رُبع ساعة كفاية.

- خليها نصف ساعة.

- طيب، ولكن ابتعدي قليلاً عني.

يعودان إلى الشاليه... تطلب منه أن يفتح لها رباط السوتيان... بهدوء وبرابطة جأش يفتح الرباط... تمسك يده وتضعها على نهديها... يرتاح لهذه الحركة فيمسك بأطراف السبابة والإبهام الحلمات ويضغط قليلاً عليها... تدخل في إغماءة وتسقط من طولها على فلاح الذي يسندها ويحملها للسرير عارية الصدر تمامًا ثم يأتي ببدلتها ويحاول أن يلبسها لها، لكنه يجد أن الجزء الآخر من المايوه مبتل فيسحبه بهدوء لتلمس أصابعه الجزء الحساس فيحس

بحركة سهى وانتفاضتها وضم ساقيها بحركة لا إرادية لحماية نفسها... يسترها بالثوب ولا يجرؤ على إكمال ملابسها الداخلية... يطبطب على خديها ويمسح وجهها بالماء فتجلس من إغفائتها ونشوتها وأحلامها...

- هيا نذهب للمطعم.
- لا ، أرجوك ، دعني مستغرقة في هذا الحلم الجميل واذهب واجلب لنا الطعام، لنأكل هنا.
- ماذا تحبين؟
- ما تحبه أنتَ.

يأكلان السكالوب ويشربان عصير البرتقال ويقرران الذهاب إلى النادي حيث الموسيقى تصدح والشباب يرقصون... يختاران طاولة في ركن من أركان النادي ويطلبان عصير الليمون المصري المميز...

تبدأ الموسيقى الكلاسيكية ، تطلب منه الرقص فيطاوعها وينظر لها نظرة خاصة فهمت مغزاها.

- اطمئن، كل شيء تمام.
- علينا أن نحترم أنفسنا ليحترمنا الناس...

أحد الشباب الجالسين المستهترين يرفع كأسه إلى سهى : بصحتكِ... ينفعل فلاح محاولاً ضربه... تنهره سهى بكلمة: احترم نفسك يا هذا... وتُجلس فلاح على الكرسي.

- هذه أمور عادية تحصل بالمراقص العامة التي يأمها كل من هب ودب.
- لنخرج... سهى أنا قلتِ لكِ لا تطوقي عنقي هكذا... رأيتِ هذا الكلب ما فعل بسبب تصرفاتك التي دائمًا أحذركِ منها.

- أنا اليوم سعيدة، فلا تفسد علينا فرحتنا بكلام يسم البدن أرجوك.

يعودان إلى الشاليه، تقوم بتحضير الشاي... يجلسان يرتشفان الشاي...

- سهى، أنتِ أمانة برقبتي، أبوكِ قال لي: خُذ بالكَ من سهى فهي أختكَ وأنتَ وهي أولادي.

- والله قتلتني بمسألة أختكَ... أنتَ حبيبي، ومستقبلاً زوجي، أنا لست أختكَ، أرجو أن تفهم هذا.

- أنا أخاف عليكِ، ومهما أكون فأنا رجل والشيطان شاطر، وإذا حصل لا سمح الله شيء؛ فلا يمكن أن أسامح نفسي.

- لو فرضنا أنه حصل خطأ في النتيجة؛ يمكن أن نتزوج، فهل هناك مشكلة؟

- نعم... نعم، مشكلة كبيرة.

- ما هي المشكلة التي تخاف منها؟

- نحن شرقيون ومسألة البكارة مهمة عندنا.

- على فكرة، أريد أن أفتح معكَ موضوعًا طبيًا بهذا الصدد، وأريد رأيكَ به: في كلية الطب ليَّ زميلات يناقشن موضوع البكارة، وتوجد عندنا دكتورة اختصاص تجميل فرنسية متزوجة من دكتور مصري جراح يملكان مستشفى خاصًا في المعادي يعملان بالسِّر عمليات ترقيع البكارة بمهنية عالية، وعدد من البنات أُجريت لهن مثل هذه العمليات الناجحة جدًا، طبعًا مقابل مبلغ من المال... لا تزعل مني نحن نناقش هذا الموضوع بموضوعية علمية... لماذا نعذِّب أنفسنا ونحرمها من لذة الحياة ونقسو على أنفسنا كل هذه القسوة خوفًا على البكارة... نحن نُقبِّل بعض، واليوم

حصل بيننا ما لم يحصل في سالف الأيام وربما يحصل أكثر من ذلك... لماذا لا نأخذها من قصيرها ونأخذ راحتنا بالكامل وأنا وأنتَ نعرف حاجتنا للجنس كحاجة العقل للمعرفة وكحاجة الجسم للطعام.

- استحي على نفسكِ، ولا أسمح لكِ بطرح ومناقشة مثل هذه الأمور أمامي، وأرجوكِ لا تكرريها.

- لا تغضب، نحن نناقش مسألة علمية، ولا تنسَ أنا طبيبة يعني سأصبح طبيبة وهذه الأمور من ضمن المنهاج الذي ندرسه، وأنا لا أتحرَّج من مناقشة هكذا أمور... ولكن لأنكَ تربيت في منطقة شعبية ومجتمع محافظ جدًا ترفض مناقشة ذلك وتستهجنه.

- وهل أصبحت المناطق الشعبية عارًا تعيِّريني به.

- لا والله، لا أقصد ذلك، ولكن أوضح لكَ السبب من وجهة نظري، وأنا آسفة وأسحب كلامي، ولكن لا تزعل لأني اليوم في أوج انشراحي وسعادتي.

يخرجان كرسيين من المطبخ مع طاولة في باب الشاليه... ويذهبان إلى المتاجر القريبة ويشتريان مجموعة من العصائر والفواكه والكرزات والسندويج وبيض وزيت وطماطم (بندورة) وقليل من القيمر (القشطة) والعيش البلدي، ويعودان إلى الشاليه ويجلسان في حديقة الشاليه في الهواء الطلق بعد إعداد شيء للأكل مما اشترياه.

- كيف ننام الليلة يا سهى ؟... أقترح كما اتفقنا أنام على الأرض وأنتِ على السرير.

- أنا أقترح أن ننام على السرير ونضع بيننا الوسادة.

- لا، أنا أخاف من حركاتكِ.

- اطمئن، وزيادة في الاطمئنان نلبس المايوهات تحت ملابسنا.

- المايوهات ما زالت مبتلة.

- نشتري غيرها، رأيت محل يبيع مايوهات.

- المحلات الآن أغلقت أبوابها.

- خلاص، لا تعقِّد الأمور علينا، دعنا سعيدين، أرجوك وأتوسل إليكَ.

- ما رأيكِ نبقى هنا جالسين ننظر للبحر حتى الصباح، وفي النهار ننام.

- نحن جئنا هنا لننام ؟... كان ممكن ننام في الفندق وكفى الله المؤمنين شَرَّ القتال.

- أي مؤمنين وأي قتال ؟!.

- والله أنتَ عامل منها ملحمة وكأننا في ساحة قتال... أقول لكَ توجد حلول كثيرة تزعل... أقول لا توجد حلول كثيرة برضه تزعل، والله حيرت قلبي معاك... أنتَ تحب أغاني أم كلثوم وتعشقها لأجرب حظي معك وأغنِّي لكَ هذه الأغنية ولكن ساعدني، أي نغني معًا وطبعًا بدون موسيقى... وعلى فكرة، عندما نعود للقاهرة هناك محل كبير قرب الفندق يبيع أجهزة موسيقية سأشتري لكَ عودًا تتعلم العزف عليه ويمكن أن تستعين بأم سعد صديقك.

- فعلاً سهى أنا أحب ذلك، هذا والله مقترح وجيه... أصبحتِ تفكرين وبنجاح ساحق.

- لا تسخر مني ودعنا نغني، أنا أحفظ مقاطع من هذه الأغنية "حيرت قلبي معاك".

- وأنا كذلك، احفظ المقاطع الأولى منها... هيا لنبدأ.

بيده ملعقة وشوكه يدندن بها، وهي تنقر على خشب الكرسي...

حيرت قلبي معاك... وانا باداري واخبي
قل لي أعمل إيه وياك... ولا أعمل إيه ويا قلبي
بدي اشكيلك من نار حبي... بدي احكيلك ع اللي في قلبي
وأقولك ع اللي سهرني... وأقولك ع اللي بكاني
وأصور لك ضنى روحي... وعزة نفسي منعاني
يا قاسي بص في عينيا... وشوف إيه أنكتب فيها
دي نظرة شوق وحنية... ودي دمعة باداريها
وده خيال بيين الأجفان... فضل معاي الليل كله
سهرني بين فكر وأشجان... وفات لي جوه العين ظله
وبين شوقي وحرماني... وحيرتي ويا كتماني
بدي اشكيلك من نار حبي... بدي احكيلك ع اللي في قلبي

ينسجمان مع كلمات ولحن الأغنية ويتفاعلان ، تنزل دموع ساخنة على خديهما... يتذكر سميرة في هذه اللحظات الحرجة، ويعيش معها، ينظر إلى سهى فيرى سميرة ، ولكنه يفرك عينيه فيعود إلى وعيه ويمسح عينيه من الدموع، وكذلك سهى.

يتعانقان، وتبكي على صدره... يمسح بيده على ظهرها ويهدِّئ من روعها...

- فلاح، اصدقني القول: هل تحبّني مثلما أحبكَ؟

يقبِّل جبينها:

- أنتِ رائعة، طيبة... أرتاح إليكِ... أنتِ صديقتي.

- بشرفكَ قُل: (أنتِ حبيبتي) لأرتاح.

- الحب كلمة كبيرة تنبع من أعمق الأعماق، تحسينها وتعيشين معها من دون كلام... بذرة تنمو مع الأيام حتى تسيطر على كيان الإنسان... نحن

مازلنا في البداية... أرجوك لا تشوهي ذلك بتصرفاتكِ اللا مسؤولة... صدقيني أنا أخاف عليكِ من الحبْ... يقال إنه كان هناك في جزيرة العرب قبيلة اسمها "بنو عُذرة" ومنهم عُرف اسم الحب العذري... هل سمعتِ بحب جميل وبثينة وحب قيس وليلى. هذا مقطع من شعر جميل يتغنى ببثينة:

أيــا ريــح الشــمال أمــا تريننــي   أهــيمُ وإننــي بــادي النحــولِ
هبــي لي نســمةً مــن ريــح بــثنٍ   وَمُنّــي بــالهبوب عــلى جميــلِ
وقــولي يــا بثينــةُ حســب نفسيــ   قليلــكِ أو أقــل مــن القليــلِ

وهذا مقطع من شعر قيس بن الملوح حبيب ليلى وقد أرسله أهله إلى الكعبة ليبرأ من عشقها الذي كاد أن يقتله وطلبوا منه أن يرجو الله أن يعفيه ويشفيه من حبها... اسمعي ماذا قال:

إليــك يــا إلهــي اتــوب   وقــد تكــاثرت عــلى الــذنوب
ولكــن عــن هــوى لــيلى   وعشــقي محاســنها لــن أتــوبْ

هذا الحب الحقيقي الذي أنا أعشقهُ ورضعته.

- أفهمك، ولكن مشكلتي يا حبيبي أن رائحتك ودقات قلبك تثير بي الشجون والعواطف، فلا أستطيع التحكم بها... أرجوك اعذرني، نحن شباب وبأوج عواطفنا، لماذا نكبت ذلك ونقسو على قلوبنا ونحطمها ؟... الله زرع فينا هذه البذرة ومن حقها أن تنمو وتنطلق وتتنفس الهواء الطلق لماذا تخنقها ، يا فلاح يا ظالم ، هل تريدنا أن نعود إلى ماضي عُمره ألف وخمسمائة سنة ، مات واندثر ، ما الفرق بينك وبين المتطرفين الذين يريدون عودتنا إلى أيام الصحابة ، ذاك زمان وهذا زماننا ، الحياة تطورت وكل شيء فيها تطور، يجب أن تفسَّر الأمور وفق عصرها، هكذا أسمع

جلساء أبي في الصالون الثقافي يتحدثون ومعظمهم حكماء وأدباء وشعراء.

- غلبني النوم، ولا تتفلسفي عليَّ أكثر من ذلك.

- من تفلسف على من ؟!... أنتَ بدأت بالفلسفة بالحب العذري... الحب العذري قال... أي حُب عُذري وأي بطيخ!... شوف الدنيا فين وأنتَ فين ؟!.

- تصبحين على خير، ليس لي مزاج بالرد عليكِ، فلتؤجلي النقاش إلى الغد... باي باي.

ينظر للسرير ويقدِّر عرضه بـ١٦٠ سم وطوله بـ٢٠٠ سم ويأتي من الدولاب بوسادتين ويُقسِّم الفراش مناصفةً بينه وبينها ويتمدد... لحظات وتدخل سهى إلى الغرفة وتأخذ ثوب النوم والمبخرة وتدخل الحمام وتدخِّن نفسها بالبخور وهي عارية تمامًا بعدما تلفُّ نفسها بالملاية الكبيرة (الشرشف) وتجلس القرفصاء فوق البخور ليتغلغل إلى كل مسام جسمها، وتتعطر وتتزين وتأتي للفراش...

- ما هذه الروائح الطيبة يا سهى؟.

- بربك دعني أدخنكَ الليلة...

تسحبه للحمام بالقوة والتوسل والكلمات الحلوة وتشعل حبات الفحم وتضع المسك والعنبر فيخرج دخان ذو رائحة عطرة...

- اجلس القرفصاء فوق هذا ولف نفسك بهذه الملاية واجعل منها خيمة صغيرة هكذا.

- طيب اخرجي ودعيني لوحدي أعمل ذلك.

- دعني أساعدك.

- لا أريد أي مساعدة.

يخرجها من الحمام ويقفل الباب من الداخل... يكاد يختنق من الدخان وقوة البخور لأنه يغطي رأسه بالشرشف بسبب جهله بهذه الطريقة... يفتح باب الحمام وقد لفَّ نفسه بالشرشف وهو خائر القوى لا يقوى على الوقوف... سهى تسنده وتساعده بالوصول للفراش وتدلِّك صدره وتنفخ على وجهه وتأتي له بقدح من الماء ليشرب وترفع الوسادتين من بينهما وتحضنه... تحاول الدخول تحت الشرشف فترفع طرفه وتضع فخذها فوق فخذه وصدرها على صدره... يقول لها بصوت منخفض:

- على كيفك، أرجوكِ ناوليني ملابسي الداخلية.

- دعني أحلم، أرجوك لا تفسد عليَّ أحلى ساعة في حياتي، لا تخف أنا لبست المايوه وسألبسك المايوه الذي نشف من الماء.

- لا... لا، أنا ألبسه.

- طيب سأساعدك في لبسهِ.

تحكُ فخذها بفخذه وتحاول أن تندس تحت الشرشف أكثر وأكثر وهو لا يقوى على المقاومة:

- سهى، خفي عن صدري، أنا تعبان.

تتمدد بجانبه، وبيديها تتحسس كل جسمه... تدخل في حالة هيجان ونشوة وذوبان، تجر الحسرات والآهات، وفلاح قد خدرهُ دخان المسك والعنبر، ومن يدري ربما هناك مادة محفزة أو مخدرة... الله أعلم... لكنها عرفت السبب؛ أنه لم يخرج رأسه من الشرشف عندما تبخر.

فلاح يغطُّ في النوم في حلم جميل يتراءى له وكأنه الحقيقة ويتحسس جسم سهى فتضع يدها فوق يده... فيفتح عينه على النصف ويرى جسمًا أسمر لمَّاعًا على طولهِ فيفتح عينه بالكامل ليتأكد أنها سهى وليست سميرة... فعلاً لو كانت سميرة لكنت في تعداد الموتى من الوجد والهيام...

- سهى، أريد قليلاً من الماء أرجوكِ.

- حاضر، حاضر... يا عيون سهى.

تنهض، فيلاحظ المايوه من خلف قميص النوم الشفاف... يرتاح لأنها بدأت تسمع الكلام وتخاف على نفسها... جيد، بداية جيدة.

يشرب قليلاً من الماء وينهض...

- أحس بالجوع، وأحتاج فنجان قهوة.

- وأنا أيضًا.

يخرجان للحديقة... تحضر بعض الطعام والشراب والقهوة الساخنة... يتجاذبان أطراف الحديث حتى الخيوط الأولى من الصباح... يبدأن في التثاؤب، فينسحبان بهدوء للفراش... تحضنه وتدس رأسها في صدره وتطوق خصره وتضع خدها على خده وتنام.

يستقيظان عند الظهيرة... يذهبان للمسبح ساعة زمن يمزحان ويمرحان وينطلقان باللعب في الماء وأحدهما يرش الآخر، ثم يسحبها من رجلها إلى أعماق المسبح ، وهي على ظهره ممسكة به... يدفعها بحنية ولطف ويخرجان من الماء ويرجعان للشاليه ويتحضران للعودة.

الساعة السادسة مساءً في الفندق يجدان سعود بانتظارهما في الصالة... فتذهب سهى فورًا لغرفتها، وفلاح يعود ليجامل سعود.

في الثامنة تسأل سهى عن فلاح فتجده في غرفته.

- هيا، لنذهب للمطعم لتناول العشاء.

- أحتاج عشر دقائق.

- طيب، أنا أنتظرك.

يأخذ ملابسه إلى الحمام، وخلال دقائق يكون جاهزًا للنزول...

يلتقي سهى في المطعم...

- غدًا صباحًا يبدأ الدوام... اهتمي بدروسك ولا تضيعي الوقت، مستقبلنا أهم شيء في حياتنا، شبعنا من الإجازة واللهو، وعلينا أن نكون جادين في قادم الأيام... جهزي كتبك ورتبي حاجاتك ونامي مبكرًا، دائمًا البداية مهمة.

يعودان للفندق، وينشغل فلاح بحزم حقائبه لأنه غدًا صباحًا يعود للكلية بعد إجازة طويلة... يتمدد على الفراش ويغط في تفكير عميق:

- حيرة والله حيرة... هذه سهى تحبّني ولديها الاستعداد أن تضحي في سبيلي ، من عائلة مقتدرة لا أظن أني في يوم من الأيام مهما عملت أقدر أن أصل لهذا المستوى ولا حتى لجزء بسيط منه... إنسانة متطورة شايفة وعايفة، خدم وحشم وأملاك وعقارات وأراضي زراعية ، أبوها شخصية علمية وأستاذ جامعي ووزير ومن مثقفي السودان وشخصياتها الاجتماعية الذين يشار لهم بالبنان، وأمها إنسانة طيبة تحبّني كثيراً ولا تخالف كلمة لابنتها

سهى وتسعى بكل ما تملك لإسعادها... ثم سأكون أنا ولدهم الوحيد الذي يعتمدون عليه في تمشية الأمور... وفوق هذا وذاك هي فتاة جميلة وذكية وستصبح طبيبة اختصاصية مهمة وأكيد أبوها سيفتح لها أكبر مستشفى خاصة في مركز العاصمة الخرطوم، وأمور أخرى كثيرة لا يمكن عدها... أما سميرة، صحيح تحبّني وأحبها، ولكن يمكن أن لا يكون الحب كل شيء... سميرة يتيمة ومسؤولة عن أمها وأخواتها اللواتي يعشن عالة على أبي... وحتى لو أصبحتْ معلمة، راتبها بسيط يكفي معيشة فقط، إنسانة بسيطة لا حول ولا قوة، عائلتها اعتمادها عليها وعلى راتبها، ثم إنها معلمة وستبقى العمر كله معلمة........ يا إلهي ساعدني باتخاذ القرار الصحيح... هل اتبع عقلي؟ أم اتبع قلبي؟...

سهى أشعر بالعطف عليها لكنها تحبّني بكل جوارحها وممكن مع الوقت أن تتحول هذه العاطفة إلى حب حقيقي... وأنا سأكون الوريث الحقيقي لأبيها بعد عمر طويل لأني الرجل الوحيد بالعائلة، وسأكون مستقبلاً أنا الباشا صاحب الكلمة العليا في هذه العائلة الغنية جدًا، وأكون قد حققت أبعد من طموحاتي وخيالي بكثير: زوجة مثقفة لها مركز اجتماعي مرموق، وأسرة غنية مقتدرة تملك الشيء الكثير وحياة مرفهة وخدم وحشم وحلال ومال وفير... عشرون عامًا من الجهد والعمل الشاق حتى تمكنّا من أن نبني بيتًا بسيطًا في منطقة تنقصها الخدمات الأساسية ومازلنا مدانين للمقاول، وأثاث بسيط لم يكتمل بعد، ومحل كهربائيات بسيط يديره أبي... ولولا الحظ الذي حالفني بقبولي في بعثة دراسية وحصولي على بعض المال بالصدفة ؛ لكنا مازلنا في محلة الجمهورية الشعبية في ذلك البيت القديم الصغير الذي يفتقد لأبسط مقومات الحياة العصرية... ثم يا فلاح

العمر فيه كم عشرون سنة ؟، وهؤلاء أهل سميرة كم سنة يحتاج الأمر ليكون لهم بيت مثل بيتنا هذا ويكون لهم مورد رزق يعيشون منه، أكيد راتب سميرة بالكامل سيكون لهم وعندما تكبر أخوات سميرة الثلاث ويدخلن كليات ربما راتب سميرة لا يكفي ويجب وهذه الحالة أن أكمل من راتبي، وبالتالي نعيش حياة الكفاف عددًا من السنين لا نستطيع أن نطور نفسنا إلى الأحسن...

أفكار كثيرة وخطيرة تدور في عقله ترهقه وتقض مضجعه وتؤثر على معنوياته، وتقلل محبته العارمة إلى سميرة...

- ثم أن سميرة دائمة الشكوى من الوحدة والحالة الاجتماعية والاقتصادية والمسؤولية عن أمها وأخواتها، وتخاف من المستقبل رغم أنها أصبحت خطيبتي وقد قطعنا شوطًا في التحضير للزواج... وتبقى المشكلة عدم موافقة الدولة على زواجي طالما أنا طالب بعثات تصرف الدولة عليَّ... استشرت أبي فأنبني على أفكاري هذه... أحسن شيء أناقش الموضوع مع صديقي الكويتي سعود ومع سعد وأم سعد وأسمع رأي الدكتور أبو سعد صاحب التجربة الكبيرة في الحياة.

فلاح مضطرب وفكره مشوش وربما هذا يؤثر على مستواه الدراسي وتفوقه... إذن لا بد من أن يحسم الأمر ويتخذ قراره ويتحمل نتائج هذا القرار، لا يجوز أن يستمر ويعيش يوميًا بهذا القلق وهذا التناقض، لا يجوز أن يعيش بشخصيتين واحدة يحب بها سميرة وواحدة يلبي بها رغبات سهى وحبها الجارف له وأهلها وتطلعاتهم وحساباتهم للمستقبل لضمان مستقبل ابنتهم الكبيرة.

(١٦)

اليوم الخميس، ينزل فلاح إلى مركز المدينة ويذهب إلى حي الحسين سوق الصاغة ويدخل محل أكبر جواهرجي في الشارع ويعرض عليه الخاتم هدية أم سهى لَه... يفحصه الصائغ:

- هذا الخاتم يمثِّل ثروة، فيه خمس ألماسات، الوسطى ثلاثة قراريط والأربع كل واحدة قيراط، يعني ثمنه أكثر من ستين ألف دولار... هذا تحفة فنية لا تُباع وربما إذا وجدتً لها راغب، هذا الخاتم يصل سعره حتى مائة ألف دولار، هذا خاتم ملوكي أنصحك أن لا تبيعه.

- جئتُ لأقدِّر ثمنه وليس لأبيعه، شكرًا جزيلاً، وبارك الله فيك.

يضع الخاتم في العلبة ويدسه في جيبه وهو مذهول من ثمن هذا الخاتم الذي أهدته له أم سهى بمناسبة الخطوبة...

- إذن ماذا سيهدي لي أبوها بمناسبة الزواج من ابنته، ربما قصر من القصور الفخمة وسيارة أخر موديل ورصيد في البنك وأمور أخرى الله أعلم بها... فلاح اعقل وحكِّم عقلك، عقلك وذكاؤك أوصلاك إلى طالب بعثات والآن أبواب الخير والتطور السريع والقفز بخطوات واسعة متاحة أمامك فاستثمر عقلك هذا لرسم مسار المستقبل... فلاح هذه نعمة والذي لا يحترمها يعمى كما يقول أبي... ثم ماذا يستطيع أن يفعله لنا دكان أبي البسيط هذا، معيشة متوسطة على قد الحال وحياة رتيبة عادية... وحتى راتبي سيكون محدودًا على قدر المعيشة وتمشية أمور إخواني وأخواتي في إكمال دراستهم في جامعة بغداد أو معهد المعلمين في البصرة... إذن عليَّ

أن أكون قريبًا من سهى أكثر وأن أبادلها الحب والتعود عليها وألاطفها ولا أزعجها وأتدلل عليها... أصلاً عيب عليَّ أن أزجرها أؤنبها بين الحين والآخر... هذه جوهرة نادرة الله يحبني فزرع حبي في قلبها.

رسائلهُ إلى سميرة بدأت تقل، رسائل قصيرة وسريعة... وسميرة كل دقيقة من حياتها تعيشها معه، تفكِّر به، تحلم به، تكتب له، تتمنى له، تفرح لَه، تتألم لَه... ليس هناك شيء في حياتها غيره، وكأنها تعيش معه لحظة بلحظة... أصبحت تملك حاسة سابعة تتحسس بها فلاح ؛ حاسة خاصة تعرف بها كل شيء عنه، عن أكلهِ وشربهِ وعن دراسته وعن نومه ولهوه ومتى يكون سعيدًا ومتى يكون تعيسًا، إنها تراه كظلها يمشي معها ويجلس معها وينام معها ويفرح معها ويحزن معها.

فلاح يفكر بأحوال أهله وبمحل والده وتطوره ، ويقارن بين أحوالهم ومعيشتهم وسكنهم وأحوال أهل سهى وإمكاناتهم العالية وحياتهم المرفهة الراقية المقتدرة... هل يمكن بعد عدد من السنين أن يقتربوا من حافة هذه الحياة... فيرد على نفسهِ:

- مستحيل... حتى الإقطاعيون بالعراق في زمن الملوكية لم يتوصلوا إلى جزء من حياة وإمكانيات أبو سهى، لا بثقافتهِ ولا بصالونهِ الثقافي ولا بجزء من إمكاناتهِ المادية الهائلة.

يستلم رسالة من سميرة تبثه فيها حبها ولوعتها وسهرها وضناها ونجواها... وتتمنى أن تكون طيرًا فتطير إليه ، ولكن جناحها مكسور بأمها وأخواتها ودراستها وتخرجها... وتنشد لشاعر الحب قيس ابن الملوح:

بكيــــت عـــلى سرب القطـــا اذ مـــررنَّ بي
فقُلـــــتُ ومــــثلي بالبُكــــاء جَـــديرُ

أسِرْبَ القَطـــا هَـــل مـــن مُعـــيرٍ جَناحَـــهُ
لعــــلّي إلى مــــن قَـــد هَوِيـــتُ أطـــيرُ

وأي قطـــــــاة لم تعـــــرني جناحهـــــــا
فعاشَـــــتْ بضَـــــيرٍ والجَنـــــاحُ كَسِـــيرُ

••••

فلاح مساء الخميس بالفندق، وسهى كالعادة بانتظاره على أحرِّ من الجمر، لكنه يستأذنها بالذهاب مع صديقه سعود لأمرٍ هام، فتسكت على مضض لأنها لا تطيق سعود ولا تحب غلاسته، تعتقد أن فلاح يريد أن يفرسها ويؤذيها... يحس هو بذلك ويراعي شعورها، فيعتذر من سعود ويذهب ليدق باب غرفتها... تتفاجأ بسرعة عودته...

- سهى، سأنتظرك بالصالة لنتفسح قليلاً لأني مدعو الليلة عند بيت صديقي سعد.

- دقائق وأكون جاهزة.

- لماذا لم تذهب مع هذا الغلس؟

- شعرتُ أنكِ لا تستلطفينه فاعتذرت منه... أنا أسف لإزعاجك.

- حبيبي أنا أعيش خمسة أيام على أعصابي أنتظر مساء الخميس... هذا وقتي أنا، أنتَ ملكي أنا.

- لا...لا... لستُ ملكًا لأحد.

- افهمني، حبكَ لي وحدي، ووقتك هذا لي وحدي، لا أحب أن يشاركني فيك أحد، أرجوك افهمني... أنت لستَ عبدًا لا سمح الله لأملككَ... أنتَ حياتي كلها، فأنا أملك حياتي، أملك قلبي، أملك كياني، أملك مستقبلي.

- نعم... نعم، هذا صحيح.

- أنتَ سيدي وتاج راسي، أنتَ أملي في الحياة، أنتَ الهواء والماء والنور... يعني أنتَ الحياة والروح والنفس التي أعيش فيها.

- قلت آسف على إزعاجك، وكفى الله يخليكِ.

- طيب حبيبي، لنستمتع بوقتنا.

- أين نذهب؟

- الود ودي أن نذهب إلى العين السخنة.

- بالمناسبات والعطلات إن شاء الله... الآن لدينا ثلاث ساعات أنتِ اختاري المكان لأني بعدها يجب أن أذهب لدعوة صديقي سعد إذا سمحتِ.

- من خلال حديثك عن هذه العائلة المحترمة أنا أحببتهم وبودي التعرف عليهم، ولكن ليس الآن... لنذهب إلى فيلم "في بيتنا رجل" للقاص إحسان عبد القدوس في سينما رمسيس تمثيل عمر الشريف وزبيدة ثروت... حديث هذا الأسبوع لبنات الكلية... وأنا أدعوكَ.

- لا، أنا أدعوكِ.

- ما الفرق بيني وبينكَ؟.

- طيب، على كيفكِ.

طول أحداث الفيلم ممسكة بيده تعصرها، وبين الحين والآخر تضع رأسها على كتفهِ أو على صدره...

يوصلها للفندق، وتصر أن يوصلها للغرفة، وتقبله لتطفئ شيئًا من شوقها...

- حاول أن تعود قبل العاشرة حبيبي، أنا أحتاج إليكَ، سأنتظرك في الصالة عند العاشرة... عندي محاضرة في التشريح أريدك أن تساعدني بفهمها.
- حاضر، مع السلامة.

فلاح في بيت سعد يرحب بهِ الجميع.

يختلي مع أبي سعد وأمه، ويقص عليهما معاناته ويرجوهما النصيحة...

أم سعد تقول:

- اتبع قلبك يا ابني هذه كلها مظاهر زائلة والحب هو الباقي... أنا كان بإمكاني أن أتزوج من كبار الملحنين أو السينمائيين المصريين ولكني فضلت الدكتور لأني أحببته وأنا حاليًا سعيدة معه لأنه يحبني... الحب يا ولدي أولاً وقبل كل شيء.
- أم سعد، قلتِ ما عندك، والآن حضِّري لنا فنجانين قهوة إذا سمحتِ ودعينا أنا وفلاح... فلاح ابني الحياة فُرص، والفرصة قد تأتي مرة واحدة ولا تتكرر ، والله سبحانه وتعالى وهبنا العقل وجعله فوق القلب، فحكِّم يا ولدي عقلك وارسم طريق مستقبلك واركب السكة التي توصلك لطموحك وتوصلكَ لهدفك وتحقق مستقبلك.
- دكتور، أنا أشكرك، وممنون منكَ.

يستأذن فلاح، ويعود للفندق.

فِي الطريق يراجع الأمور، وما قالته له أم سعد وما قاله أبو سعد وأيهما اقرب إلى الصواب... تتداخل الأفكار وترتبك ولا يتوصل إلى قرار مقنع.

يعود إلى الفندق قبل الساعة العاشرة، ويجد سهى مع كُتبها تدرس في الصالة... تفرح بعودته كما وعد... يجلس أمامها على الطاولة ويبدأ بمساعدتها قدر الإمكان في استيعاب الموضوع... لكن هناك مجموعة من النزلاء في الصالة يتحدثون بصوتٍ عالٍ، فتقترح عليه أن يذهبا لغرفتها...

- لا، لغرفتي... تفضلي.
- نطلب الشاي؟
- لا، عندي براد وشاي عراقي جلبته معي سأعمل لك شايًا عراقيًا أصليًا، وعندي اَستكانات (أقداح) شاي عراقية، يعني كل شيء عراقي.
- الله، ما أطعم هذا الشاي وما أزكى رائحته، لأول مرة أتذوق الشاي بهذه الروعة، أنتَ رائع بكل شيء... تصور طالب هندسة يعلِّم طالبة طب في نفس المرحلة، أنتَ هائل، والله لولا أن الله بعثك ليَّ نعمة من نعمهِ الكثيرة لتعقدت عليَّ الأمور ولعدتُ لأهلي ولَم أستطع تحقيق أَمنية أبي أن أكون طبيبة أخصائية وتحقيق حلمي وحبي لهذه المهنة لمساعدة الناس... هل تسمح لي أنام الليلة على الكنبة؟.
- أسمح لكِ، ولكن أنا أنام على الكنبة وأنتِ تنامين على السرير لأنكِ ضيفة عزيزة، وأهلنا في العراق دائمًا يقولون:

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا   نحن الضيوف وأنتَ رَبُّ المنزلِ

- هل تسمح لي أن أستخدم حمامكَ لأتدخن.

- لا... تُدَخنين في حمامكِ.

- طبعًا أنتَ أصبحت تخاف من التدخين لأنكَ لم تخرج رأسكَ من خيمة الشرشف في المرة السابقة فخنقكَ الدخان... ولكن دعني أعلمكَ الطريقة الصحيحة.

- لا أريد تعلم ذلك... وعلى فكرة توجد في الصيدليات وبعض محلات الكماليات أنواع جيدة من الشامبوهات والعطور تعطِّر الجسم بسرعة وبدون كل هذا الجهد وهذا الوقت... غدًا سأشتري لكِ مجموعة راقية وجربيها وستتركين هذا التدخين (التبخير بالبخور).

- هذه عادة تعلمناها من السودان ، وما زال أهلنا يستخدمونها وخاصة النساء.

- طيب، التجربة أكبر برهان.

تذهب لغرفتها وتجلب معداتها وتدخل حمام فلاح ولا تقفل بابه بالمفتاح من الداخل... لعلَّ وعسى أن يدخل ليرى ما تعمل...

بعد ساعة من الزمن تخرج وقد لبست ثوب النوم الشفاف القصير وملابس داخلية مستوردة من باريس عبارة عن مثلث وشريط من نفس لون ثوب النوم وتجلس على الكرسي فينسحب ثوب النوم وتكشف عن كامل أفخاذها المكتنزة اللماعة وعن صدرها وكل تفاصيل جسمها المهيب الرشيق الملفوف.

يذهب إلى الكنبة لينام ، يتمدد في الفراش ويغطي نفسه... لكنها تتبعه وتجلس على حافة الكنبة وتقبله بقوة ، وتمسح وجهه بنهديها فتمر الحلمة لنهدها الأيمن على فمه فيلتقطها ويمصها فتذوب سهى وتسقط من الكنبة مغشيًا عليها... ينهض ويرفعها إلى الكنبة فينكشف جسمها، يحاول سحب

الثوب الذي التفَّ تحتها ويسارع لسترها باللحاف الخفيف الموجود فوق الفراش ، يطبطب على خديها ويدلك صدرها ، فيسمع آهاتها ونشيجها ولوعتها وتقلص عضلاتها، ونبضات قلبها السريعة من خلال حركة نهديها... وعندما يحاول تعديل الغطاء يلاحظ قوة نبضات عَصَب فخذها الأيسر القريب منه وكأنه وتر عود حركته بقوة ريشة عازف متمرس... يرش وجهها بقليلٍ من الماء ويضع في فمها بعض القطرات فتفتح نصف عين وتعود لتغلقها... فيدلك صدرها مرة أخرى ويمنحها قُبلة الحياة فتفتح عينيها وكأنها في حلم سعيد للغاية... تمسك يده بقوة وتحاول سحبه فوقها، ولكنه يتماسك ويهدأ من روعها ويقبلها ويمسح خدها وصدرها...

- أيوه فلاح، كمان الله يخليك، خفف من النار التي تستعر في داخلي... نار جميلة أحبها وأرتاح لها.

يهدئها ويغني لها أغنية عراقية جميلة قديمة للمطربة زهور حسين:

لو للغرام حاكم كنت اشتكي امري
أقله الحبيب ظالم عذبني طول عمري

تنام مثل طفلة تهدهد لها أمها ويهدأ نفسها، وينسحب هو إلى فراشه على السرير وينام...

بعد الإفطار في المطعم تحتاج سهى بعض الحاجات النسائية من الصيدلية، تستأذن من فلاح ، وتنزل إلى الشارع ، فتلاحظ أن معرض بيع الآلات الموسيقية فتح أبوابه بالصدفة لأن اليوم جمعة لتنظيم الأجهزة المستوردة... يستقبلها صاحب المحل...

- أريد أن اشتري عودًا من النوع الممتاز.

- حاضر ، إن أحسن الأعواد عندي من صنع الفنان الماهر المبدع "محمد فاضل حسين" من العراق حفيد "زرياب" في عصر الرشيد، تميزت أعواده بروعة ودقة زخرفتها ومتانتها وعذوبة نغماتها، إنها أفخم الأعواد وأدقها صنعة يعزف عليها محمد عبد الوهاب وفريد الأطرش ومنير بشير وأروع الموسيقيين في العالم العربي... وطبعًا هناك عوادون مصريون تفننوا في صنع العود مثل خليل ابراهيم الجوهري وجميل جورجي.

- أريد عود صناعة عراقية.

- أعواد محمد فاضل غالية مقارنة ببقية الأعواد.

- لا يهم اعطني عودًا.

يجرِّبه لها ويضبط أوتاره ويضعه في كيسهِ ويسلمه لها.

تعود للفندق، فتجد فلاح قلقًا عليها، فتفاجئه بالعود... يستلمهُ منها بفرحٍ غامر...

- ولكن أين أتعلَّم العزف ؟ لا يجوز بالفندق ولا في القسم الداخلي ، ولا أستطيع أن أنتظم في معهد لتعليم العزف، الامتحانات على الأبواب.

- نسِّق الأمور مع بيت سعد ولتعلمك الضرب على العود أم سعد عند زيارتهم والسلام.

يفرح بالعود، وينبهر بدقة صناعته.

- أكيد هذا العود غالي... أنا أسمع عن العواد محمد فاضل المتخصص بصناعة عود السحب من ابتكاره وتصميمه، محله في بغداد شارع الرشيد، ولكي

يحصل الفنان على عود من صناعته عليه الانتظار عدة أشهر، يُقال إن صناعة عود الموسيقار منير بشير استغرقت ستة شهور... شكرًا سهى كلكِ ذوق...

- سأضعه في غرفتكِ لو سمحت.
- سهى، الامتحانات اقتربت، وعلينا أن نضع خطة ونستثمر الوقت، ضمان المستقبل أهم شيء... احتمال الخميس القادم أبقى في الكلية أذاكر.
- لا، الخميس ضروري نلتقي والجمعة لكَ.
- ولكن أعود الخميس في التاسعة.
- لأجلي ارجع الجمعة صباحًا... أين نتغدى اليوم؟
- في مطعم الفندق، طلبت من طباخ المطعم أن يحضِّر لنا مرقة بامية باللحم الضاني ورز من النوع الممتاز... جربي سهى، والله ستحبين البامية.
- لماذا لا تحب الملوخية؟
- لأنها لزجة، كأن فيها مادة صمغية... أنا لا أحب الملوخية ولا أعرف كيف آكل ثمرة الجوافة لأن حبوبها صلبة ولكنها طيبة المذاق سأحاول التعود على أكلها... ولكني أحب المانجو.
- هل لاحظت البساتين التي تحيط بقصورنا ؟... معظمها مانجو وجوافة وبرتقال وليمون، ولهذا تجد هذه الفواكه في السودان رخيصة لكثرتها.
- ذكريني آخذ معي لأهلي ثمرات من المانجو، ولو أنها تُزرع في مدينتنا البصرة لكن حجمها صغير وغالية جدًا.

يأتي سعود إلى المطعم، فتنسحب سهى فورًا إلى غرفتها دون أن تكمل أكلها...

- تفضل سعود، أكلة عراقية.

- أرجوك أن تصالحني مع سهى لأني الظاهر أخطأت بحقها وإني والله غير قاصد.

فلاح يأخذ أكل سهى ويتبعها إلى غرفتها ويرجوها أن تقبل اعتذار سعود... ويعود للمطعم ليكمل غداءه مع سعود.

- خلاص سعود ، عندما تجدنا في الصالة أرجوك اعتذر من سهى لتستمر صداقتنا.

- أنا بحاجة إليك في المذاكرة، هناك كثير من المواضيع أتمنى أن تشرحها لي.

- حاضر سعود.

بعد ساعة زمن تعود سهى للصالة وتجلس لوحدها في ركن من الصالة... يتقدم منها سعود:

- مساء الخير أخت سهى... أرجو قبول اعتذاري ، أنا آسف وكان قصدي شريف والله.

- خلاص انتهى الموضوع وقبلت اعتذارك.

يأتي فلاح ويطلب الشاي للجميع وتعود المياه لمجاريها...

- اليوم أدعوكم للسينما...

تعتذر سهى:

- فرصة أخرى يا سعود، أشكركَ.

- وأنتَ يا فلاح؟

- أنا أيضًا أعتذر لأن سهى عندها موضوع أحب أن أساعدها في استيعابه.

- طيب أنا أستأذن... مع السلامة.

بعد خروج سعود، يسألها فلاح:

- ما هو برنامجكِ؟

- اليوم نقضيه هنا، أريد أن أشبع منك.

- لنتمشى قليلاً على الكورنيش ونشرب شيئًا ونأكل السميط والترمس ونعود للفندق.

ينظر إليها بتركيز عالي، فيرى سميرة جالسة بجانبه تعاتبه عتابًا مريرًا:

- فلاح، هذه ثقتي فيكَ؟.. أنا أتعذَّب كل لحظة لفراقك وأحلم بك في الصحو والمنام وأنتَ تتفسح مع غيري وتتعلق بغيري، والله عيب عليكَ... أنتَ كل حياتي وأملي ومستقبلي... وأنتَ تبيع الحب على هذه السودانية السمراء

يستيقظ فلاح من الصباح الباكر ويهيئ نفسه للعودة للكلية... سهى في عز نومها وقد سقط اللحاف الخفيف عنها فكشف عن سيقانها كاملةً، وصدرها مكشوف ونهداها يكادان ينفجران، وهناك نبضات تحرِّك حلماتها صاعدة نازلة كأنها نابض مضغوط أو شفايف يخرج من بينها لسان يتكلم، يصيح: تعال يا فلاح، كُلي شوق إليكَ، كل هذا ملك يديكَ...

يقترب منها ويمسح بيده على حلماتها، فتفتح عينيها قليلاً:

- أيوه فلاح كمان، كمان الله يخليك...

فيمسح ساقيها، ثم يغطيها...

- خذي حقيبتي إلى غرفتك والحاجيات، واستيقظي لتذهبي للدوام... مع السلامة.

نتظر...

تنهض بقميص النوم الشفاف وتحتضنه وتقبله وتلتصق به بقوة، فيشعر بحرج شديد... يفك يديها من على خصره ويودعها.

• • • •

تنتهي الامتحانات يوم الأربعاء بالنسبة لفلاح فيأتي مساءً إلى الفندق ويجد سهى في غرفتها تذاكر... تقفز من مكانها وتستقبله بالأحضان...

- فلاح، غدًا أخر وأصعب امتحان، إنه علم التشريح، حاول أن تساعدني.

- حاضر... سأذهب لغرفتي أستحم وأبدِّل ملابسي وأنتظرك في الصالة الجانبية.

أربع ساعات متتالية من الدراسة... الساعة العاشرة ليلاً...

- أحتاج إلى فسحة لمدة ساعة ونتناول بعض السندويشات.

يذهبان يتمشيان إلى المكان الذي تعودا عليه في كورنيش الزمالك ، وفِي الحادية عشرة يعودان للفندق ويطلب منها أن ترتاح وتنام في غرفتها، على أن تستيقظ مبكرًا في الصباح لمراجعة المواضيع المهمة... فتسمع كلامه.

فِي الصباح يذهب معها إلى الكلية... وبعد ساعتين تخرج من قاعة الامتحان وهي مسرورة...

- إجاباتي جيدة جدًا، الحمد لله.

- الحمد لله... والآن أريد أن اشتري بعض الهدايا لأهلي.

يشتريان بعض الهدايا، ويؤجلان الباقي للغد.

في المساء يذهبان لدار الأوبرا، مسرح البولشوي الروسي يقدِّم رقصة باليه بحيرة البجع للبجعات الأربع المشهورة عالميًا لتشايكوفسكي

يستمتعان غاية الاستمتاع... تسأله:

- كيف تتمكن راقصة البالية من الوقوف على أطراف أصابعها؟
- اسأليها.
- المشكلة أنها تتحرك على أطراف أصابعها.
- هذا تعبير عن الطيران، بمعنى أنها تلامس الأرض بنقطتين فقط، أي أنها محلِّقة في الفضاء مثل الطير أو مثل الملاك.

يوم السبت يستلمان النتائج... فلاح ناجح وترتيبه الأول وست دروس امتياز لأن يوم الاثنين امتحنوا درسين متتالية، وسهى ناجحة بدرجة جيد جدًا.

- سُهى: قبلة النجاح
- وهذه قبلة النجاح.
- أنا عاوزة لكل درس قبلة.
- خلاص، وهذه ست قُبل.
- ولكن قُبلة علم التشريح يجب أن تكون مميزة وطويلة.
- كما تحبين.
- هيا لنخرج ونشتري باقي الهدايا.
- لا أستطيع الآن، انتظري عليَّ أن اهدأ، ألا ترين؟ كيف أخرج وأنا بهذه الحالة، أنتِ دائمًا تستعجلين الأمور... الله يعينني عليكِ.

- هل تدعي عليَّ؟.

- لا والله، ولكنه كلام يُقال.

- عندي مقترح، نقسِّم الإجازة: الأسبوع الأول نسافر إلى إحدى جزر اليونان، والأسبوع الثاني نسافر إلى أهلنا... ما رأيك؟.

- لقد حجزتُ إلى بغداد قبل شهر على الخطوط الجوية العراقية وأنتِ أكيد حجزت لكِ السفارة السودانية.

- طيب نأتي قبل ثلاثة أيام من بدأ الدوام ونذهب الغردقة.

- بعيدة.

- خلاص، للإسكندرية... هل ستأخذ حاجاتك معكَ؟

- لا، قسم في غرفتك، وقسم في الأمانات مثل الخاتم والعود.

- الخاتم خذه معك أحسن.

- كما تحبين.

يوم الاثنين يأتي صابر السائق الساعة في الثانية عشر وينقلهما للمطار... فلاح طائرته الساعة الثالثة وسهى في الرابعة... يودعان بعضهما على أمل اللقاء.

(١٧)

يصل فلاح البصرة محملاً بالهدايا... يستقبله أهله بالأحضان في البيت الجديد... يرتاح نفسيًا لأنه تمكن من تحقيق شيء مهم لأهله وشيء مهم لوالده، غرفة الضيوف ممتازة وكذلك غرفة الطعام والمطبخ، ويفرح بغرفة النوم الإيطالية الموديل، غرفة جميلة رائعة.

تقول له أمه:

- كل هذه المكملات لغرفة النوم اشترتها سميرة على ذوقها وهي التي أشرفت على ديكور الغرفة على ذوقها... فتاة مخلصة وتحبنا وباستمرار تزورنا... وأبشِّرك تخرجتْ من معهد المعلمات قبل أسبوع وفرحنا بها وننتظر مجيئك لنذهب لزيارتهم.

- لا ماما، كان المفروض أن تشاركوها فرحتها.

- ابني، فيكَ البركة.

فلاح وأمه بعد الغداء يذهبان إلى الجمهورية لزيارة سميرة وأهلها في بيتهم الجديد المؤجر بجانب بيت صديقتها جانيت... يقف التاكسي بالباب... سميرة كَأَن قلبها يعلم، تخرج مسرعة تفتح الباب فتتفاجأ بفلاح ومعه حقيبة الهدايا، فتمسك بالباب كي لا تسقط... يسارع فلاح لاحتضانها تساعده أمه.

- ماما، سميرة اسم الله، حبيبتي تماسكي.

أم سميرة تقبّل فلاح...

- خالة، قدح ماء لسميرة.

تجلس سميرة مندهشة وقد ثبتت عيونها على فلاح حبيب عمرها...

- سميرة، لا تخافي، هذا أنا فلاح.

- فاجأتني وحولتَ كل أحلامي إلى حقيقة في لحظة واحدة.

يهنئها ويشد على يدها ويقبّل جبينها.

- ما هذه الحقيبة فلاح؟

- تعالي إلى غرفة الضيوف لنشاهد الهدايا.

تنبهر بالهدايا.

- هذه هدايا التخرج.

- كلها لي؟

- نعم، كلها لكِ، فساتين وأحذية وأثواب وملابس نوم وملابس سهرات طويلة وبلوزات وحتى ملابس داخلية وأدوات مكياج وجهاز تجفيف الشعر وراديو مسجل ومجموعة قصص، ملابس صيفية وأخرى شتوية.

يلاحظ أن صحة سميرة على غير ما يرام... فيسألها عن السبب...

- الفراق صعب وقاسي، نومي قليل وأكلي قليل... دائمًا أفكِّر فيك... زميلاتي في المعهد كلهنَّ يلومنني، يقلنَّ: فلاح مرتاح يسرح ويمرح في القاهرة وأنتِ هنا تتألمين... صحيح فلاح فقط أنا الذي أتألم لفراقك وأنتَ لا تتألم لفراقي، اصدقني القول حبيبي أرجوك.

- حبيبتي، أنا دائمًا أفكِّر فيكِ وأتمنى أن أكون قربكِ... تصوري قبل ثلاث ساعات وصلت بعد رحلة طويلة من القاهرة إلى بغداد ومن بغداد للبصرة

، وعلى جناح السرعة جئت لأراكِ، كل يوم يجب أن تزوريني... اتفقنا؟
- طبعًا، أريد أن أملأ عيني منكَ.
- سميرة، قُبلة النجاح.

تتسمر في كرسيها... يبادر إلى تقبيلها ووضع يديه على خديها... تتأوه... وفلاح يسقط على الكرسي في حالة ذوبان... وهي مترنحة تمسك بالكرسي لكي لا تخرٌّ على الأرض...

يفيقان بعد لحظات وأحدهما يسأل الآخر: ماذا جرى لنا؟ هل نحن في حلم أم في علم ؟!...

فلاح بينه وبين نفسه يقارن: سميرة ثوبها طويل وصدرها مستور بالكامل، أصافحها، أبادر لتقبيلها، كل شيء فيها بسيط... بينما سهى هي التي تقبّلني وتحاول إغرائي والتحرش بيَّ رغم أني لست خطيبها... سميرة حالة خاصة تحترم نفسها ولها قدرة عجيبة على الصبر... عكس سهى تمامًا المتهورة المندفعة المتحررة أكثر من المطلوب متجاوزة الحدود المسموح بها كثيراً.

- سميرة ، غدًا نذهب إلى العشار لنزور محل أبي ونشتري بعض الحاجات الضرورية ونتغدى في مطعم الخيام، اتفقنا؟
- حبيبي كما تحب وكما تشتهي، أنا رهن إشارتك... أنا اليوم أملك الدنيا وما فيها.
- هل تذهبون معنا إلى بيتنا لنتعشى هناك... لحد الآن لم أرَ أبي الله يخليكِ.

- خلاص نذهب معكم كما تحب حبيبي.

الجميع في بيت فلاح يجدون أباه الذي يفرح بهم ويبارك تخرج سميرة ويقدم لها هدية ساعة يدوية جميلة لها وقنينة عطر فاخرة وساعة حائط كهربائية لغرفة النوم بدون صوت... سميرة تقبِّل رأسه:

- شكرًا عمي، الله يديمك لنا ويعطيك الصحة والعافية.

فلاح وسميرة في غرفة النوم...

- ما هذا الجمال كله؟.

- أنا أزور غرفتنا في الأسبوع مرتين وأعطرها وأبخِّرها وأكمل نواقصها... لقد اشتريت كفاية من الشراشف والوسائد والأغطية وهذه الفرشة الكبيرة وعملت أحسن مرتبة (مندر) لنا من القطن المصري الممتاز.

- أكيد أنتِ بحاجة إلى فلوس... قولي لي.

- أنا دفعت المائتين دينار للنجار باقي فلوس غرفة النوم... ومازال عندي مائتا دينار فلوس الطوارئ كما تسميها لم اصرف منها شيئًا... أشتري الأشياء من مصرفي، وما يزيد من فلوس عند ماما من الشهرية التي يعطيها لنا بابا... لنعلق الساعة هدية بابا.

يأتيان بالطاولة ويصعدان فوق الطاولة... تمسك الساعة وهو يثبتها على الحائط ويحصل تلامس واحتكاك بينهما فيكادان يسقطان من المنضدة، فيرمي نفسه على السرير، ولكنه يسرع لمسك سميرة التي تترنح فوق الطاولة... يحاول مساعدتها بالنزول فيأتي وجهها في وجهه فيقبِّلها قبلة العمر كله...

- أرجوك أمسك بي ، ماذا فعلت فلاح؟

يحمر وجهها ويقشعر جسمها وتسري رعشة في كيانها وتتسارع دقات قلبها، وفلاح يتمدد على الفراش الوثير يسحب الآهات... ينتبها على صوت أم فلاح...

- سميرة، فلاح... العشاء جاهز.

أم فلاح ترجو من سميرة وأمها أن يناما الليلة عندهم حتى تكتمل الفرحة بتخرج سميرة وعودة فلاح... توافق أمها.

فِي الصباح الباكر يذهب أبو فلاح وابنه صباح إلى سوق بيع الأغنام فيشتريان كبشًا ويأتيان به إلى البيت...

أم فلاح:

- هذا الخروف نذر وأضحية إلى فلاح وسميرة... ابني صباح لتجد من يذبحه ويسلخه.

أم فلاح وأم سميرة يعدان وجبة الغداء على أحسن ما يمكن... يتهيئان لعمل خبز تنور بالسمسم وخبر عروگ ولحم شوي بالتنور على الطريقة البصرية، سميرة وفلاح ينظمان غرفتهما ويرتبان الدولاب، ويتحدثان...

- فلاح، بربك قل لي كيف تقضي وقت فراغك؟

- ليس عندي فراغ بالمعنى الصحيح، طوال الأسبوع دراسة ومذاكرة، فقط الخميس والجمعة أنزل إلى المدينة إلى فندق مونتانا لألتقي ببعض الأصدقاء، نذهب إلى السينما أو المسرح أو أذهب إلى بيت صديقي سعد.

- لدي إحساس غريب أن لكَ علاقة أو علاقات مع البنات.

- من قال لكِ هذا؟

- قلت لدي إحساس، قلبي يقول لي، هكذا خلقني الله أتنبأ، عندك مانع؟

- لا، ولكن ذلك حدس، وأنا لو قلت لكِ نفس هذا الكلام، ألن تزعلي؟

- أنتَ لا تجرؤ أن تقول لي مثل هذا الكلام لأنكَ تثق بي ثقةً مطلقة.

- وأنتِ لا تثقين بي؟

- أنا أسألك، أرجوك، أنا أحسكَ، أشم رائحتك... أنتَ نصفي الثاني، لا بل أنتَ كُلي... أنا من خوفي عليكَ أحيانًا أعيش مع هكذا أفكار. حبيبي سامحني وخذني على قدر عقلي أرجوك.

- لكِ بعض الحق وليس كله، النفس أمَّارة بالسوء، ولكن مثلما أنتِ مخلصة لي فأنا مخلص لكِ.

- تمنيت لو نحن الاثنان قد تخرجنا سويًا، واليوم زواجنا... كما ترى كل شيء جاهز ولا ينقصنا شيء لإنشاء بيت الزوجية السعيد.

- كان بودِّي أن ترافقيني إلى مصر ونحيا حياة جميلة هناك، لكن أهلي وأهلك والدراسة وشروط عقد البعثة تحول دون ذلك... الصبر، علينا بالصبر لضمان المستقبل.

- عندي استعداد أن أضحي بروحي في سبيلك.

- طيب، والآن لنذهب إلى العشار ونعود مع أبي على الغداء.

فلاح يفرح بمحل والده وتطوره وتوسعه وكثرة الزبائن والأرباح وسعادة والده أنه أصبح له اسم في المحافظة، وأي شيء رسمي يحتاجه يحققه له أبو كرم وأبو شهد وبواسطتهما يستلم عقود عمل من المحافظة يربح منها أرباحًا

معقولة ومقبولة بحيث يضطر أحيانًا أبو شهد الطلب منه أن يرفع الأسعار قليلاً للفارق الكبير بين عروضه وعروض الآخرين... كما يفرح بأن الأمور ماشية على أحسن ما يكون.

أبو فلاح يهدي سميرة تحفة ضوئية فيها ألوان القوس والقزح...

في هذه الأثناء وإذا بصديقه سعود في باب المحل... يرحب بهِ أجمل ترحيب ويقدِّم له سميرة:

- هذه خطيبتي سميرة... وهذا صديقي سعود من الكويت...

- وسهى؟...

ينخطف لون فلاح ويتمتم:

- من سهى؟ ماذا تقصد؟!.

- سهى في القاهرة.

- ماذا تقول سعود؟ إنها زميلة، مجرد زميلة.

- العفو، كنت أظن أنها خطيبتكَ لقوة العلاقة والميانة بينكما.

سميرة تنزل منها دمعات تكوي خدها...

- سميرة، ارتاحي على هذا الكرسي.

يسحب سعود خارج المحل...

- هل أنت مجنون؟ ماذا تقول؟ وكيف تتصرف هكذا؟ ومن خوَّلك لتتدخل في شؤوني الخاصة؟... أنا لا أسمح لكَ بذلك.

- والله لم أقصد ولكني تصورت أنكَ تضحك عليَّ عندما تقول هذه خطيبتي.

- عليك أن تصلح الموضوع... البنت تبكي.

- أختي أنا آسف، أنا دائمًا أتمازح مع فلاح، أريد إحراجه مثلما هو يحرجني في القاهرة ويضعني في مواقف صعبة...

ترتاح نوعًا ما سميرة ولكن بدأ الشك يتسرب إلى قلبها المخلص النقي الصافي.

- سعود تتفضل معنا على الغداء.

- أبي معي وهو حاليًا يتسوق اللحم والسمك والخضار من السوق القريب من محلكم، ولأنك سبق وأن وصفت لي عنوان محلكم تركت والدي يكمل المسواق وأتيت.

فلاح مع نفسهِ: ليتك ما أتيت.

- تعال معي لنسلم على والدي وتتعرف عليه أكثر بعد أن تعرفت على والدك الطيب.

فلاح يستأذن من سميرة ويذهبان للسلام على أبي سعود ويصحبانه إلى المحل ليتعرف بأبي فلاح.

أبو سعود يعرض على أبي فلاح إن بإمكانه أن يمدهم بالعمالة فيما يخص أولاً التأسيسات الكهربائية في إنجاز المنشآت الكويتية داخل العراق أو على الحدود، وثانيًا تجهيز مواد هذه التأسيسات من مصادر موثوقة... أبو فلاح يبدي استعداده...

- نأمل منكم زيارة للكويت للتعاقد، وأنا سأرسل لكَ ولفلاح الموافقات الأصولية لدخول الكويت.

يعرض أبو فلاح على سعود ووالده أن يتناولا الغداء معهم... يعتذر أبو سعود لوجود لحم وسمك ودجاج وخضار طازج في صندوق السيارة ويخاف عليه من التلف...

- مرة أخرى إن شاء الله أبو فلاح... على فكرة نحن كل يوم جمعة تتسوق من البصرة مواد طازجة، نحن لا نحب المواد المجمدة المستوردة، تعودنا على طعم أكل بلادنا.

يودعون سعود وأباه ويذهبون إلى البيت، ولكن سميرة مكتئبة ليس على بعضها طول الطريق، أفكارها مشتتة وقلبها يؤلمها، لا تكلم فلاح وتجلس بجانب أمها شاردة الذهن... فلاح يؤشر لها، ترفض الذهاب، يقف فوق رأسها ويرجوها...

- ماذا تريد فلاح؟
- أرجوكِ لنجلس في غرفة الضيوف.
- حاضر، حاضر... ماذا تريد؟
- سميرة ماذا بكِ؟
- اسأل نفسكَ أولاً وقبل كل شيء...
- كبِّري عقلك، سعود كان يمزح.
- هذا مزاح ماسخ ونكتة بايخة، ولكنه كان جاد أنا أحسستُ بجدية الكلام.
- إذن أنتِ لا تثقين بي.
- كان في داخلي شك من رسائلك المقتضبة الباردة وخاصةً الأخيرة، إحساسي مضبوط وقلبي صادق معي، إن في الأمر شيئًا، ضروري تريحني وتعترف.
- اسمعي، ويجب أن تصدِّقيني: هذه البنت طالبة في كلية الطب سودانية

تسكن نفس الفندق الذي نرتاده خميس وجمعة كل أسبوع تسلطفنا ونستلطفها ، وأبوها الباشا الوزير أوصاني بها أن أساعدها في فهم دروسها...

- وما علاقتك بدروس الطب؟

- اللغة كانت صعبة عليها، فساعدتها وانتهى الموضوع... وهذا خاتم الماس هدية من أهلها لأني ساعدتها.

- وما المناسبة أن يهدوك خاتم الماس؟.

- قلت لأنني ساعدت ابنتهم وخلاص.

- أفضِّل أن تعيد هذا الخاتم لهم.

- هذا ثمنه كبير.

- طبعًا، يحاولون أن يشتروك لابنتهم بالمال.

- هل تعتقدين أني مغفل لهذه الدرجة؟

- شوف فلاح، أنا لو أعطوني أموال قارون لا أفرط بذرة واحدة منك... ولكن أنتم الرجال !...

- أرجوك انسي الموضوع وخلّينا سعداء، لنذهب لغرفتنا.

- أنا غير مرتاحة الآن، دعني حتى تستقر نفسيتي ويهدأ قلبي وأرى.

أم فلاح تطلب من سميرة وأمها وأخواتها أن ينمنَّ عندهم هذه الليلة أيضًا، فيوافقن.

فلاح يرتاح لهذا القرار لتتاح له الفرصة بإقناع سميرة وينسيها هذا الكابوس المزعج...

- الله لا يرضى عليكَ سعود، ساعة السودة التي شفتك بها يا خبيث يا أناني يا لئيم.

الودّ ودّه الذهاب مع أبيه للمحل ليطلع على الحسابات، كذلك بودهِ زيارة صديقيه أبي كرم وأبي شهد في المحافظة وتقديم الشكر لهما على الاهتمام بأبيه... ولكنها سميرة، هل من المعقول أن يتركها ويذهب؟... يحاول إقناعها بمرافقته...

- حبيبتي، أرجوكِ أن ترافقيني لزيارة أبي كرم وأبي شهد أصدقائي.

بعد تردد توافق، ولكن مظاهر الغضب ما زالت على وجهها.

يرحب بهما أبو شهد أحلى ترحيب، ويأخذهما للسلام على أبي كرم... فلاح كان المفروض به أن يقول لأبي كرم وأبي شهد إن سميرة تخرجت وسوف يتم تعيينها بالقرى والأرياف حسب نظام التعليم وهو يرغب بتنسيبها بمدارس الجمهورية الابتدائية للبنات... لم يبادر ولَم تبادر هي، وتركا الحبل على الغارب... استأذنا وذهبا لمحل أبي فلاح الذي أخبرهما أن الوزير أبو سعود أرسل لهم موافقات (فيز) بزيارة الكويت، وعليهم تحضير أنفسهم لهذه الزيارة... الموافقات لفلاح وأبيه وسميرة.

يذهب فلاح وسميرة إلى كورنيش شط العرب لإحياء ذكرياتهما ومناقشة الموضوع...

- أنا لا أستطيع اتخاذ قرار إلا بعد مناقشة ماما وأخذ موافقتها... ثم أنا شخصيًا لا أستلطف سعود هذا بعد محاولته البايخة دق إسفين بيني وبينك... تستطيع أن تذهب أنتَ وعمي.

- الإجازة محدودة، إما نذهب معًا وإلا بلاش...

- نناقش الأمر في البيت.

- تعالي نتغدى في مطعم الخيام.

- أمي وأمك عملا لنا غداء في البيت، ولكي لا يتلف اللحم علينا أن نأكل في البيت، ولنؤجل المطعم إلى وقت آخر، هذا أراه أفضل.

- موافق، المهم رضاكِ عني.

- يجب أن تفهمني حبيبي، لا يهمني طعام أو شراب أو ملابس أو هدايا... يهمني حبكَ وإخلاصك لي، هذا يكفيني... أنا كما تعرف إنسانة بسيطة متواضعة لا أحب البهرجة ولا أريدك أن تبعثر فلوسك لإرضائي... كلمة حب صادقة منك عندي تساوي ملك الدنيا هذا أنا سميرة... وأنتَ تعرف هذه الحقيقة.

يعودان للبيت وتوافق أم سميرة على سفرها مع عمها وخطيبها للكويت.

••••

فلاح وأبوه وسميرة في الكويت وقد تم حجز سويت لهم في فندق شيراتون الكويت ؛ فندق خمس نجوم من الفنادق الراقية جدًا... سميرة تنبهر، لأول مرة في حياتها تشاهد مثل هذه البهرجة... أبو فلاح يكلمه: أكيد هذا الفندق غالي جدًا... فلاح يسأل الاستقبال:

- كم سعر السويت لليلة الواحدة في الفندق؟

- أستاذ، سعادة الوزير حجز لكم ثلاثة أيام ودفع المبلغ منام وطعام وشراب.

- والد فلاح: ولكن هذا كثير، كيف نستطيع أن نكافئهم ونرد لهم أفضالهم هذه.

- بابا ، هؤلاء أمراء يملكون آبار نفط بكاملها وفلوسهم تسرح وتمرح في بيروت ولندن وباريس وأمريكا... أنتَ حقكَ لو شفت أملاك أهل سهى لقلت ما هذه العظمة كلها.
- سميرة: يعني حضرتك زرت أهل سهى في السودان؟!!!
- لا... لا... ليس في السودان، وإنما في مصر شمال القاهرة.
- يعني أنتَ داخل طول وعرض مع سهى وأهل سهى؟!!!
- أليس أبو كرم وأبو شهد أصدقاءنا... هل سببوا ضررًا لنا ؟ بالعكس كل منفعة وفائدة... هذا سعود وأبوه، هل أضروا بِنا؟ كلا، الأصدقاء الأغنياء في كثير من الأحيان لهم فائدة كبيرة... سميرة كبري عقلك ودعينا نعيش مثل الناس، إلى متى نبقى على حياة الجمهورية والناس البسطاء؟
- أنا يهمني الشرف والعلاقات النزيهة الصادقة.
- كما قال لي الدكتور أبو سعد ، ولدي الحياة فرص ، والفرصة قد تأتي مرة واحدة وعليكَ استثمارها... كفاية حياة الفقر والعوز، علينا أن نتطور مع الوقت، وأنا شاب طموح وعليكِ مجاراتي.
- نعم، كلامك صحيح، ولكن ليس على حساب كرامة الإنسان وسمعته.
- ما علاقة ذلك بما تقولين؟

السويت غرفتان وصالون ومطبخ وحمام.

- سميرة ، هذه الغرفة الصغيرة بسرير واحد لكِ وحدكِ ، وهذه الكبيرة بسريرين لي أنا وأبي.

سعود في الاستقبال في انتظارهم، يصحبهم في جولة في مركز مدينة الكويت بسيارته الفخمة نوع كاديلاك... سميرة تنظر إلى المحلات الفخمة والبضاعة

المستوردة، لكنها تستغرب من كثرة الرمال التي تَسفّ في الشوارع، وتلاحظ قلة المناطق الخضراء، والتنظيف المستمر من قبل العمال، ملامحهم تدل على أنهم من جنوب شرق آسيا أو من الهند...

يأخذهم سعود إلى ساحل البحر، ينزلون من السيارة، تشعر سميرة بضيق في التنفس: ما هذه الرطوبة؟! ستر الله على حر البصرة... لنعود للفندق.

- سعود : لا... أبي حجز لنا الغداء في مطعم بجانب الفندق سيلتقي بِنا الساعة الثانية ظهرًا.

يتناولون الغداء في المطعم، ما لذَّ وطاب من المشويات ؛ لحم غنم عراقي، هذا ما قاله أبو سعود أنه من أحسن اللحوم في المنطقة... يشربون الشاي على الطريقة العراقية بالاستكانات.

- أبو فلاح، ارتاحوا في غرفكم، وسعود سيمرُّ عليكم الساعة السادسة... اليوم العشاء عندنا في البيت لأن أم سعود وابنتها سمر تحبان التعرف على سميرة... مع السلامة وإلى لقاء.

- سميرة، الحمام لكِ لمدة نصف ساعة، ولكن لا تَدَخَني.

- ماذا تقصد؟!! هل أنا أدخن مثلاً؟!

- لا... لا... أمزح معكِ والله... لماذا تأخذين كل الأمور بجدية.

يهمس لنفسه:

- فلاح، ما بكَ؟ اضبط نفسك، هل جننت يا رجل؟ هذه سميرة ذكية جدًا ولماحة جدًا، وأنتَ تنسى وتخلط الأمور بينها وبين وسهى... الله يستر من شطحاتك يا فلاح.

أم سعود وسعود يرحبان بسميرة وفلاح وأبيه ويتجاذبون أطراف الحديث...

- أنا معلمة، تخرجت هذه السنة وخطيبة فلاح، وأنتِ يا سمر؟

- أنا أدرس الطب في إنكلترا في السنة الثالثة...

تتدخل أم سعود في الحديث:

- ابنتي سمر أشطر من أخيها سعود، كنت أتمنى أن يدرس الطب ولكن لكل حي نصيب.

سميرة منبهرة ببيت أهل سعود: ما هذه الفخامة؟ وما هذا الثراء؟ وما هذه الرفاهية؟

سمر تستلطف فلاح كثيراً: حيويته، رشاقته، أسلوبه، ثقافته، سعة إطلاعه، أناقته، كل شيء في هذا الشاب جميل، ما أروعه... لو الله يحبني أتمنى أن يكون فارس أحلامي مثله.

سميرة تلاحظ اهتمام سمر بفلاح، فتنهض وتجلس بينهما... وتستلم الحديث مع سمر وتقول لفلاح:

- أنتَ رجل أعمال، ناقش أمور العمل مع الرجال ودعنا نحن البنات نتحدث لوحدنا.

تبتئس سمر وترد على سميرة:

- لا، نحن شباب، ونفهم بَعضنا البعض، ونحن عائلة متحررة ومتطورة، وسعود حدثني كثيراً عن فلاح وذكائه وتفوقهِ في الدراسة ونجاحه الأول على الجامعة... إنه موهوب كامل من مجاميعه، الشاب لو يكون بهذه المواصفات الراقية وإلا فلا... سميرة أنتِ فتاة محظوظة.

- أشكرك، وأتمنى الخير والنجاح لكِ يا سمر... كان ممكن أن أكمل دراستي

الجامعية لكن وفاة أبي المبكرة ومسؤوليتي عن أمي وأخواتي أعاقني فدخلت مكرهة إلى معهد المعلمات في البصرة وتخرجت هذه السنة ، وسأنتظر فلاح حتى يكمل دراسته إنه طالب بعثات في مصر لدراسة هندسة الطيران على نفقة الدولة.

في التاسعة يوصلهم سعود بسيارته للفندق...

- سأمرُّ عليكم في العاشرة صباحًا لأصحبكم إلى مكتب أبي في وزارة الطاقة والنفط.

صباح اليوم التالي يوقِّع أبو فلاح على ثلاثة عقود عمل كبداية... أبو سعود يضع الأسعار وأبو فلاح مندهش: ما هذه الأسعار العالية إنه يوافق على نصفها، الأيدي العاملة في العراق رخيصة وممكن إنجاز هذه الأعمال بأقل من نصف المبلغ.

في اليوم الثالث فلاح وسميرة في أسواق الكويت يشتريان بعض الحاجيات الضرورية... تعجب فلاح بدلة جميلة غالية يصر على شرائها لسميرة...

- إنها غالية جدًا يا فلاح.

- هذه هدية التخرج.

- أنتَ لم تقصر معي.

يعودان للفندق للغداء فيجدان سمر وسعود بانتظارهما...

سمر تجلس بجانب فلاح وتمسك يده عندما تكلمه وقد وضعت أرقى أنواع المكياج وأحلى تسريحة والعطر يفوح منها وتتعمد أن تقرِّب وجهها من فلاح وهي تحدثه... وسميرة تفور منزعجة من تصرفات سمر... إنها فتاة بلا حياء، لا تحترم مشاعري، إنها عديمة الذوق، يا لها من فتاة وقحة...

سميرة تريد تغير الحديث وتستلم المبادرة:

- سمر، كيف تتحملون هذا الحر وهذه الرطوبة في الصيف وخاصةً في شهري تموز وآب؟

- هنا كل شيء مكيف: البيوت، السيارات، المحلات، الأسواق الكبيرة... تبقى فقط الشوارع.

- هل لاحظتِ سمر هذا الرمل الذي يسف في الشوارع؟

- شيء تعودنا عليه...وبشكل عام الكويتيون يقضون الصيف في مصايف لبنان وسوريا ومصر وأحيانًا في شمال العراق وفِي دول أوربا.

يتناولون الغداء معًا ويتفقون أن يذهبوا مساءً لحضور مسرحية كويتية... بعدها يعودون إلى الفندق...

سميرة متوجسة جدًا من سمر ودائمًا تجلس بينها وبين فلاح ولا تفسح لها المجال للجلوس بجانبه، وفي الوقت نفسه لا تستلطف سعود وتستحي من أبي فلاح وتحترمه كثيراً مثل والدها.

••••

يعودون إلى البصرة فرحين بالإنجاز ومحملين بالهدايا وبالذكريات الجميلة ومنبهرين بفخامة الفندق وبيت أهل سعود.

- بابا فلاح، هذه العقود لو نفذناها أرباحها جدًا كبيرة، سأعطيها على شكل مقاولات لأصدقاء أثق بهم وأحرص على كفاءة الإنجاز وبفترة أقل من مدة العقد حتى ولو أضحي ببعض الأرباح لأرضي أبي سعود ولغرض الحصول

على عقود أخرى... يعني أرباح كل عقد بقدر أرباح سنة كاملة.

- عمو أبو فلاح، اذكر الله، ما يحسد المال إلا أهله.
- صدقتِ ابنتي سميرة، الحمد لله والشكر، وهذا كله بفضل فلاح وعلاقاتهِ.

سميرة سعيدة بالبدلة التي اشتراها فلاح على ذوقه، لكنها منزعجة من سمر ومن غلاستها الزائدة مع فلاح حبيبها.

فلاح يكاد يوميًا يلتقي مع سميرة ، إما في بيتهم أو يزورها في بيتها أو يخرجان للفسحة معًا...

صباح الجمعة وفِي الساعة العاشرة فلاح وأبوه يراجعان تنفيذ العقود ودقة اختيار المنفذين لها، وإذا بمفاجأة... سعود وأخته سمر في المحل... يرحبان بهما...

- قدمنا للتسوق لأن أبي مشغول، وقد كلفنا بذلك، وقلنا عسى ولعل نجدكما في المحل...
- يا أهلاً وسهلاً، تذهبان معنا للبيت.
- لا، يجب أن أحضر هذه القائمة من المواد الغذائية التي كتبها لي أبي، وأنت إذا استطعت خذ سمر للفسحة لغاية انتهائي من التسوق وألتقي بكما.
- طيب، سنذهب إلى كازينو العوائل في بداية الكورنيش.
- اطمئن أعرف هذا المكان جيدًا... ربما أعود بعد ساعتين أو ثلاث ونتغدى معًا... مع السلامة.

في الكازينو على إحدى المراجيح الهزازة... تبدأ سمر الحديث:

- سأسافر إلى لندن بعد أربعة أيام وأحب التواصل معكَ، وحقيقة أنا معجبة

بكَ جدًا، أنا واضحة وصريحة ولا أحب اللف والدوران، ودائمًا الذي أريده أحصل عليه، وأنتَ بصراحة دخلت عقلي ودخلت قلبي، ولَم أعرف يومًا أن سعود عنده هكذا صديق متكامل... لقد تعمدت القدوم معه لأراك في ظروف أحسن لأني وجدت سميرة تَغار عليكَ مني... إذا ممكن تعطيني عنوانك في القاهرة للتراسل، وإذا سنحت لي فرصة سأزورك في القاهرة للتعرف بكَ أكثر وليفهم أحدنا الآخر ونستمتع بساعات جميلة، وسوف لن تندم أبدًا على صداقتي هذه، صدقني.

يندهش من جرأتها رغم معرفتها بخطوبتهِ لسميرة... هل هكذا تريد سمر أن تتحدى سميرة وتهينها وتأخذ منها حبيبها؟ أم مجرد أن لديها هواية الخيال وعندما تزهق مني تلفظني لفظ النواة من التمرة؟ وقد سمعت وقرأت عن كثير من هذه الحالات والعياذ بالله... ولكن يجب أن أجاريها اكرامًا لمصلحة أبي وإدامة شغله مع الوزير أبيها لأنها ابنته المدللة...

سمر تهز بالمرجوحة وتتعمد أن تضرب ساقيها بسيقان فلاح تقريبًا في كل هزة، كذلك تتعمد أن تقرب وجهها جدًا من وجهه وهي تكلمه وتضع يديها تارةً على يده وتارةً على كتفه أو خلف ظهره...

- أنا اليوم متعبة، ولأجلكم جئت للبصرة لأستمتع برؤيتكم وحديثكم الشيق الجميل، أنا مجهدة من الدراسة، وعند عودتي إلى لندن عندي امتحان لدرس الفارما كولوجي الذي أجلته بتقرير طبي، وحاليًا أبذل جهودًا استثنائية للسيطرة عليه والوقت جدًا ثمين عندي... أرجو أن لا تخيب ظني فيك، لم يدق قلبي لأحد سواك وتستطيع الآن أن تسمع نبضاته...

تأخذ يده وتضعها على صدرها الناهد:

- هل تحس بتسارع نبضات قلبي؟
- سمر، حولنا ناس أرجوكِ.
- ومالنا ومال الناس؟... هناك في لندن الشاب يقبِّل صديقته علنًا ولا علاقة للناس بذلك.
- هذه البصرة وليس لندن أرجوكِ، ويرفع يدها عن صدره... هل أنتِ جائعة ؟
- لا... ننتظر سعود... ها إنه قادم...
- خير سعود؟
- كل خير، أكملت التسوق... المهم أين نتغدى؟
- في كازينو ١٤ تموز يوجد سمك زبيدي من النوع الفاخر.
- وهو كذلك.
- هل ممكن بقاؤكم عندنا هذه الليلة؟
-يجب أن نعود بعد الغداء للمحافظة على سلامة المواد الغذائية.

يتناولون الغداء ويرحلون، وتودِّع سمر فلاح بقبلة على الخد تترك أثر أحمر شفاه خفيف على خده الأيمن.

يعود فلاح مباشرةً للبيت فيجد سميرة عندهم...

- ما هذا الأثر لأحمر الشفاه على خدك؟؟!!
- اجلسي ، سأحكي لكِ ، وأرجو أن تساعديني وتقفي بجانبي وأرجوكِ لا تزجريني وتؤنبيني، أنا حبيبك ارتكبت اليوم إثمًا فسامحيني.
- الله، خوفتني.
- اليوم جاء للمحل سعود برفقة أخته سمر للتسوق من أسواق العشار

كعادتهم كل أسبوع لانشغال السيد الوزير والدهما، وطلبا أن نتغدى معًا... أنا وسمر في الكازينو وسعود ذهب ليكمل المسواق، فاجأتني سمر بأنها ترغب إقامة علاقة صداقة معي...

- يا لجرأتها

- عندما ودعتها طبعتْ قبلة على خدي هذا... قولي لي ماذا أفعل؟ ساعديني للخروج من هذا المأزق.

- بنات أخر زمن، لا ذمة ولا أخلاق ولا ضمير... أرجوك ابتعد عنها لأجل خاطري ولا تزعلني منكَ، أنا الآن مرتاحة لأنكَ حدثتني بصراحة، أنا فعلاً أغار عليكَ من نسمة الهواء فكيف لا أخاف عليكَ من هذه المتهورة سمر، هؤلاء الناس يتصورون أن بإمكانهم أن يملكوا البشر ويشكلونهم كما يشاءون... هذه بلاوي الدنيا، فتاة بلا كرامة وبلا أخلاق، إنها فتاة تافهة لا تستحق الاهتمام.

- صحيح والله صحيح، صدقتِ حبيبتي، لننسى الموضوع... هل تغديتِ؟...

- لا، كنت أنتظرك.

- أنا تغديت، تفضلي أنتِ. سأدخل الحمام لأستحم على السريع.

في غرفة الضيوف...

- سميرة...

- يا عيون سميرة.

- عندما كنّا في الجمهورية كنتِ دائمًا في غرفتي ولم نكن مخطوبين، الآن أراكِ تتحرجين من دخول غرفتنا ونحن مخطوبان.

- هذه غرفة عرسان وليس عندنا دراسة، وأنا أستحي من أهلكَ... أرجوكَ

راعي مشاعري وحيائي.

- اليوم نذهب مساءً إلى الكازينو ونجلس بنفس المرجوحة.

- اسمعني أرجوك، الودُّ ودي أن يكون بيننا عقد زواج رسمي لنأخذ راحتنا بالسفر أو النزهة وغيرها.

- أنا موافق يا سميرة، كل طلباتك مجابة.

- الله يخليك حبيبي، وأشكرك.

- لكن أنا بعد غدٍ مسافر، يعني الوقت لا يكفي، لكن وعد مني في المرة القادمة أنفذ كل طلباتك ونكون قد هيئنا كافة المستمسكات والشهود وكل ما تحتاجه المحكمة الشرعية.

- حقكَ.

فلاح يطلب منه أبوه أن يؤجِّل سفرة ثلاثة أيام لحاجته إليه في تنفيذ عقود الكويت، هذا من جهة، ومن جهة أخرى صاحب الملك يرغب ببيع البناية فيقرر أبو فلاح شراءها مستفيدًا من أرباح العقود...

- وطالما أنتَ يا فلاح تقول أنك ستسافر قبل بدأ الدوام بثلاثة أيام إذن لنستثمر هذه الأيام لإنجاز أعمالنا يا ولدي.

يشجع فلاح والده على ذلك، ويتم الاتفاق مع المالك أن يدفعوا له نصف الثمن نقدًا والباقي على أقساط لمدة سنة.

يخطِّط فلاح مع أبيه لتوسيع المحل واستثمار البناية بشكل صحيح وتحويلها مستقبلاً بعد تأهيلها إلى شركة استيراد وتصدير ومركز للكهربائيات والإنارة الحديثة.

في صباح اليوم التالي، يذهب فلاح مع سميرة إلى شارع الوطني في العشار لمراجعة شركة الخطوط العراقية لتأجيل الرحلة ثلاثة أيام... فيعتذرون منه لأن الأماكن كلها محجوزة ولا مجال للتأجيل، لكنهم مع هذا أبقوه على الاحتياط بحيث إذا أحد الركاب أجَّل سفره يتصلون به...

يعودان للمحل ويعتذر فلاح من أبيه، ويطلب منه أن يستعين بمحامي فيما يخص هذه الأمور.

- خلاص فلاح اتكل على الله وسافر في موعدك وأنا وأخوك صباح ندبِّر حالنا.

- سميرة، تعالوا اليوم لتناموا عندنا لتودعيني صباح غد أرجوكِ.

- إذن دعني الآن أذهب إلى البيت لنأتي لكم مساءً.

- سنذهب معًا ونتغدى عندكم ثم نذهب إلى بيتنا جميعًا.

- كما تحب، سهلت عليَّ المهمة حبيبي.

(١٨)

سهى مع صابر ينتظران فلاح في المطار يوم المجيء المحدد سابقًا، وفي المطار يسمعان أن الطائرة العراقية القادمة من بغداد تحطمت فوق مياه البحر الأبيض المتوسط...

المستقبلون يصرخون... وسهى في ذهول وقد تلعثمت ولا تعرف ماذا تقول... وصابر السائق يصِّبرها، ويقول لها:

- طالما الطائرة سقطت في الماء فليس بالضرورة يموت الجميع لابد أن هناك ناجين.
- ماذا تقول ؟... يقولون تحطمت فوق مياه البحر أي ربما انفجرت بفعل فاعل... الله أكبر... الله أكبر... وكيف أعرف مصير فلاح ، دعنا يا صابر ننتظر ونتابع هذه المصيبة التي وقعت علينا.
- ست سهى، كل شيء سينشر بالصحف.
- إن كان وقتك محدد اذهب وأنا سأعود بتاكسي.
- لا...لا... ست سهى، ننتظر والله كريم.

الأخبار متضاربة... هناك من يقول تم انتشال عدد من الناجين وهناك من يقول تم انتشال عدد من جثث الركاب...

- يا إلهي!! ماذا أفعل؟ وكيف أعرف أخبار فلاح؟.

تعود للفندق حزينة مكتئبة...

تجلس في الفندق بلا طعام ولا شراب، متعبة مشتتة الأفكار... وبين الحين والآخر تجهش بالبكاء، تحزن حزنًا شديدًا على فلاح وتلبس السواد وتندب حظها العاثر... تطلب صحيفة المساء من الاستقبال وفيها صور الطائرة المحطمة وأجزاؤها المنتشرة على مساحة واسعة من البحر... المحاولات مستمرة من البحرية المصرية والبحرية اللبنانية بالبحث عن المفقودين والتعرف على الجثث التي تم انتشالها من الماء، وفرق الإنقاذ تبذل جهودًا استثنائية، وخبراء الطيران يحاولون معرفة سبب الكارثة، تشترك البحرية اليونانية بالبحث.

ليلة حزينة تمر على سهى... تغفو قليلاً على الكرسي وتفز مرعوبة وتضع يديها على رأسها... يا إلهي أنقذ لي فلاح من هذه الكارثة أنتَ أعلم بحالي... والله، والله، لو تم إنقاذ فلاح لأذهب للحسين والسيدة زينب وأوزع النذور والأضاحي على الفقراء والمعوزين... يا رب سترك، ارحمني يا إلهي...

تسارع إلى الاستقبال لتطلع على جرائد الأهرام والأخبار والجمهورية، تقلِّب صفحاتها، والاستقبال يتعاطف معها وكلهم حزن على فلاح لأنهم يحبونه... مدير الفندق:

- سهى، الصبر طيب ارحمي نفسكِ، وبين ساعة وساعة هناك فرج يا ابنتي...
- الله معنا.
- سأتصل بالمطار ونرى أخر المستجدات.
- كل شيء في هذه الجرائد.
- إنها صادرة ليلة البارحة، والآن نحن في يوم جديد وطوال الليل فرق الإنقاذ تبحث.

- يا إلهي ماذا أفعل؟ هل أسافر إلى مكان الحادث؟ وماذا أستطيع أن أفعل ؟!... هل اتصل بالسفارة السودانية ؟!... والله أحسن.

- آلو، أنا سهى... رجاءً أريد مدير العلاقات العامة.

- أهلاً سهى تفضلي...

- أستاذ سمعت بحادث الطائرة العراقية؟

- نعم سهى، ليس هناك سوداني واحد من ركابها.

- ممكن تستفسر لي عن زميلي بالدراسة فلاح عبد الرزاق عراقي الجنسية، طالب بعثات يدرس هنا معي في القاهرة.

- كل شيء بالصحف ومع هذا سأتصل بغرفة حركات المطار.

بعد قليل:

- ست سهى، اتصلتُ ولا يوجد اسم فلاح بالجثث التي عثروا عليها ولكن ما زال هناك أربعون مفقوّدا.

- أنا أكاد أموت وهو يقول: الصبر طيب... لو كان لدى أهل فلاح تليفون لاتصلت بهم، هؤلاء الناس وكأنهم يعيشون في القرن الماضي، العالم تطور وهم لحد الآن لا يملكون تليفون مثل الناس.

يمر اليوم ثقيلاً عليها... تتصل بوالدها الباشا وهي تبكي:

- ابنتي خوفتِني ما الأمر؟

- فلاح سقطت به الطائرة العراقية وهو ضمن المفقودين ولا أعرف ماذا أعمل.

- ابنتي تماسكي ولا تؤذي نفسكَ، لكل حي نصيب في هذه الدنيا، المهم عندي سلامتك، وعلينا الانتظار على أن تعثر فرق الإنقاذ على الآخرين... اهدأي

سهى وكوني عاقلة... إنَّا لله وأنا إليه راجعون.

- بابا عندك معلومات عن فلاح أرجوك؟.

- من خلال إطلاعي على الصحف أعتقد لا يوجد ناجون، ومع هذا الله كريم.

يا الهي ساعدني، ماذا أفعل ... صحيفة المساء تؤكد عثور فرق الإنقاذ على أربع وعشرين جثة طافية قرب السواحل اللبنانية وتذكر الأسماء وليس بينهم اسم فلاح... يا إلهي الأمل يضعف ولكن هناك بصيص أمل... الله كريم...

تجلس في غرفتها تندب حظها العاثر، تتمدد على فراشها وتدس رأسها في وسادتها وتبكي بكاءً مُرًّا:

- لقد مات فلاح، يا لحظي العاثر... لماذا يا إلهي حرمتني من حبيبي... والله سأبقى العمر كله معذبة أجتر ذكرياتك يا فلاح.

تحاول متابعة أخبار إذاعة بغداد والقاهرة... لا شيء جديد أكثر من أخبار الصحف... تسهر الليل كله وقد أعياها التعب والتفكير والخوف من المجهول، وكيف ستقضي أيام السنة هنا لوحدها بدون فلاح... تضرب كفًا بكفٍ وتضع يديها على وجهها وتبكي وتنوح: تعالي لي ماما أنا تعبانة أريد أن أغفو على صدرك، ماما أنا خائفة، هذا حال الدنيا فجأةً فقدتُ فلاح، هذا عوده وهذه حقائبه وهذه أشياؤه... ماذا أنسى؟ كل شيء يذكرني بحبيب عمري فلاح.

تنام من الإجهاد والإعياء... وتصحو منتصف الليل خائرة القوى... تشرب قليلاً من الماء وتنظر من النافذة إلى القمر وهو بدر وترفع يديها: يا الله ارحمني وأعد ليَّ حبيبي فلاح.

اليوم الثاني تقرأ صُحف الصباح: انسحاب البحرية اليونانية من التفتيش في البحر... البحرية اللبنانية تعثر على أربع جثث مشوهة المعالم وتذكر اسم ثلاث منهم ليس بينهم اسم فلاح... في المساء تعلن البحرية المصرية انسحابها بعد أن فقدت الأمل بالعثور على مزيد من الجثث.

سهى طريحة الفراش... الطبيب يقول لها لابد أن تأكلي شيئًا لكي لا تصابي بالجفاف... يعطيها بعض الحبوب المهدئة ويزرق إبرة في الوريد، ويقول لها اشربي هذا العصير المغذي إنه عصير برتقال ، وإلا سأضطر إلى نقلكِ للمستشفى لتأخذي المغذي.

- لا، لا... سأشرب العصير وأتناول قليلاً من شوربة العدس... حاضر، حاضر.

تنتعش قليلاً وتستعيد بعض الطاقة...

تكلِّف موظف الاستقبال أن يكبِّر لها صورة فلاح وإذا ممكن إنجازها اليوم... بعد ساعة زمن يعود الموظف ومعه صورة فلاح بحجم ٥٠x٣٠سم... تقبِّل الصورة وتضع عليها شريطًا أسود وتكتب بقلم الكُحل عليها: هذا حبيب قلبي فلاح... وتعلقها فوق مكتبها وتجلس على كرسي المكتب تكلِّم الصورة وتذكر الأيام الجميلة التي عاشاها في العين السخنة... تنزل الصورة من الحائط وتضعها فوق المكتب وتضع رأسها عليها وتنام...

تصحو في الصباح... رائحة جسمها لا تعجبها، تغسل وجهها ولكنها لا تسرح شعرها ولا تستحم وترمي نفسها على سريرها وتعاود البكاء.

مدير الفندق يسأل عنها موظف الاستقبال:

- إنها في غرفتها يا أفندم.

- إذا سمحت اطرق عليها الباب.

بتثاقل سهى تفتح الباب قليلاً.

- السيد المدير يسأل عن صحتك اليوم.

- الحمد لله...

- تقول الحمد لله يا أفندم.

- طيب ابعثوا لها الإفطار وشاي وعصير برتقال.

- حاضر يا أفندم.

تشرب الشاي وتدخل الحمام لتغيير ملابسها الداخلية وتغسل يديها ورجليها وتعود إلى فراشها... رأسها ثقيل وعيونها زائغة وشفاهها جافة والحزن مرسوم على وجهها... بعد يومين يبدأ الدوام في الجامعة، والله لا أعرف ماذا أفعل وكيف أقاوم كل هذه الآلام؟ وكيف أستطيع نسيان طيف فلاح الذي يعيش معي؟

تسأل موظف الاستقبال عن صحف اليوم وهل من أخبار جديدة.

- هذه هي الصحف، ولا جديد بالموضوع وقد انسحبت البحرية اليونانية وأوقفوا التفتيش عن الضحايا الباقين وأُعتبروا في عداد المفقودين... ست سهى نحضر لكِ الغداء ماذا تحبين؟.

- لا شيء... لا شيء.

قرأتْ الصحف ودموعها تنهمر من عينيها... تمسحها بمنديل فلاح مرات ومرات.

••••

عند الساعة الرابعة مساءً تسمع حركة غير عادية في صالة الاستقبال لقرب غرفتها من الاستقبال ، وتسمع اسم فلاح ، وتزغرد إحدى العاملات في الصالة... تتحامل على نفسها وتخرج من غرفتها لمعرفة سبب هذا الضجيج... فتشاهد فلاح واقفًا وبجانبه حقائبه، وتسمع كلمات: الحمد لله على السلامة سي فلاح.

تتسمر في حالة ذهول... هل تحلم؟ أم هذا فلاح بلحمهِ ودمهِ ؟... تصرخ: فلاح، فلاح... وتندفع باتجاهه وتحضنه...

- أين كنت؟ ارتعبتُ عليك.

يفتح يديها من خصره، ويمسك يدها ويسحبها لغرفتها لأن شكلها وملابسها غير ملائمة...

- فلاح، هذا أنتَ حقيقة؟...

- نعم، أنا فلاح.

- دعني أقبلك لأتأكد أنتَ حي ترزق... الحمد لله... الشكر لله... يا ربي يا أرحم الراحمين استجبت لدعائي.

ينظر فلاح إلى صورتهِ المعلقة في المكتب وعليها شريط أسود ومكتوب عليها بقلم الكُحل الأسود: هذا حبيبي فلاح..

- ماذا أرى ؟!، ما الموضوع ؟!... أنتِ مريضة... لماذا كل هذا الذي أراه ؟... ماذا جرى ؟!
- كيف نجوت من الكارثة ؟
- أي كارثة ؟
- كارثة سقوط الطائرة العراقية.
- وما علاقتي بالحادث ؟
- ألم تكن على متن هذه الطائرة المنكوبة ؟
- لا، لقد أجلت سفري وسأقص عليكِ الحكاية، لكن دعيني ارتاح قليلاً.
- سهى لأول مرة أراكِ بهذه الحالة ، لم تسرحي شعرك ولَم تعتني بنفسك وأراكِ مرهقة والحزن واضح على وجهكِ.
- ماذا تقول ؟... أنا كدتُ أموت ، عشتُ ثلاثة أيام مرعوبة ، والله تمنيت الموت ولا هذا العذاب والفزع، تقريبًا فقدت الأمل أن أراك مرةً أخرى، وحقيقي فكرت أن أقتل نفسي... أنتَ اليوم أنقذتني ، أنقذت حياتي ، أنقذت حبيبة قلبك سهى... ألف الحمد لله والشكر... والآن احكي لي الحكاية لأرتاح، مازال فكري مشوشًا وأنا بين الحقيقة والخيال.
- الحكاية وما فيها، أن أبي اشترى البناية التي فيها محل الكهربائيات ليوسِّع أعماله وليحافظ على محلهِ، وأنا شجعته على ذَلِكَ... طلبَ مني مساعدته بتأجيل سفري ثلاثة أيام لأنه علم مني أني سأعود قبل موعد الدراسة بثلاثة أيام كما اتفقنا أنا وأنتِ... مكتب الحجوزات في البصرة لم يوافق لأن المقاعد كلها محجوزة ولكنهم وضعوا اسمي على قائمة الاحتياطِ... قبل موعد السفر بيوم واحد اتصلوا بي وأعلموني أنه ممكن التأجيل وحجزوا لي

مقعدًا على هذا اليوم... نحن في البصرة علمنا من الإذاعة والصحف بحادث سقوط الطائرة في البحرِ فحمدنا الله وشكرناه، وأبي اشترى كبشًا كبيرًا نذرًا لنجاتي... هذا كل شيء... وعندي خبر آخر مهم يجب أن تعرفيه ولكن بعد أن نستحم ونأكل شيئًا.

- أنا منذُ ثلاثة أيام لم يدخل بطني شيء مفيد سوى الشاي وعصير البرتقال بالعافية وتحت رعاية وتهديد الطبيب ، ولم استحم ولم أسرِّح شعري ، وأبكي وأنوح ليل نهار... عقابًا لك عليك اليوم أن تحممني في الحمام.

- ولكن كيف سهى ؟!.

- أنا ألبس المايوه وأنتَ تدلك جسمي هذا عقاب عليكَ فلاح... يجب أن تفرحني وتزيل الغم عني.

- أنا لم أحجز غرفة لحد الآن.

- هذا مفتاح غرفتك بجانب غرفتي... اذهب وسأتبعكَ.

بعد رُبع ساعة سهى في غرفته بمعدات الاستحمام ، تدخل الحمام وتخلع ملابسها وتبقى بالمايوه الفرنسي الأصفر اللون ذي القطعتين... تنادي فلاح : البس المايوه وأنا في انتظاركَ... فلاح يحمِّم سهى ، يغسل شعرها ويدلك جسمها ، وعندما تصل أصابعه للمناطق الحساسة تتقلص عضلاتها وتنتفض كحية تتقلص لتزحف، وأحيانًا تمسك يد فلاح لأنها لا تتحمل كل ذلك... بعد ذلك تحممه هي وتدلكه...

- لا ، لا... سهى هذه منطقة محظورة لا تقربتي من المنطقة المنزوعة من السلاح، هذا قرار أُممي يجب أن تحترميه...

تضحك سهى بعد ثلاثة أيام من الرعب والقلق.

- والله لا أعرف ماذا كنت أعمل من غيرك، وكيف أتمكن أن أعيش؟... والله حياتي كلها فداك.

- والله صادقة بما تقولين.

ينشفها بالمنشفة، وتنشفهُ بنفس المنشفة...

- أنا جوعانة جدًا.

- لنذهب إلى المطعم لتناول وجبة طعام.

- شكرًا يا إلهي ما أسعدني اليوم بفلاح، الله لا يعيد علينا الأيام الحزينة التي عدت بسلام... فلاح، وعدتني أن تقص عليَّ حكاية أخرى بربك ما هي؟...

- تتصوري، تعرفت بأخت سعود في الكويت عند زيارتنا أنا وأبي لهم، اسمها سمر، طالبة في السنة الثالثة طب تدرس في لندن... يا لجرأتها وتحررها، زارتني في البصرة مع أخيها لتعرض عليَّ الحب وأنها معجبة بي وتريد أن تقيم علاقة حب معي، تصوري بجاحتها وجرأتها... واحتمال تزورنا في أي وقت، مهمتك أن تخلصيني منها ومن غلاستها ولكن بأدب لأن أبي حاليًا استلم مقاولات مفيدة من أبيها وزير الطاقة ولا أريد أن ألحق ضررًا بأعمال أبي... الخطأ مني أعطيتها عنوان الفندق، لكن ممكن أن نبلِّغ موظفي الاستقبال إذا سألت عني هذه الفتاة يقولون لها: غادر إلى فندق آخر لا نعرفه وننتهي من هذا الموضوع.

- أنتَ ذكي، كيف تعطيها العنوان؟... ومع هذا اكتب لها أو اتصل بها وأخبرها أنكَ انتقلت إلى جامعة أسيوط وتسكن في القسم الداخلي للجامعة وكفى المؤمنين شَرّ القتال.

- والله فكرة ذكية.

- احكي لي عن الإجازة وكيف قضيتها في مدينتك البصرة التي نفسي أزورها؟.

- باختصار شديد، مدينتي ميناء العراق الوحيد على الخليج العربي، يمر بها شط العرب الذي يتشكل من التقاء نهريّ دجلة والفرات في شمالها... مشهورة بكثرة بساتينها وغابات نخيلها التي تحتوي على أنواع نادرة من التمور، وعلى فكرة أتيت لكِ بهدية من هذه التمور النادرة، ضروري تتذوقينها وتعطيني رأيك.

- المهم أنا نذرت نذرًا بسلامتك، وضروري أن أكون وفية لذلك... تعالَ معي للاستقبال أولاً...

تطلب من موظفي الاستقبال:

- رجاءً وزعوا على حسابي الخاص مشروبات غازية لكم ولكل من في الصالة احتفالاً بعودة فلاح سالمًا.

- ست سهى، مدير الفندق وجّه لكِ وللسيد فلاح دعوة للعشاء في صالة الفندق الموسيقية.

- على فكرة هل مسموح استخدام هذه القاعة وقت الفراغ للعزف على العود؟

- نعم سي فلاح، وإذا تحب هناك معلم لتعليم عزف العود ممكن تتفق معه...

يفرح بهذه المعلومات الجديدة الجميلة.

- سهى، اليوم كله نقضيه معًا في الفندق.

- نسيت أن اتصل بأبي لنعلمه بسلامتك.

- أنتِ نشرتِ الأخبار في كل مكان.
- من لوعتي وخوفي عليك... آلو بابا، فلاح بخير وها هو سيكلمك.
- نعم باشا، الحمد لله سوء فهم عدى على خير.
- الحمد لله على سلامتك ابني فلاح... سأزوركم قريبًا إن شاء الله.
- سهى، لم ترفعي الشريط الأسود من صورتي.
- لحظات وسأعود.

تقبِّل الصورة وترفع الشريط وتعيدها إلى مكانها ، وتطلب من موظف الاستقبال أن يكبِّر صورة مشتركة لها ولفلاح بنفس حجم صورته.

- بكل ممنونية ست سهى.

تكرمه بمبلغ من المال.

- فلاح ، لدينا وقت كافي نذهب إلى مسبح الفندق أنا بحاجة إلى الساونا لإنعاش جسمي واستعادة شيئًا من نشاطي وحيويتي... وأنتَ كذلك.
- أرجوكِ البسي مايوه قطعة واحدة.
- ما هذا التخلف؟... دعنا ننطلق مع تطور الحياة ولنستمتع بشبابنا... الذي يضيع من كنز العمر لا يعوض والشباب فترة والعمر مرحلة وتعدي.
- الله... الله... أصبحتِ حكيمة، وتفلسفي الأمور.
- هذه الأيام الثلاثة التي مرَّت عليَّ جعلت مني فعلاً حكيمة... لأني فهمت معنى الحياة ومعنى السعادة على حقيقتها.
- تأكدت بالدليل القاطع أنكِ فعلاً تحبيني من أعماق قلبكِ وأشكر الله على ذلك... وهذا ما يعقِّد الأمور عليَّ ويرهقني ويتعب عقلي.

- ماذا تقصد بالتعقيد؟!

- لا شيء، أنا أفكر هكذا، أعبِّر عما يجيش في داخلي، أرجو المعذرة.

- والله لا أفهم ماذا تقول.

- هذا كلام بيني وبين ما بداخلي من هموم.

- انسَ الهموم ودعنا نعيش، الدنيا حلوة للذي يفهمها.

يذهبان للساونا والمسبح، وسهى تلبس المايوه الفرنسي ذا القطعتين... ينظر لها بعتب...

- فلاح، قلنا دعنا نعيش حياتنا بدون تعقيدات أرجوك.

- على راحتكِ.

- تحتاج أن تزور أوربا لتقتنع بما أقول، سترى عجبًا... مقاييس الشرف والعفة هناك تختلف عنها عندنا، الشرف عندهم الصدق والأمانة وحب الوطن والدفاع عنه والمواطنة والإخلاص بالعمل، قد تستغرب عندما ترى شابًا يقبِّل فتاة في الشارع أو في مكان عام ولا أحد يحاسبهم أو ينتقدهم... تصور لا أحد ينظر لهم... نحن متمسكون بالقشور وهم متمسكون بالجوهر، ونحن ندّعي أننا أصل الحضارة، ونتفاخر بماضينا وآبائنا وأجدادنا. اسمع قول الشاعر العربي:

كُــــنْ ابـــنَ مَـــنْ شـــئتَ واكتســـب أدبـــاً

يُغْنِيـــــكَ مَحْمُــــودُهُ عَــــنِ النَّسَـــــبِ

إنَّ الفتـــــى مَــــنْ يقـــولُ هـــــا أنـــــا ذا

لــــيسَ الفَتَــــى مَــــنْ يقـــولُ كـــان أبي

يدخلان الساونا... تتعرق سهى وضوء الساونا يقع على جسدها الأسمر اللماع فيشع عطرًا وبريقًا وحيويةً وشبابًا... أوتار الأفخاذ تنبض شوقًا فتمسك يد فلاح بقوة وتعصرها وتستغل وجودهما لوحدهما في الساونا فتقبِّله وتلتصق به ، فيمتزج عرقهما وأنفاسهما وروحاهما وكل أشواقهما... وهي تفرغ قهر وأنين الأيام الثلاثة بهذه القبلة العميقة وكأن قلبها يقبِّل قلبه.

- سهى، لاحظي احتمال دخول ناس إلى الساونا.. بدون مشاكل وبدون إحراج ؛ لنذهب للمسبح.

ينشِّف أحدهما الآخر بنفس المنشفة ويستعدان لتلبية دعوة المدير والاتفاق مع مدرب عزف العود في صالة الموسيقى ويبدأ فلاح بأول درس بكل جدٍ وانتباه.

في صباح اليوم التالي يذهبان للسيدة زينب والحسين يوزعان العيش (الخبز) وسهى تكرم الفقراء... يتناولان الغذاء في مقهى نجيب محفوظ... ثم يعودان للفندق للراحة.

يقضيان سهرة ممتعة مع مدير الفندق الذي يحبهما ويحترمها ويرقص فلاح

مع سهى رقصات كلاسيكية جميلة.

- فلاح ، أنت تجيد هذه الرقصات أحسن مني ، ولكني سأعلِّمك بعض الرقصات السريعة ربما نحتاجها في المستقبل خاصةً إذا سافرنا إلى أوربا...
- أنتِ معلمة بارعة، حقيقي تعلمتُ منكِ الكثير.
- السفر والإطلاع على حضارات الشعوب ُتعَلِّم الإنسان الشيء الكثير.
- قضيتُ من عمري ثمانية عشر عامًا في حي شعبي بسيط وفي بيت صغير وعيشة كفاف ، لكننا كُنَّا مرتاحين ونوعًا ما سعداء ، لأننا نعيش بأمان وصدق ويحب بَعضُنا البعض ونساعد بعضنا وكأننا بيت واحد... مثلما تفضلتِ الحياة في تطور ويجب مواكبة هذا التطور وأنا توَّاق لزيارة أوربا والمستقبل مليء بكثير من المستجدات...
- سأكون خير عون لكَ فلاح إذا الله رعانا وحقق أمانينا.
- غدًا أخر يوم من الإجازة بعد تمديدها يومان، أحب أن أتمرن على العود صباح ومساء، وفكري لنا كيف نقضي أخر يوم من الإجازة غدًا...
- في الصباح نذهب لحديقة الحيوانات في الجيزة ، وعند المساء نذهب لحدائق الميريلاند في مصر الجديدة نتناول العشاء على أنغام أغاني أم كلثوم ورقص سهير زكي...
- وهو كذلك ، أنا موافق... ولكن كل هذا بعد محاضرات العود في قاعة الموسيقى في الفندق.

يتجولان في حديقة الحيوانات الواسعة ويشاهدون الحيوانات الكاسرة والحيوانات الأليفة وأنواع الطيور وأنواع الزواحف والبرمائيات، يقضيان

ساعتين جميلتين ويتناولان الغداء والشاي في جزيرة الشاي مقابل جبلاية القرود والشمبانزي ويعودان مسرورين للفندق للراحة وأخذ الدرس الثاني للعود.

- بعد ثلاث دروس تَعلَمتُ نوعًا ما العزف وأحتاج إلى مزيدٍ من الدروس والتمرين لتتعود أصابعي وأذني.

في المساء يذهبان إلى حدائق الميريلاند يتجولان ويركبان المركب في البحيرة ويشتركان بالمسابقة ويفوزان، فيحصلان على جائزة نقدية تكفيهما تكاليف العشاء الراقص... وعلى أنغام أغنية أم كلثوم ورقص سهير زكي يتناولان العشاء على حساب الكازينو لأنهم ربحا المسابقة بالمركب.

ترقص سهير زكي على موسيقى أغنية

رجعوني عينيك لأيامي اللي راحوا
علموني أندم على الماضي وجراحه
اللي شفته قبل ما تشوفك عنيه
عمر ضايع يحسبوه إزاي عليّ
انت عمري اللي ابتدا بنورك صباحه
تنزل دموع ساخنة على خدها...

- ما بكِ سهى؟...
- كلمات مؤثرة... فعلاً كانت حياتي قبل معرفتك صحراء قاحلة ليس فيها غير الشوك والعليق رغم كل القصور والحدائق الغناء التي تحيط بهذه القصور...
- فماذا أقول أنا، شارع ترابي في وسطه ساقية تجري بها مياه آسنة تزكم الأنوف ولَم يكن عندنا سوى مروحة منضدية واحدة ومروحة سقفية

واحدة... وفِي الشتاء كلنا ننام بغرفة واحدة لأنها الوحيدة دافئة نوعًا ما...

- الله يخليك، دعنا نسمع بقية الأغنية:

قد إيه من عمري قبلك راح وعدّى
يا حبيبي قد إيه من عمري راح
ولا شاف القلب قبلك فرحة واحدة
ولا ذاق في الدنيا غير طعم الجراح
ابتديت دلوقت بس أحب عمري
ابتديت دلوقت أخاف لا العمر يجري

- فلاح، صحيح العمر يجري، حاليًا نحن في العشرين من عمرنا ضاعت بالدراسة وأمامنا خمس سنوات دراسة... وغمض، فتح... ندخل بالثلاثين وبمسؤوليات الأطفال والعمل الجدي... أنا أرى هذا العمر الحالي هو أحلى عمر وعلينا أن نتمتع به... ماذا أعمل لكَ لتقتنع بما أقول ونستثمر أيامنا ونعيش سعداء مرتاحين... أنتَ يهمكَ الناس أكثر مما يهمكَ سعادتنا وفرحنا... نحن لم نقصِّر بشيء، ندرس في أحسن الكليات، ننجح بتفوق، أهلنا والحمد لله ماشية أمورهم... دعنا نعيش عمرنا ولا تضيع علينا ساعة واحدة ممكن أن نكون سعداء فيها.

- وهل منعتكِ أنا يومًا من الفرح والسعادة؟

- نعم منعتني... أنا أحبك وأتمناك وأتمنى رضاك، وأنت أحيانًا تنهرني وتكسر خاطري.

- الله يخليكِ افهميني... أنا أخاف عليكِ صدقيني، لأني أحبكِ أخاف عليكِ...

- لأول مرة تقول لي كلمة "أحبكِ" قولها كمان وكمان الله يخليك.

- لنعود الآن للفندق ونحضِّر أشياءنا استعدادًا للدوام غدًا.

- كل شيء عندكَ تأخذه بشكل جدي، الساعة ما زالت التاسعة، أرجوك دعنا نعود في العاشرة.

- كما تحبين.

- أشكرك حبيبي.

(١٩)

يلتحق فلاح بكليتهِ، ويلتقي في فترة الغداء في مطعم الكلية بأصدقائه سعد وأنس، ويشرح كل منهم للآخرين كيف قضى الإجازة باختصار شديد... أنس يطلب من فلاح ضرورة زيارتهم الخميس القادم، وفلاح يحدثه عن العود وكيف تعلم شيئًا بسيطًا عن قواعد العزف، وأنس يقول له:

- أختي ندى تسأل عنك وتسلم عليك، وأيضًا ماما تسأل عنكَ وتقول إنكَ فارس حقيقي لأنكَ واضح وصادق وصريح.

يعده بزيارتهم بأقرب فرصة.

فلاح في فترة المذاكرة يتذكر سهى وإخلاصها له وخوفها عليهِ ويستعرض الأيام الثلاثة التي عاشتها، وما قصَّهُ عليه مدير الفندق وموظفو الاستقبال ولوعة ومعاناة وحزن سهى عليه...

- إذن سهى تحبّني من أعماقها، وأنا بدأت أحبها لصدق مشاعرها... كلها حيوية، كلها حياة، كلها مستقبل، كلها حب وأمل وسعادة وهناء، ليس هناك معها مشاكل ومنغصات ومسؤوليات وتسلق سلالم، إنها أسانسير (مصعد كهربائي) بدون أي تعب أو جهد يذكر، بدلاً من أن أتسلق سُلم الحياة سُلمة سُلمة، ولزمن طويل... وكما تقول سُهى: كنز العمر ينقص مع الأيام... لماذا لا أسلك الطريق القصير بين نقطتين معلومتين ومرسومتين... ما لي وكل هذه المتاهات والحياة الرتيبة البسيطة، ما عليَّ قدمتهُ لأهلي: بيت وأثاث ومحل يدر عليهم ما يكفيهم وزيادة، ما لي

ومال التخلف والمسؤوليات الجِسام... ولكن ما ذنب سميرة وكيف أكسر قلبها ؟ والله ستموت سميرة لو عرفت شيئًا من تفكيري هذا... ولكنها متحفظة أكثر من اللازم، لا أرى منها شيئًا غير وجهها وشعرها والسلام، أريد زوجة متحررة منطلقة ولكنها شريفة مخلصة أمينة صادقة، أنا متأكد وواثق أن هذه المواصفات كلها عند سميرة وبعضها عند سهى... فلاح احترم نفسكَ أنتَ إنسان صاحب مبدأ وأخلاق وقيم وقد رسمت الأحداث مسارك في الوطن وفِي محلة الصبا والشباب وقد رست الأمور على مرساها وأُرسيت قواعدها، ولَم يبقَ في القوس منزع كما تقول العرب... المشكلة أن سميرة لم تستطع أن تعطيني ولو جزءًا بسيطًا مما تعطيني سهى... ولكن هذا الكلام عيب يا فلاح، والله عيب وخزي عليكَ، هذه عاداتنا التي تربينا عليها، هل تقبل أن تكون أختك مثل سهى؛ تلبس مايوه ذا قطعتين يكشف عن مفاتن جسمها؟ هل تقبل أن تقيم هكذا علاقة مع شخص غريب وتنام أحيانًا معه في فراشِهِ؟... لا، بل هل تقبل أن تفعل سميرة ما تفعله سهى مثلاً؟... أين القيم؟ أين الأخلاق؟... استيقظ يا فلاح ولا تعش بالأوهام، سميرة من ثوبك ومستواك وتحمل نفس الموروث الذي تحمله، لا بل ربما نفس الجينات... اتقي الله في سميرة حبيبة قلبك وأول حب في حياتك وليس لها غيرك في هذه الدنيا التي قست عليها، ثم إنها بصدقها وأمانتها وشرفها تستطيع أن تبني معكَ بيت المستقبل السعيد وأنتَ مطمئن واثق وقلبك مرتاح... لا تركب المخاطر وتجازف وتسبح ضد التيار فتخسر المشئيتين كما يقول المثل العراقي... ارحم نفسكَ واطرد هذه الأفكار من رأسكَ... أنتَ هنا تلهو، خميس وجمعة تحتاج إلى الصداقة، إلى العلاقة... سهى متمسكه بكَ، ورغم أنها تحبكَ وهذا أمر طبيعي، هل

من المعقول والمقبول أن أَصادق عدوًا ليَّ؟... أكيد أصادق من يحبني.

• • • •

تصله رسالة من سميرة على عنوانه في الكلية كالعادة، ويعلم أنه قد تم تعيينها طبقًا لقانون القُرى والأرياف في عمق هور الحمار على جهة الناصرية، في قرية لا تصل إليها السيارات وإنما بالمركب أو الزوارق، وأنها متعبة واضطرت أن تعيش في بيت المعلمات ولا تأتي للبصرة إلا في العُطل والأعياد... تصف له جمال المنطقة وكثرة الخيرات وخاصةً الأسماك والطيور والحيوانات الداجنة مثل الأغنام والبقر والجاموس وكثرة الوز والبط والدجاج، أما الألبان وغزارة وفرتها فحدث ولا حرج وسأكتب لكَ رسالة مفصلة عن ذلك... تخبره أن الدوام أربع ساعات وباقي الوقت في بيت المعلمات بجانب المدرسة قرب بيت مدير الناحية ومركز الشرطة...

بيت المعلمات يقع على حافة الهور... مساء كل يوم سميرة تجلس على حافة الهور وتنظر إلى الأفق عسى ولعل أحد القوارب التي تسبح في الهور فيها حبيب القلب فلاح... وتسرح بفكرها بعيدًا، تتمنى أن يزورها هنا ويرى جمال المنظر وتلال السمك ومئات طيور الخضيري والزل والكوشر والحذاف المجهزة للتصدير إلى البصرة وبغداد، ويتعرف على أنواع الطيور المستوطنة والمهاجرة... هي معجبة بطير اللقلق والعكعك وقدرتهما على صيد السمك وكيف تكيفت هذه الطيور وفق نظرية الارتقاء والتطور على مرِّ الأزمان بأرجل طويلة ورقبة مشرئبة ومنقار عريض تستطيع أن تقف بالمياه الضحلة وتصيد الأسماك الصغيرة بيسر وسهولة... كذلك معجبة بطير أخضر اسمه

البرهان منقاره أحمر مستدق، وطير القطى المرقط الجميل... وتتذكر بيت من الشعر في كتاب النصوص في مرحلة الإعدادية:

أسرب القطى هل من معيرٍ جناحهُ لعلي إلى من هويتُ أطيرُ

الحب شيء عظيم، فلولا الحب وانشغال تفكيري وقلبي به ؛ لكان الوقت ثقيلاً عليَّ... أنا أعيش مع أحلامي مع أفكاري مع أشواقي وعشقي لفلاح وهيامي به... أحيانًا الوحدة مفيدة وأحيانًا قاتلة... أنا بين أمي وأخواتي كنت أعيش الوحدة، والآن وأنا بعيدة أحيانًا أشعر بالسعادة.

تعاود النظر إلى الأفق وتركِّز على خط انطباق زُرقة السماء على صفحات الماء وتشاهد أسراب الطيور وتسمع ثغاء البقر والجاموس ونقنقة الضفادع وخرير الماء وهديِّل الحمام... وتسافر مع أفكارها إلى القاهرة من خلال القصص الكثيرة التي تقرأها لكُتَّاب قصص الرومانسية مثل يوسف السباعي، إحسان عبد القدوس، ابن حزم الأندلسي، غادة السمان... تندمج في قراءة قصة ماجدولين ترجمة المنفلوطي بتصرف وتعيش أحداثها...

- يا إلهي أحيانًا كلمات الحب أراها تقتل الحب لأن الحروف تموت حين تقال... أنا أعيش مع أحلامي، مع ذكرياتي، مع قلبي.

ينزل قرص الشمس ويميل الشفق إلى اللون الأحمر ويخف شيئًا فشيئًا ويختفي فيظهر القمر وينعكس ضوؤه على سطح ماء الهور فيترقرق الماء ويعم الهدوء...ويتراءى لسميرة صورة فلاح في القمر المنيّر بدرًا... تتابع القمر وتنسحب بهدوء وعينها مركزة على القمر؛ إلى دار المعلمات.

مساء الخميس، سهى تنتظر فلاح في صالة الفندق، تمر الدقائق ثقيلة عليها، تحاول استثمار الوقت بمراجعة دروسها... فلاح واقف أمامها، وهي مندمجة مع الكتاب:

- والله شاطرة يا سهى.

تقفز من مكانها:

- أهلاً فلاح... تأخرت عن موعد وصولك.

- الطريق زحمة... المهم أين نتغدى؟

- هنا في المطعم، حمام بالفريك، أنا حجزت الأكل... تفضل أنتَ مدعو.

- دقائق اذهب للغرفة لاستحم وأعود فورًا.

- معك عشرة دقائق فقط.

- حاضر... حاضر.

يتناولان الغداء ويتفقان على زيارة بيت سعد لأن اليوم عيد ميلاد أم سعد، وسعد وجَّه دعوه لهما....يشتريان هدية لأم سعد وتورتة (كيكة) كبيرة وبوكيه (باقة) ورد جميلة ومعهما العود ويذهبان... يستقبلونهما بالأحضان...

- هذه سهى التي حدثتكم عنها.

أم سعد تقبِّلها وتتغزل بجمالها وأنوثتها... وتأخذ العود من فلاح وتندهش من دقة صنعتهِ وحلاوة نغمات أوتاره...

- من أين لكَ هذا العود حبيبي؟... إنه بشبه تمامًا عود الموسيقار محمد عبد الوهاب.

- هذا عود نادر يُسمى عود السحب يصنع في العراق فقط.

تعزف عليه أم سعد أحلى النغمات وتغني لهم أحلى أغاني أم كلثوم وهم يرددون معها...

يشترك فلاح وسهى بالكورس مع نجلاء وهيفاء وسعيد...

- تسأله أم سعد:

- كيف أحصل على عود مثل هذا؟.

- لقد اشترته سهى من معرض الآلات الموسيقية، وأنا إلى الآن لا أعرف ثمنه.

- كلما تأتي لزيارتنا احضر العود معك.

تغني أم سعد مقاطع من أغاني أم كلثوم على نغمات عود فلاح فتبدع... يمسك فلاح العود ويدندن...

- أم سعد: الله... الله... متى تعلمت الضرب على العود؟

- بواسطة معلم الموسيقى بالفندق.

- شاطر ، وأنا عندي استعداد أعلمك الموسيقى على أصولها... الموسيقى موهبة ورغبة ، أحس أن لديكَ الموهبة وعندكَ الرغبة ، ولكن تعلَّم في إجازاتكَ ، يعني يجب أن تكثر من الزيارات لنا... والآن مسابقة للرقص لأقدم جائزة لأحسن ثنائي راقص : سعد مع نجلاء ، وسعيد مع هيفاء ، وفلاح مع سهى...

تبدأ الموسيقى هادئة وتسرع قليلاً والشباب يرقصون... سهى تحث فلاح على مزيد من الحركة.

أم سعد والدكتور أبو سعد يعطيان الجائزة إلى فلاح وسهى... يستلمان كارتونًا كبيرًا... يفتحانه فيتفاجأن بآلة كمان جميلة صناعة مصرية... يفرحان بالهدية الجميلة، فقد أصبح لديهما عود وكمان...

- يجب أن أتدرب على الكمان لنشكِّل فرقة مثل فرقة بيت سعد... والله يا فلاح في تخطيطي للمستقبل أن نشتري جهاز بيانو إيطالي الصنع لبيتنا نتعلم عليه.

- الموسيقى حياة، إنها لغة الكلام الناطقة التي سبقت الكتابة والقراءة، كل شيء في الوجود موسيقى: تسبيح الخالق، صوت الريح، خرير الماء، صوت المطر والرعد، الرسم والنحت موسيقى لأنها تعني الفنون عند الإغريق.

في الساعة العاشرة يستأذنان وأهل سعد منبهرون بجمال ورقة سهى... ونجلاء وهيفاء منبهرتان بجمال فستانها.

- سهى، من أين اشتريتِ هذا الفستان؟

- اشتريته من باريس، كل فساتيني من باريس.

- أم سعد تسأل فلاح على جنب: من تكون سهى ؟!

- إنها بنت وزير، ولكن ليس هذا المهم، أبوها باشا كبير يملك قصورًا وأراضٍ زراعية واسعة في الخرطوم وأم درمان.

- نعم... نعم.

- سهى، أنتِ شرفتِنا ونحن سعداء بمعرفتك ونشكر فلاح على هذه الزيارة...

مع السلامة، نراكم في وقت لاحق إن شاء الله.

يعودان للفندق وهم في غاية السعادة والانشراح، تشكره سهى على السهرة الممتعة وعلى التعارف على هذه العائلة الكريمة.

- السبت عندي امتحان مهم، سأقرأ ساعتين على الأقل قبل أن أنام... هل تسمح لي أن أقرأ في غرفتكَ وبعدها أنام؟
- حقيقي ما تقولين؟
- نعم والله ، ولا أريد منك شيئًا غير قُبلة واحدة ومساعدتي ببعض المصطلحات.
- بكل ممنونية.
- ضروري أنجح بعد غدٍ في هذا الامتحان ، وعليه فسأخصص الغد كله للدراسة، وأنتَ للموسيقى.

سهى تذاكر، وفلاح يفكِّر، يتأمل... الدنيا تدور، وكل ما فيها يدور، الدولاب يدور، والأرض والشمس والكواكب تدور، وحتى الناعور يدور... والأفكار في عقلي تدور لأعرف غيري حتى أعرف نفسي... والله أني احس أني متعب وينتابني شيء من القلق بسبب هذا الازدواج الذي أدور فيه، لابد أن أعطي نفسي وقتًا كافيًا للتأمل، للهدوء، للسكينة، لأعيش الحب الحقيقي، لأتذوق الموسيقى، لأستطعم الطعام... ضروري أتأمل ما يدور في داخلي وفِي عقلي... والله أنا في حيرة من أمري، ولكن الحيرة بداية الهداية، وأنا حقيقي قلق، ولكن القلق بداية الاطمئنان على النفس... أنا أسأل لأن التساؤل يعني البحث عن الجواب، والشك بداية المعرفة لتعرف نفسك بنفسك كما قال

سقراط (اعرف نفسك بنفسك) في ساعة تأمل... الأفكار كثيرة والآمال كبيرة، وهذا العقل الصغير لغز محير، فكيف يمكنني من فهم واستيعاب العقل الأعظم، الله جل جلاله مدبر هذا الكون...

- سهى تنادي: فلاح أين أنت؟... لا أسمع لكَ صوتًا.

- أنا سارح مع أفكاري، إني أفكِّر.

- بماذا تفكر؟!...أنا أحسُّ بك يا فلاح وأشعر بكَ بكل جوارحي وأعرف أنكَ في حيرة من أمركَ، ولكن لا أعرف سبب هذه الحيرة وهذا القلق، وعلينا أن نطرد الملل من حياتنا وأن لا نجعلها حياة رتيبة، ضروري نجمِّلها بالحب، بالموسيقى، بالأمل، بالمستقبل... علينا أن نبعد الملل عنا لأنه قاتل... الإنسان يشعر بالغربة عندما يكون في حالة ملل، لأن الملل يجعل المرء لا يشعر بنفسه ولا بغيرهِ فيكون أقل رغبةً وتذوقًا للحياة فيكون طعمها على اللسان غريبًا وألوانها في العين غريبة، ورنينه في الأذن غريبًا وملمسه أيضًا غريبًا... إذن الملل يجعل كل شيء في هـذه الدنيا غريبًا، ونعيش غرباء في هذا البلد، فالشعور بالغربة بداية الملل فتأنف العين عن روية الجمال وتعاف الإذن حتى الاستماع إلى الموسيقى ونضجر حتى من لمس العود والكمان... حبيبي يجب أن ننسجم مع الناس، حتى أن الله جلَّ جلاله عندما خلق آدم خلق حواء أُنسًا له لكي لا يصيبه الملل، واليوم أنتَ آدم وأنا حواء، فلا تقلق أرجوك... بالحب نطرد الملل، أن تكون لنا علاقات اجتماعية حميمة كعلاقتنا ببيت أهل سعد، علينا أن نحب الناس؛ كل الناس، نحب الحياة، نحب الكون، فأنا سهى أحب وفلاح يحب وشهرزاد تحب وشهريار يحب... ونحن في غربتنا لكي لا نصاب بالملل علينا أن نحب

ونتواصل، فالحب والحنان والعواطف أجمل ما يتمتع به الإنسان.

- سهى، ركزي على دراستك واتركي الفلسفة الآن، وفكري بالنجاح مفتاح الأمل وبوابة المستقبل... نحن حبانا الله ما نريد ومهَّد لنا طريق المستقبل ووضعنا على السكة السليمة التي توصلنا لغايتنا، وعلينا استثمار وقتنا بالدراسة والجد والعمل المنتج البناء، وألا نضيع وقتنا سدى...

- اسمعني رجاءً، أنتَ رجل عصامي لديك القدرة على التحكم بمشاعرك وتريد أن تضيع علينا مرحلة الشباب بالهم والغم وهذا عيب وهذا حرام، وكأننا نسرق أو نعتدي على حقوق الناس، دعنا نعيش الحياة، نحن في مرحلة النضوج الفكري والجنسي، أفكارنا جميلة وعقولنا سليمة، وما نحن فيه يتمناه أي شاب وشابة، المطلوب منا التحكم قليلاً بعواطفنا، والدنيا ضحك ولعب وجد وحب كما تقول أغنية عبد الحليم حافظ:

ضحك ولعب وجد وحب
عيش أيامك عيش لياليك
خلي شبابك يفرح فيك
عيش بالروح والعين والقلب
ضحك ولعب وجد وحب
حب الدنيا تلقى الدنيا فرحة كبيرة في حلم كبير
ضحك شوية لعب شوية جد شوية وحب كتير
عيش أيامك عيش على طول
خلي شبابك عمره يطول

تقترب امتحانات نهاية السنة... فلاح كالعادة يضع خطة لمراجعة الدروس واستثمار كل دقيقة من الوقت، يقول لسهى:

- لقد لعبنا كثيراً وضيعنا كثير من الوقت وقد بدأ الجد، وقد اتفقنا أن ضمان النجاح يعني ضمان المستقبل الذي تغرَّبنا عن أهلنا وبلادنا من أجلهِ.

- نعم، نعم... ضروري استثمار الوقت، أنا جيدة ومسيطرة على كل الدروس ما عدا الفارما كولوجي (علم الأدوية) لأنه واسع... تصور تمكنتُ من السيطرة على علم التشريح رغم صعوبتهِ وكل الطلاب يشكون مِنه.

تمر الأيام وفلاح لا ينزل إلى الفندق الخميس والجمعة، ورغم أن سهى كان بودها رؤيته ولو لساعة زمن، لكن انشغالها وجديتها بالدراسة هوَّن عليها الأمر وخفَّف من معاناتها.

في أسبوع الامتحانات، ينشغلان بضرورة تحقيق النجاح هذا العام، إلى أن تنتهي الامتحانات على خير وهما ناجحان... وكالعادة فلاح الأول على الجامعة ناجح بامتياز في كل الدروس، وسهى لأول مرة تحقق نجاح بامتياز في درسين والباقي جيد جدًا ما عدا علم الأدوية بدرجة جيد... المهم النتيجة جيد جدًا...

يلتقيان في الفندق فرحين ويتعانقان ولكنهم متعبان، فقد أخذت الدراسة والامتحانات والقلق وسهر الليالي الشيء الكثير من صحتهما ونشاطهما وحيويتهما، ولكن ارتفاع معنوياتهما يعوضهما عن كل التعب والجهد.

- فلاح، يجب اليوم أن نحتفل... الله يخليك الإجازة طويلة، لنستمتع ببعض الأيام هنا في القاهرة أرجوكَ... لأشبع منكَ وتشبع مني، بعدها نقرر

السفر لأهلنا... أتوسل إليك.

- سنرى، لا أستطيع اتخاذ مثل هذا القرار الآن ولكني أقترح أن نزور اليوم أهل سعد لنهنئهم بنجاح سعد ونحتفل معهم... لا تنسي أن نأخذ العود معنا ونشتري تورتة وزجاجة شامبانيا وباقة ورد.

- سأذهب إلى السوق لأشتري الهدايا وأنتَ حضر العود.

- طيب، كما تحبين.

يرحب بهما أهل بيت سعد أجمل ترحيب... يقضون سهرة ممتعة... بيت خال سعد مدعوين، بنت خال سعد فتاة في ريعان الشباب تدرس الفلسفة في جامعة القاهرة، يتعرفان عليها اسمها فاتن، إنها اسم على مسمى، طول ورشاقة وجمال أخاذ يسلب العقل... تشرب قدحًا من الشمبانيا في صحة الجميع وبنجاح الجميع أيضًا... تستلطف فلاح وتجامله، وتحب أن ترقص معه الرقصات السريعة، يعتذر لأنه لا يجيدها... هي تجيد الرقص الشرقي إجادة ممتازة، تلبس بدلة رقص تكشف عن مفاتنها وتتلوى وتهز بطنها وعجزها وصدرها وكأنها سهير زكي أو نجوى فؤاد، وهو منسجم مع هذا النوع من الرقص ويركز النظرات على مفاتنها التي تثير الغرائز بحركاتها الجميلة، فهي تمزج بين الرقص الشرقي والرقص الهندي بسرعة حركاتها ونشاطها المتميز... يصفق لها الجميع، وتقبِّلها نجلاء وهيفاء وسهى، التي تطلب منها أن تعلِّمها الرقص الشرقي، وتقرر أن تشتري بدلة رقص...

- ماذا تفعلين يا سهى؟...

- والله أَرقص لكَ وحدكَ... ماذا؟ هل الرقص حرام؟ إنه فن من الفنون الجميلة.

- لكني لا أحب أن تتعلمي هذا الفن الفاضح.

- يا الله متى تتخلص من هذه العقلية يا فلاح؟

- أنا تربيت في بيئة هذه عاداتها وهذه أخلاقها وتطبعت عليها أرجوكِ قدِّري مشاعري.

- خلاص بلاش من الرقص وبدلة الرقص، ارتحت؟

فاتن ترقص مع سعد رقصة غربية سريعة وهي ببدلة الرقص الشرقي، وعندما تدور يرفعها سعد وكأنها تطير في الهواء... ما هذه الألعاب الهوائية وهذا الأكروباتيك المذهل... أنا لم أتعلَّم شيئًا من هذا... وأين أتعلَّم في محلة الجمهورية الشعبية؟!

يعود فلاح وسهى ومعهما العود إلى الفندق مسرورين فرحين بعد أن قضيا أربع ساعات من اللهو والمرح واستمتعا برقصات فاتن... يتذكر أن فاتن دست ورقة صغيرة في جيب البنطلون، ولكنه لا يجرؤ على إخراجها أمام سهى...

في غرفتهِ لوحده؛ يخرج الورقة الصغيرة ويفتحها فيجد فيها رقم تلفون فاتن فيخبئها في محفظتهِ.

سهى تطرق طرقًا خفيفًا على الباب...

- خير سهى؟...

- كل خير، أبي هنا في الفندق ويرغب برؤيتكَ.

تمسك يده وتسحبه للصالة فيلتقي بأبيها الذي يحضنه ويقبله ويضمهُ إلى صدره:

- أهلاً ولدي فلاح... إن شاء الله كويسين.
- الحمد لله.
- وأهلكَ يا فلاح؟
- برضو كويسين يا سعادة الباشا... الحمد لله.
- أي حاجة تحتاجها أنتَ أو أهلكَ مستجابة لأنكَ ولدي، وأنا بنيتُ عليكَ آمالاً كبيرة وكثيرة، إن شاء الله تكون بقدر المسؤولية... المهم تكملان دراستكما ونجاحكما وتفوقكما وتخرجكما... أنا فرحان بهذا المستوى من النجاح والله أنتما رفعتما رأسي، أنا أفتخر وأتباهى بكما أمام كل الأصدقاء.

فلاح يذهب إلى الحمام ويخرج الورقة من جيبه، فيجد مكتوبًا فيها : ضروري أشوفك، وهذا رقم تلفوني...... فاتن.

يلفها ويعيدها إلى محفظتهِ ويعود للصالة...

الباشا يدعوهما إلى العشاء في فندق شيراتون القاهرة... ينتظره أعضاء الوفد السوداني، يقدِّم لهم سهى وفلاح على أنهما أولاده... يتناولون الطعام الفاخر... الباشا يطلب من فلاح مرافقته، يجلسان في شرفة تطل على النيل، يطلب الباشا اثنين عصير ليمون:

- اسمع ابني فلاح، أنتَ تعرف مقدار اعتزازي بكَ، أنا أطلب منكَ أن ترافقنا لمدة أسبوع إلى الخرطوم لأن العائلة هناك مشتاقة لرؤيتك.
- سعادة الباشا، أنا حجزت تذكرة سفر إلى بغداد بعد غد.
- سأدبر أمور تأجيل الحجز وستسافر من الخرطوم إلى بغداد.
- باشا، كما تحب.

- إذن اتفقنا.

يعودان إلى الصالة... الباشا ينظر إلى سهى ويبتسم، وهي بدورها تنظر إلى فلاح مستفسرة بكلام العيون... يهز رأسهُ لها بالإيجاب... الأمور مشوشة عندها، تستأذن وتسحبه من يده بهدوء إلى الحديقة...

- ما الحكاية افهمني...

- سنسافر معًا إلى الخرطوم.

- ينصر دينكَ، فرَّحتني.

- خلاص، يجب أن نعود، وسنحكي في الفندق.

يستأذنان ويعودان لفندق مونتانا إلى غرفة فلاح...

- أبوكِ الباشا طلبَ مني مرافقتكم إلى الخرطوم لمدة أسبوع... ابوكِ أحرجني ، ولأني أحبه وأحترمه؛ وافقت.

- وأنا؟ ألا تحبّني وتحترمني؟... يعني أنا إن طلبت منكَ ذلك أكيد لا توافق، صحيح؟...

- لا، ليس صحيحًا... ولكن للباشا مقام غير مقامك، أنا وأنتِ قد نتفق وقد نختلف، بيننا ميانة، ولكن الباشا أبونا وأكيد نسمع كلامه.

- المهم عندي ستسافر معنا... ولكن هذه المرة بلا شروط... سنسافر في رحلة داخلية بعيدًا عن عيون الأهل والرقباء.

(٢٠)

سهى وفلاح في الخرطوم مع الباشا، يفرح بهم الجميع ويستقبلونهم بالأحضان والقبلات...

في اليوم الثاني يستدعي الباشا فلاح في مكتبه في الطابق العلوي من القصر...

- فلاح ولدي ستكون وريثي.
- الله يطيل عمرك يا باشا.
- ابني، الأعمار بيد الله، وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت... أنا مُنى عيني أن تتزوج أنتَ وسهى لأطمئن على مستقبلها أولاً ومستقبل العائلة ثانيًا ومستقبل ما بنيته وما بناه أبي وجدي ثالثًا... وأنا أقترح أن تتم الخطوبة الآن، وعند عودتك من زيارة أهلك الزواج... هذه رغبة سهى والعائلة، والكل متفقون على ذلك، وستكون هديتي لكما قصرًا من هذه القصور تختاره أنتَ، إذا رغبتما العيش في قصر سهى فالقرار لكما طبعًا... كذلك قررت ان أسجل باسمكَ مائة دونم من الأرض المزروعة أشجار فاكهة على النيل مثل سهى... كذلك قررت أن اشتري لكما سيارة فاخرة... وعند تخرج سهى هديتي لها مستشفى خاص تخصصي، ولكَ مكتب هندسي... ويبقى القرار لكَ يا ولدي.

فلاح في ذهول من هذه العروض المغرية التي لا يحلم بها ولا حتى في الأحلام، لقد فتح له الباشا طاقة القدر: كُن فيكون... ما هذا؟! إذا حكيت ذلك لأي عاقل لن يصدق... يستدرك وبرباط جأش يرفع رأسه ويكلم الباشا بكل أدب واحترام:

- يا سعادة الباشا أنا لا أستطيع أن أخطب إلا بعد أخذ موافقة أبي وأمي، والمفروض أبي من يخطب سهى لي من سعادتكَ هكذا أهلي علمونا الأصول بما تفرضهُ علينا عاداتنا وتقاليدنا. أما مسألة الزواج فأنا طالب بعثات وهناك فقرة في العقد المبرم بيني وبين الدولة العراقية لا يجوز الزواج خلال فترة الدراسة، بمعنى بعد التخرج، وأنا أمامي ثلاث سنوات على التخرج... لا يمكن أن أعطي وعدًا لا أستطيع الإيفاء بهِ... يا باشا أنا ابن ناس وقد ربَّاني أبي على الصدق والأمانة والإخلاص... أرجوك أن تمنحني الوقت الكافي لأشاورَ أهلي بالأمر.

- والله يا فلاح أنتَ على رأسي وقد كبرتَ في عيني، ومن حقها سهى أن تتمسكَ بكَ فأنتَ نعمَ الرجل الصادق الأمين، والله هذه صفات الأنبياء والحكماء، بوركَ فيكَ يا ولدي، ومن حقي أن افتخرَ بكَ أمام الآخرين... لكَ ما تريد.

أبو سهى يراجع نَفْسَهُ ويستغرب من موقف فلاح رغم كل هذه الإغراءات ورغم علاقتهِ الطيبة بسهى ورغم أنهُ سيناسب الباشا... الباشا يختلي بسهى ويعلمها نتيجة المناقشة مع فلاح:

- اسمعيني سهى، أنا طبعًا معجب بشخصية فلاح وذكائه والتزامه بالقيم والمبادئ التي زُرعت في داخلهِ، كذلك معجب باحترامهِ وتقديرهِ لأهله... أنتِ يا ابنتي تعرفين أن ألف من يتمنى رضاك من أولاد الباشوات والعوائل الكبيرة المقتدرة من أبناء جلدتنا، ولكني أيضًا يا ابنتي معجب بكِ وبذوقكِ وحسن اختياركَ... أنا لا أستطيع أن أعطي تنازلات أكثر من ذلك ومع هذا أجد الحق مع فلاح ولا أستطيع أن ألومه... لنعطِه يا ابنتي الوقت الكافي ليكون كل شيء على المرام، أرجوكِ.

- كما ترى يا أبي... ولكن من الممكن أن تتفق مع فلاح على موعد الخطبة في هذه العطلة الصيفية ونرسل تذاكر سفر له ولأبيه وأمهِ وأختهِ الكبيرة للقدوم إلى الخرطوم لإتمام الخطوبة كما يريد ويتمنى.

- طيب يا ابنتي أنتِ كلميه وأنا موافق.

- شكرًا بابا.

سهى وفلاح يسرحان ويمرحان في حدائق القصور والبساتين المحيطة بها ويقطفان كمية من أنواع الفاكهة وخاصةً المانجو وفِي طريق العودة للقصر:

- فلاح، أي قصر ستختار؟

- أنتِ عندكِ قصر، فما الحاجة إلى قصر ثاني؟، أما المستشفى فهذا من حقكَ ولكن بعد اكتساب الخبرة والتخصص، أما المكتب فأنا أمامي عدة سنين... أنا لا أفكر بالماديات أبدًا، وعلاقتي بكِ لا أَرتجي منها أي فائدة مادية أبدًا ، أنا تكفيني كلمة "ولدي"، يكفيني هذا التشريف والترحاب من قبل عائلتكِ الكريمة... نحن عمومًا أحوالنا جيدة والمستقبل أمامنا ونحن في منتصف الطريق تقريبًا والله كريم للقادم من الأيام... أرجوكِ لا تستعجلي الأمور لنصعد السلم باية باية.

- يعني إيه باية دي !؟.

- يعني سلمة.

ابو سهى وأمها يحضران الهدايا وكمية من الفاكهة ويشتري أبوها ثريات كريستال من النوع الممتاز مصرية الصنع ويشحنها بنفس الطائرة التي يسافر عليها فلاح.

سهى لم تستفد شيئًا من هذه الزيارة سوى رؤية أهلها، لم تستطيع الانفراد بفلاح، لم تستطيع استيعاب ما قاله لها والدها، لم تستوعب تأجيل فلاح الخطوبة بسبب موافقة أهله... الظاهر فلاح لم يكلم أهله عني ولا حتى أخته الكبيرة، هل هناك شاب في السودان أو مصر مثلاً ممكن أن يرفض عرض والدها! ؟... اتركونا من الإغراءات... أنا فتاة جميلة، أنيقة، ذكية، سأصبح طبيبة، ألا يكفي هذا لأن يتمناني فلاح... ومع هذا وذاك أنا أحبه وهو يبادلني الحب، وزد على ذلك سوف أملك مستشفى خاصًا يعمل فيه كثير من الأطباء والطبيبات... ماذا دعا فلاح ليؤجل الخطوبة... أمي المسكينة بدأت ترتاب وتقول يا سهى ماذا نفعل لفلاح هذا حتى يرضى عنا ويسمع كلامنا؟.

يسافر فلاح إلى بغداد ولَم تأخذ منه سهى لا حق ولا باطل... كل الأمور معلقة إلى إشعار آخر...سهى ترتمي بحضن أمها وتبكي وأمها تبكي معها...

- سهى ابنتي اصبري الفرج قريب، وأنا أستغرب من أبيكِ في حياته كلها لم يجرؤ أحد على رَدّ طلب له سوى فلاح هذا... أنا لا أعرف كيف تجاوز الموضوع ولَم يزعل أو يغضب... الظاهر هو الآخر أحبَّ فلاح وارتاحَ له وأُعجبَ بشخصيتهِ.

فلاح يودعهُ أهل سهى في مطار الخرطوم محملاً بالهدايا... وسهى تنظر إليه بعين دامعة معاتبة...وتبتسم ابتسامة ممزوجة بالحزن والدموع... لقد كسر فلاح خاطرها وضيع آمالها وأمانيها، وقلل من شأنها أمام أهلها...

- والله لقد أهانني فلاح برفضهِ كل عروض أبي الوقور، أنا والله مخطئة، كان المفروض أفاتح فلاح بهكذا أمور وأَخذ موافقتهِ قبل أن أزج بأبي بهكذا موقف محرج، عجيب أمر فلاح، إنه شخصية فريدة، وربما هذا سبب كافي وسر خفي لحبي له وإعجابي بهِ.

••••

فلاح في الطائرة يفكِّر بعمق ويستعرض الأحداث ويحللها، ويضع سميرة وسهى في كفتي ميزان ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً... تفوز سميرة بكل الماضي... أما الحاضر... فهو يعيش مع سميرة ساعات، ومع سهى أيامًا وشهورًا، وقد تعوَّد عليها وتعودت عليه... لكن قلبهُ مازال عند سميرة فهي حبيبته وخطيبته وحبيبة أهله وخاصةً أمه، سميرة الشريفة العفيفة الصادقة الأمينة التي ربطت مصيرها بمصيرهِ وحياتها بحياتهِ، والتي تحدت العادات والتقاليد في حبهِ، سميرة ما أجمل اسمها وما أحلى شكلها وما أطيب قلبها، إنسانه بسيطة متواضعة مخلصة أبية النفس، لو لا سامح الله تركتها وعلمت بشيء مما أفكر فيه الآن؛ لقتلت نفسها وأنا من يتحمل ذنبها وسأعيش العمر كله أجتر ذكراها وأتحمل ذنبها لأني ظلمتها وقسيتُ عليها، والله لا يحب الظالمين... أما المستقبل فأنا لا أقرأ ما يخبئه لنا المستقبل من خير أو شر فهذا الدهر غدار لا يؤتمن.

ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ   تجري الرياح بما لا تشتهي السُّفنُ

أما سهى فليس لها ماضي معي ولكن لها حاضر بسبب ظروفي الخاصة، تعرفتُ عليها صدفةً وتطورت علاقتي بها مع الوقت بسبب ظروف الغربة،

ولكي لا أصاب بالملل من الغربة تقربتُ لها لحاجتها لي ولحاجتي لها، واندفاع شباب ومرحلة مراهقة طورتها هي إلى حب وعلاقة قوية... ولأنها بنت ناس لهم ثقلهم في المجتمع والثراء؛ زجت بأهلها المقتدرين بعلاقتنا وتحاول أن تفرض عليَّ إرادتها بأي ثمن... ولكنها في الحقيقة تحبّني وهي تمزج بين القوى الروحية المتمثّلة بالحب والقوى المادية المتمثّلة بإمكانات أهلها... بينما سميرة لا تملك أي قوة مادية، لكن قواها الروحية هائلة... فلاح يكلم نفسهِ: من أنا وابن من؟! لأفتي كل هذه الفتاوى... ويردِّد مع نفسهِ حِكم الإمام الشافعي:

دَعِ الأَيَّـــامَ تَفْعَـــل مَـــا تَشَـــاءُ — وطـــب نفســاً إذا حكــمَ القضــاءُ
وَلا تَجْـــــزَعْ لنازلـــــة الليـــــالي — مـــا لحـــوادثِ الـــدنيا بقـــاءُ
كـــنْ رجـــلاً عـــلى الأهـــوالِ جلـــداً — وشـــيمتكَ الســـماحةُ والوفـــاءُ
وإنْ كـــثرتْ عيوبـــكَ في البرايـــا — وسَركَ أَنْ يَكُـــونَ لَهـــا غِطَـــاءُ
تَسَـــتَّرْ بِالسَّـــخَاء فَكُـــلُّ عَيْـــب — يغطيـــه كـــما قيـــلَ السَّـــخاءُ
ولا تـــر للأعـــادي قـــط ذُلاً — فـــإن شـــماتة الأعـــدا بـــلاء
ولا تـــرجُ الســـماحةَ مـــن بخيـــلٍ — فَمـــا فِي النَّـــارِ لِلظْـــمآنِ مَـــاءُ
وَرِزْقُـــكَ لَـــيْسَ يُنْقِصُـــهُ التَـــأَنِّي — ولـــيسَ يزيـــدُ في الـــرزقِ العنـــاءُ
وَلا حُـــــزْنٌ يَـــــدُومُ وَلا سُرورٌ — ولا بـــــؤسٌ عليـــــكَ ولا رخـــــاءُ
وَمَـــنْ نَزَلَـــتْ بِسَـــاحَتِهِ الْمَنَايَـــا — فـــلا أرضٌ تقيـــهِ ولا ســـماءُ
وأرضُ اللـــه واســـعةٌ ولكـــن — إذا نـــزلَ القضـــا ضـــاقَ الفضـــاءُ
دَعِ الأَيَّـــامَ تَغْـــدِرُ كُـــلَّ حِـــينٍ — فـــما يغنـــي عـــن المـــوت الـــدواءُ

إذن لندع الأيام تحكم بيننا... ولكن أنا لا يمكن أن أضحي بشعرة من سميرة، لأنها كل حياتي لأنها قلبي، وهل يمكنني أن أعيش بدون قلب؟! أي أتحول إلى تمثال دون حياة وبالتالي دون إحساس وشعور، لا بل بدون ضمير وأخلاق وقيم... كيف تمكنت سهى من أن تفرض نفسها عليَّ؟! ولماذا لن تمر في حياتي مرور الكرام مثل ندى وسمر وفاتن، هُنَّ أيضًا جميلات وبنات ناس ولهن مستقبل مرموق... لماذا وقفتُ أنا في محطة سهى كثيراً وجاملتها كثيراً، ولم أصارحها بالحقيقة من البداية؟ أنا أيضًا اخطأت بحق سهى وتركتها تحبّني وتتعلق بيَّ وأنا قلبي وكياني مع سميرة... ولكني قبلتُ لأن الغربة قاتلة... سميرة وسط أهلها وناسها ووطنها يخفف عليها كثيراً ولكن مع هذا للصبر حدود كما تغني أم كلثوم أحلى الألحان ويدندن مع نفسه:

ما تصبرنيش بوعود وكلام معسول وعهود
أنا يا ما صبرت زمان على نار وعذاب وهوان
واهي غلطة ومش ح تعود
ولو ان الشوق موجود وحنيني إليك موجود
إنما للصبر حدود... يا حبيبي.

تمنى أن يكون عوده معهُ ليعزف عليه ويغني هذه الأغنية... ولكن كيف وهو في الطائرة؟ إنها أمنية، مجرد أمنية...

أنا لا يمكن أن أتخلى عن قلبي لأني سأموت ولا يمكنني أن أتخلى عن ضميري لأني سأسقط بعيون أمي وأبي وأنا أقدِّسهما ولا أخالفهما إطلاقًا... اذن خصم الكلام، أنا لسميرة وسميرة ليَّ وانتهى الموضوع... وسهى مرحلة فُرضت عليَّ فرضًا، ولكن مشكلتها أنها تحبّني بكل جوارحها وأنا أَجاريها وأَعطف عليها ولا يعجبني أن أكسر قلبها ونفسيتها... من أكون أنا مقابل أبيها الباشا يمكن

أن يبددني كما يبدد دخان سيكارهِ الكوبي بنفخة واحدة في هذا الفضاء الرحب، ومن يمكنهُ أخذ حقي منه؟ هذا أبي الرجل البسيط ؟!... أَم حبيبتي سميرة التي لا تعرف غير البيت والمعهد والطريق الرابط بينهما؟... أكيد أنا سأكون تابعًا ذليلاً لهذا الباشا المتجبر الإقطاعي الكبير الذي يملك الأرض والنَّاس التي تعمل في الأرض... ثم ماذا ؟... عندي قصر في أرض الباشا لا يتحرك، وعندي أرض كجزء من أرض الباشا يديرها مزارعون الباشا، وكيف تُسجل باسمي وأنا لستُ سودانيًا ؟... كلها كماليات وقتية... ثُمَّ ماذا أقول لأبي وماذا أقول لأمي وماذا أقول لسميرة ؟... إنني إنسان جشع أغراني المال والجاه وبعتهم؟... لا يا فلاح هذه ليس أخلاقكَ.

(٢١)

فلاح يصل بغداد، ومن بغداد للبصرة، ويذهب مباشرةً إلى بيت سميرة، تندهش من هذه المفاجأة وكل هذه الحقائب وكل هذه الصناديق والسلال، ترتمي بأحضانه وتقبِّله، وتساعده في إدخال الحاجيات...

- سميرة، أين أمكِ؟
- ذهبت للسوق... ما كل هذا فلاح ؟!
- جئت لكم مباشرةً من القطار لأني بشوق عظيم للقائكِ، خِفت الضياع وخِفت من عقلي أن يخذلني... سميرة ساعديني على تجاوز هذه المِحنة.
- لا أفهم ما تقول، إنكَ تخيفني فلاح.
- لا، لا... لا تخافي، كُلي لكِ.

يفتح الحقائب ويعطيها هدايا لها ولأهلها وحصتهم من الفواكه، ويفرجها على الثريات الكبيرة.

تعود أم سميرة فتجد فلاح، تحضنه وتقبله وتطلق هلهولة (زغروطة)...

- فلاح ابني نتغدى هنا وننطلق إلى أهلك، خلال ساعة الغداء جاهز.
- كما تحبين خالة.

فلاح وسميرة في غرفة الضيوف، تغلق الباب بهدوء...

- أنا مشتاقة لكَ فلاح، أَيحِقُ لي أن أتجرَّأ وأَقبِّلكَ؟... تصور أنا أخجل منكَ، لكَ رهبة في نفسي.

- وأنتِ سميرة لكِ قدسية عندي، يُخيل لي أنكِ ملاك... ولكن يمكن تقبيل الملاك على ما أعتقد.

يقبِّلها... تنسى الدنيا وما فيها، وتعيش في عالم ملائكي وكأنها تطير فِيهِ، تتحسس أجنحتها فلا تجدها، إذن كيف طرت أنا في فردوس عالم الأنوار؟!... تصحو على صوت أمها:

- الغداء جاهز يا أولاد.

يشربون الشاي المهيل الذي هدرَّ على موقد الفحم ليكتسب نكهة وطعم... ثم يتحركون بالتاكسي إلى بيت فلاح... أمه تكاد تطير من الفرح، وتنسى أن تسألهم كيف التقوا وأين ومتى؟!...

- ابني فلاح ما هذه السلال؟

- ماما هذه فواكه هدية لكم لتتذوقوها.

- ابني، اعزل كمية منها إلى بيت سميرة.

- ماما، أخذوا حصتهم.

- لم أفتهم ماذا تقول.

- ماما، من شوقي إلى سميرة وحبي رؤيتها؛ ذهبت لهم مباشرةً من القطار لاختصر الوقت وجئت بهم معي إليكِ.

تمطُّ أمه شفتيها وتهز يديها... يقبِّلها ويعتذر منها:

- ماما مشيها واحسبيها عليَّ الله يخليكِ... ماما كلنا تناولنا الغداء عند خالتي أم سميرة فلا تتعبي نفسكَ... أين أخي صباح؟

- مع والدك في المحل... دعني يا ولدي احضر الغداء لأبيك وأخيك هذا وقت وصولهما للبيت.

بعد نصف ساعة يلتقي فلاح مع والده وأخيه... يكاد أبوه يطير من الفرح... الكل يشربون الشاي في غرفة الضيوف...

- بابا، بشرني كيف حال المحل؟

- بخير، في تطور، الحمد لله والشكر... تعال وشوف أين كنّا وكيف أصبحنا، محلنا كبير وبضاعتنا كثيرة ومتميزة... وأنا يا ولدي كثير الشكر إلى أبي كرم وأبي شهد صديقيك اللذين يقدمان لنا التسهيلات والمقاولات المجزية، وكذلك إلى صديقي أبي سعود الوزير الكويتي الذي يقدم ليَّ المساعدة في استيراد كثير من البضاعة من دول الخليج، وكذلك عقود المقاولات الكثيرة على الحدود العراقية الكويتية، أبو سعود كل أسبوع تقريبًا في البصرة، وأنا أحضر له المسواق قبل يوم من سوق الجملة وبأسعار رخيصة طبعًا ونوعية فاخرة لأن يوم الجمعة يتقاطر على أسواق البصرة الكثير جدًا من الكويتيين لشراء المنتجات المحلية فترتفع الأسعار وتشح المواد الضرورية، حتى أني اشتريت ثلاجة إضافية لأحافظ بها على مسواقه، وتصور قبل أسبوعين زارنا هنا في بيتنا أبو سعود وأم سعود وابنتهما سمر، وتناولوا الغداء معنا.

سميرة تَفز من سماع اسم سمر... يشعر بها فلاح لأن ملامح وجهها تغيرت...

- سميرة تعالي معي، أين نثبت هذه الثريات؟

- واحدة في غرفة الضيوف والثانية...

- يكمل فلاح: في غرفتنا.
- كما تحب.
- سميرة، ما بكِ؟
- أنا أخاف من هذه سمر.
- من عاشر العلماء عَلَم ومن عاشر الجهلاء جهل... تصوري صداقتنا مع هؤلاء الناس مفيدة في كثير من الأمور، حتى أنا صداقتي في القاهرة مع ناس مقتدرين علمتني أمورًا كثيرة في الحياة... والمثل العراقي يقول من جاور السعيد يَسعدْ.
- يعني لمَّا كُنتُم جيراننا لم تكونوا سعداء معنا؟
- عرب وين وطنبورة وين، ما علاقة هذا بذاك... حبيبتي خليكِ دائمًا متفائلة أرجوكِ... أنا بشوق لأن أرى محل والدي، هل تسمحي لي أن أذهب معه، والأحسن نذهب معًا ومن هناك نذهب بجولة.
- كما تحب.

ينبهر بمحل والده وبالمكاتب والمخازن وبواجهة البناية الجميلة وبنظام توزيع البضاعة وبالجرودات ونظام السيطرة على الموجودات، شيء جميل وراقي... والده توسع كثيراً واستعان بكفاءات في العرض والخزن والصرف والتعويض... اطلع على سجل المبيعات والمشتريات والأرباح المتحققة، حقيقة انبهر، والده رجل شاطر يدير المحل بكفاءة عالية.

- بابا، كيف أحوال أهل سميرة المادية؟
- ترد سميرة: بكل خير، عمي يعطي ماما كل شهر خمسين دينارًا، يعني أكثر من حاجتنا، وأنا أستلم راتبًا حاليًا أحتاجه لتكملة متطلبات الزواج... وكل شيء ماشي عال العال.

- سميرة، لنذهب إلى الكازينو، أنا أحب هذا الكازينو.

يأكلان دوندرمة زينب (آيس كريم) الشهيرة في البصرة...

- فلاح، بعد غدٍ يجب أن أَذهب للمدرسة لاستلام الراتب وسأضطر للمبيت في بيت المعلمات وأعود في اليوم الثاني.
- ممكن أن أرافقكِ؟.
- ممكن، ولكن في الليل تنام في أحد بيوت الجيران.
- ومن هؤلاء يا سميرة؟
- كلهم ناس طيبون: مدير الناحية، ومأمور مركز الشرطة، والدكتور مدير مستوصف الناحية، وهناك مضائف على حافة الهور كثيرة للضيوف.
- اتفقنا... أحب أن أرى مناطق الأهوار.

أبو فلاح يرسل أحد العمال الكهربائيين لتثبيت الثريات في غرفة الضيوف وغرفة فلاح وسميرة، فتبدو الغرفتان أجمل بكثير وأكثر إنارة... سميرة وأهلها ينامون عند بيت فلاح... وسهرة ممتعة لفلاح وسميرة في غرفتهما الجميلة يتجاذبان أطراف الحديث... يحكي لها أشياء ويخفي عنها أشياء أخرى لكي لا يؤذيها ويزرع الشكوك في نفسها.

في صباح اليوم التالي يذهبان مع حقيبة خفيفة إلى العشار، ومن العشار إلى قضاء المدَينَةْ على حافة هور الحمار، ومن هناك يركبون المركب لعبور الهور إلى ناحية الچبايش في الجانب الآخر... وكلمة چبايش ومفردها چباشة، عبارة عن حِزم كثيرة وكبيرة من القصب والبردي مربوطة مع بعضها تشكل رقعة عائمة على سطح ماء الهور يمكن أن يُبنى فوقها بيت من القصب أو حظيرة للحيوانات وتعيش فوقها عوائل بكاملها... ومن الچبايش يركبون سيارة تسير

فوق سدة ترابية تسير على حافة الهور، وعندما تقترب السيارة من الناحية يجدون القنطرة التي بناها أهل القرية من جذوع النخيل منهارة والطريق مقطوع، يترجلان ويمشين مسافة ثلاثة كيلو متر تقريبًا، تتعب سميرة، يشجعها فلاح على الاستمرار... يصلان إلى قرية أخرى يفصلها عن الناحية نهر عريض وسريع... يركبان زورقًا ويعبران إلى الناحية ويستعين البلام بسلك من الفولاذ ربط بين حافتي النهر لكي لا يجرف الماء السريع الزورق بعيدًا عن الشريعة المعدة للنزول... المهم يصلان إلى الناحية بعد جهد جهيد مع المغرب... يستقبلهما أهل الناحية والكل يعرفون سميرة ويحترمونها لأنها معلمتهم المحترمة المقدرة... وعمومًا المعلم والمعلمة في قرى ونواحي العراق لهم اعتبارهم وتقديرهم العالي.

تُعَرِّفُ سميرة فلاح بأنه أخوها، فيرحب بهِ شيخ العشيرة أجمل ترحيب، ويقول له: أستاذ فلاح أنتَ ضيفي... ولكن سيد عگلة من وجهاء الناحية ومضيفه قريب من بيت المعلمات؛ يصر على استضافة فلاح، لكونهِ سيد ابن رسول الله، فيوافق شيخ العشيرة.

تذهب سميرة تذهب لبيت المعلمات، وفلاح يذهب مع السيد إلى المضيف... المضيف كبير جدًا طوله بحدود عشرين مترًا وعرضه ستة أمتار، مصنوع من القصب والبواري (حصران تصنع من مادة القصب)، وتفرش بالسجاد الملون الزاهي المصنوع من خيوط الصوف الملونة التي يطغي عليها اللون الأحمر، والوسادات الجميلة الزاهية، وفِي وسط المضيف موقد نار كبير عليه عدد كبير من دِلال القهوة العربية... يضم المضيف عددًا من وجهاء الناحية منهم الشاعر والقصخون وأهل الرأي والحكمة (الفريضة)... الكل

معجبون بفلاح وبحلاوة منطقهِ وغزارة معلوماتهِ وجمال شكلهِ وهندامه، الحديث يدور حول الزراعة والصيد وثروات الهور، وعن شركات النفط العاملة في مناطقهم، وعن الثروة الحيوانية، ووفرة الحليب الذي لا يستطيعون إيصاله للمدينة بسرعة قبل أن يفسد بسبب ندرة المواصلات ومعدات التبريد، كذلك الحال مع ثروة الأسماك والطيور المهاجرة الكبيرة، كميات هائلة أحيانًا تتلف بسبب انقطاع الطرق بسبب الأمطار والفيضان وخاصةً في موسم الشتاء... يسأل أحدهم فلاح عن النفط وكيف يتكون؟... يجيب:

- على قدر معلوماتي وما تعلمناه في دراستنا أن الأشجار والحيوانات النافقة وكل الموتى الذين يدفنون تحت الأرض عبر آلاف السنين يذوبون بسبب الضغط الهائل والحرارة العالية ويكوِّنون النفط، وهناك نظرية تقول إن هناك نوعًا من البكتريا اسمها الفورامنفرا يكوِّن هذا النفط... وبشكل عام هناك عوامل كيماوية وعوامل عضوية كثيرة تساهم في تكوين هذه المادة الحيوية...

فيرد شيخ العشيرة مبتسمًا:

- سألنا أستاذ غازي معلم في المدرسة الابتدائية عن تَكُون النفط فأجابنا كما تفضلت أنه من الحيوانات النافقة ومن الموتى... وعندما سألناه هناك نفط أبيض ونفط أسود، أجابنا: النفط الأبيض من البشر البيض والأغنام والحمير والكلاب البيضاء والأسماك، والنفط الأسود من الجاموس والعبيد والكلاب السود... وعندما سألناه عن البنزين، قال: يتكون من الزوري (السمك الصغير)... فيضحك فلاح ويضحك معهُ الجميع... يرد الشيخ:

- يعني أستاذ غازي كان يضحك على عقولنا الله يجازيه بالخير.

يغادر الجميع ويودِّعون فلاح ويتمنون له طيب الإقامة... ينام فلاح وقريب منه ينام سيد عگلة على مرتبة (مندر) من الريش ووسادة من ريش الطيور الناعم بعد أن يتناول الجميع العشاء ما لذ من الأسماك والطيور ويشربون اللبن ويرتشفون القهوة العربية اللذيذة التي تفوح منها رائحة الهيل.

يصحو في الصباح على أصوات زقزقة العصافير ورغاء البقر والجاموس، وصياح الديكة ونباح الكلاب وصوت موجات ماء الهور وأصوات الصيادين، وصوت الهون ورنة الفناجين وصوت دلال المزاد وهو يصيح بأعلى صوتهِ لبيع ألوان السمك وأكداس الطيور بالمزاد العلني.

يخرج من المضيف، يندهش من كميات السمك الهائلة التي تشكِّل سلسلة من التلال المتجاورة، وأَعداد الزوارق والمراكب الصغيرة المجهزة بمحرك يعمل بالبنزين أو الديزل وهي تحمل خيرات الله وتنقلها إلى البصرة والناصرية وبغداد ومن هناك إلى بقية المحافظات الوسطى والشمالية... ويشاهد أسراب الطيور المهاجرة وهي تطير قريبة من سطح الماء تصطاد الأسماك الصغيرة، وهناك عدد كبير من الطيور قد شكلَّت شكلاً هندسيًا رائعًا محلقةً في سماء هذا المسطح المائي المترامي الأطراف.

يعود إلى المضيف فيجد الماء والصابون حاضرًا في باب المضيف ليغسل وجهه... سيد عگلة رغم كبر سنه ومركزه يَصْب الماء على يد فلاح.

- أستغفر الله سيد.

- ابني فلاح هذه عاداتنا، خدمة الضيوف والعناية بهم من سمات أهل الهور ، لن تجد أبدًا أحدًا يستنكف من خدمة الضيف حتى لو كان إنسانًا فقيراً بسيطًا من عامة الناس، فهو ضيف عزيز مهما يكون مقامه أو مركزه، في المضيف يتساوى الجميع يا ولدي.

تأتي صينية الفطور: أنواع الأجبان والألبان والقيمر والبيض واللبن تطوف على وجههِ الزبدة، والرغفان والرصاع المصنوعة من طحين التمن (الرز)... يندهش ما هذه الخيرات كلها يا إلهي، أكيد لو توفرت وسائط النقل المبردة لوصلت للمدينة بأسعار رخيصة ، ولكن مع الأسف أغلبها يتلف في حالة انقطاع الطرق بالأمطار والفيضانات وانهيار القناطر الضعيفة.

سيد عگلة وفلاح يمران على مدرسة سميرة ويسلمان على المديرة والمعلمات... ينصحهما سيد عگلة أن يعودا بقطار محطة آور القريب منهم أفضل لهما بكثير لأن الجو ممطر وهناك احتمال انقطاع الطريق.

يركبان السيارة الباص إلى آور (المقير) ومن هناك بالقطار النازل من بغداد إلى البصرة وإلى البيت.

تفرح أم فلاح وأم سميرة بالسمك البني الذي جلباه معهما هدية من سيد عگلة.

- ماما، اليوم غداؤنا سمك مسكوف بالتنور وخبز تنور مسمسم... هل عندنا طرشي؟.

- نعم ماما على خاطرك طرشي أم فلاح.

يأتي أبو فلاح وصباح من المحل، يجتمع الجميع ويتناولون الغداء.

غدًا الجمعة... أبو فلاح يحضر مسواق أبو سعود... سميرة وأهلها يعودون لبيتهم، وفلاح وأبوه وصباح يذهبون للمحل... في العاشرة يأتي السيد الوزير أبو سعود وابنته سمر للمحل بسيارتهم الفارهة لأخذ المسواق، فيجدان فلاح ، تفرح سمر بهذا اللقاء... أبو فلاح يدعو أبا سعود على الغداء سمك تارة مسكوف مع خبز بيت، وسمر تقول لهم اذهبوا وسنلحق بكم في البيت على الغداء.

سمر وفلاح في حديقة الأمة على الكورنيش يجلسان على مصطبة في عشة معزولة مضلله باليأس والأشجار الكثيفة...

- فلاح ، ما حكاية جامعة أسيوط ؟ أنا سألت سعود ، ونفى هذه القصة المفبركة.
- من قال ذلك؟
- رسالتك الجوابية.
- لا سمر، غيرَّت رأيي.
- المهم فلاح أنا سبق أن قلت لكَ أنا صريحة وواضحة ، أنا أحب أن أقيم معك علاقة لأني اقتنعت بكَ، وحقيقة أنا أفكر فيكَ باستمرار... بمعنى أنا أحبكَ.
- أنتِ تعلمين أن سميرة خطيبتي.
- نعم أعرف أن هذه المتخلفة خطيبتكَ ، أنتَ مازلت على البرِ وما أسهل فسخ الخطوبة... عليك أن تختار فتاة بمستواك أو بالأحرى ترفع من

مستواكَ، من هذهِ سميرة اليتيمة قحط معلمات؟...

فلاح في حيرة من أمره، إن زجرها وزعلت سيزعل أبوها وبالتالي يلومني أبي... ولكنه سكت عنها على مضض... واكتفى بالقول إن سميرة إنسانة مهذبة وبينهما علاقة منذُ نعومة أظافرهما تطورت إلى علاقة حب، وتعلق أحدهما بالآخر.

- ضروري تحكم عقلكَ، أنتَ إنسان مثقف وستصبح مهندسًا مهمًا ولكَ مركز اجتماعي، أنا أو أنتَ حاليًا وأحدنا يعتبر عربة قطار نحتاج إلى ماكينة قوية تسحبنا إلى المجدِ... عليك أن تفهم لا يمكن عربة تجر عربة هذه حقيقة علمية... والدي ماكينة مقتدرة جبارة، يستطيع أن يوصلنا للقمة بيسر وسهولة دون أن نمر بمحطات كثيرة تعيق تقدمنا، بمعنى أنا وأنتَ نستطيع بعد تخرجنا أن نختزل الزمن.

- إذاً لننتظر التخرج أولاً وبعدها نفكر.

- فلاح، أنا بحاجة إليك وأنتَ بحاجة لي... فكر جيدًا وسأزورك في الأسبوع القادم مع صديقكَ سعود أخي، وهذه قبلة عربون محبة كما يقول أهلنا في العراق.

ينتبه فلاح ويحاول في غفلة من سمر مسح مكان القبلة... لكنهُ مضطر يعطي المنديل إلى سمر ويرجوها مسح آثار القبلة لأنهم سيذهبون للبيت لتناول الغداء مجتمعين وبعدها يتوكلون على الله بالعودةِ للكويت...

- فلاح أرجوك لا تنسى ما تحدثنا بهِ أنا وأنتَ في الحديقة.

يتناولون الغداء في بيت فلاح ويستطعم الوزير أبو سعود السمك البني

وخبز التنور وطرشي أم فلاح... أم فلاح تقدم شيشة طرشي كبيرة هدية لأبي سعود يفرح بها ومعها ثلاث سمكات بني طازجة وعشرة أرغفة خبز تنور: هذا غداء أم سعود، ومودعين بالله.

أهل سعود ناس طيبون يحبون أهل البصرة، ويقولون إن أصولهم من البصرة لأن أجدادهم هاجروا من منطقة الزبير إلى الكويت أيام زمان واستقروا هناك يعملون في تجارة اللؤلؤ بين الكويت والبحرين وبومباي في الهند، ولهذا هم يحنّون إلى جذورهم العراقية.

فلاح يشجع والده على ضرورة التوسع بالعمل وفتح شركة استيراد وتصدير لكافة الأجهزة الكهربائية...

- ابني العافية درجات ودعنا نتسلق السلم سلمة سلمة أرجوك... ومثل هذه الأعمال الواسعة أجلها الآن لغاية تخرجك.

فلاح يفكِّر بوضع سميرة ومدرستها البعيدة النائية التي يصعب الوصول إليها في فصل الشتاء، وهي فتاة شابة لا تتحمل مشاق هذا الطريق... لنتشاور بالأمر مع أبي شهد وأبي كرم.

في اليوم التالي يذهبان إلى مكتب أبي شهد في المحافظة... يستقبلهما أحسن استقبال... فلاح يشرح له وضع سميرة الجديد.

- ولماذا لم تراجعني سميرة من البداية؟... ومع هذا فالأمر بسيط وبيد أبي كرم...

أبو كرم يرحب بهما ويتصل بمحافظ الناصرية حول نقل المعلمة سميرة إلى تربية البصرة...

- أخي أبو كرم أمامنا ثلاثة مسالك : الأول بجايش (تبادل معلمين) وهذا أسرع مسلك... والثاني تقرير طبي... والثالث على القائمة التي ستصدر لاحقًا من مجلس الخدمة.

- سعادة المحافظ لنسلك أقصر وأسرع مسلك وهو البديل.

أبو كرم يتصل بمدير التربية والتعليم في المحافظة يطلب منه اسم معلمة من أهل الناصرية ترغب التقرب لأهلها ويعطيه اسم سميرة حسن بديلاً عنها ويطلب منه تنسيبها لأحسن المدارس الابتدائية... كل شيء يتم بالتليفونات.

- فلاح، غدًا يصل كتاب نقل سميرة إلى التربية.

- ابنتي سميرة ، سيتم تنسيبكِ إلى مدرسة ابتدائية نموذجية في العشار أو المعقل وأنتِ تختارين.

- أستاذ، أنا أريد مدرسة ابتدائية في الجمهورية، إما مدرسة العزة الابتدائية للبنات أو مدرسة النباهة الابتدائية للبنات، والمدرستان لهما دوام مزدوج في نفس البناية.

- كما تحبين.

سميرة في منتهى السعادة بهذا الخبر السعيد وبودها أن تقبِّل فلاح لولا الخجل والناس.

يعودان إلى بيت فلاح ويبشران أمه...

يدخلان غرفتهما الموعودة...

- فلاح الآن أقبلكَ وأشكركَ.

تطوِّقه وتقبله وتشمه وترمي نفسها على السرير... تنادي عليهما أم فلاح لتخبرهما أن أباه وأخاه قد وصلا والغداء جاهز.

- أبي اليوم أذهب معكم إلى المحل ولكن إذا ممكن نوصِّل سميرة إلى أهلها لتبشرهم بالنقل.

- حاضر ولدي.

(٢٢)

فلاح عند المساء يطلب من أخيه صباح أن يعود للبيت ويرجو من أبيه أن يذهبا للكازينو ليحدثهُ بأمرٍ مهم...

- حاضر ولدي فلاح.

فلاح وأبوه في ركن هادئ في كازينو العوائل...

- ما هو الأمر المهم يا فلاح؟!...

- أبي سبق أن حدثتك عن طالبة الطب السودانية سهى وأهلها وأبيها الباشا. استجدت بعض الأمور وأريد رأيك بما حصل.

- نعم فلاح أنا أستمع إليكَ.

- زارنا الباشا أبو سهى في القاهرة مع بداية العطلة وطلب مني أن أرافقهم إلى الخرطوم لأمرٍ مهم يخصنا أنا وسهى... وطلبَ مني أن أخطبها ومن ثم أتزوجها، وعرض عليَّ عروضًا مغرية لا يرفضها أي عاقل: أن يسجِّل باسمي مائة دونم أرض زراعية مزروعة بالأشجار المثمرة مع فلاحتها، وقصرًا من القصور الأربعة المحيطة بقصرِهِ الفخم، ومكتبًا هندسيًا وسيارة حديثة، وهو يتكفل بكل التكاليف... فقلت له لا أستطيع الموافقة على الخطوبة إلا بعد أخذ موافقة أبي، ولا أستطيع الزواج بسبب وجود شرط ملزم بعقد الدراسة بعدم جواز زواج الطالب خلال فترة الدراسة... تقبل الباشا الاعتذار بصدر رحب رغم امتعاض سهى وأمها، وقال: أنا موافق أن تأخذ موافقة أبيكَ عند زيارتكَ لهم ونؤجل الزواج بعد التخرج.

أبو فلاح في ذهول من الأمر... بلع ريقه واستعاذ بالله:

- يعني هناك بنات للبيع وأولاد للشراء... لقد عاد زمن الرقيق بعد أن ولَّى منذ عصور وقد أكلَ عليه الدهر وشرب... ابني سأناقش معكَ الموضوع وفق محورين:

الأول أنتَ تحب سميرة وهي تحبكَ، وهي الآن خطيبتكَ وفِي ذمتكَ وأنا شاهد، وأنا أعتبر نفسي أباها مثلما أنا أبوكَ إلا ما حرَّم الله بمعنى لو لم تكن خطيبتكَ لكانت أختكَ، وقد أعددنا كل متطلبات الزواج، ورأينا على وجهها كل خير وبركة، ونحن مسؤولون عنهم أمام الله وأمام ضمائرنا.

أما المحور الثاني، فما قيمة أرض في الخرطوم ونحن نعيش في البصرة، بمعنى أنتَ تملك نخلة في الشام... أما المكتب الهندسي فأنتَ قادر على فتحه في أي وقت تشاء بعد التخرج في ملككَ هذا... أما القصر يا ولدي فهو في أرضهِ وضمن أملاكهِ ولا يستطيع أحد نقله إلا علاء الدين والمصباح السحري... وأما السيارة فلدينا ما يكفي من الفلوس لشراء أحدث سيارة.

فلاح الأهم من هذا كله أنا ربيتكَ على القيم والمُثل العُليا والوفاء بالعهد والأمانة، وهذه سميرة وأهلها أمانة في أعناقنا. وهذا الباشا إقطاعي كبير أبًّا عن جدّ، بمعنى ينظر لنفسهِ على أنه باشا والناس خدم وعبيد... ستكون قطعة من أملاكهِ يا فلاح ورهن إشارتهِ ولا تملك من زمام أمرك غير: نعم باشا، حاضر باشا، كما تعود أن يسمعها من الآخرين... فلاح اتقي الله في نفسكَ وفِي سميرة وفينا... ولدي، البناء طابوقة طابوقة بيدكَ وبعرق جبينكَ أفضل بكثير من البناء الجاهز وهو ملك غيركَ من الناس... إنكَ ستلتذَ بهِ، حتى أني أحيانًا أفكر يا ولدي مع نفسي وأستغفر الله، أقول إذا كان مثوانا الجنة بعد عمر طويل وصحة وعافية ما قيمة أن يأكل الإنسان ويشرب دون

أن يعمل. الفلاح عندما يزرع النخلة وينتظرها سبع سنوات ليأكل من تمرها، ما أطعم هذا التمر وألذه ؛ ففيه الخير والبركة... بينما لو أعطوك هذا التمر بدون أي جهد تبذله وتحس أنكَ لا تملكه ؛ والله لا تستطعمهُ ولا تتذوقهُ... وقد سمعت يا ولدي من حكيم العرب في العمارة "عُريب العُربة" وهو يتحدث في مجلس عزاء شيخ البو محمد الشيخ خليفة أبو مجيد ؛ أن أحد الدراويش استضافه في مضيفه ونام عنده وفي الصباح أخبر الدرويش الشيخ أنه ليلة البارحة وهو في عزّ نومهِ في المضيف حَلَمَ بهِ وهو جالس على قمة النخلة... فأمرَ الشيخ بجلدِ الدرويش... فاستغرب الحضور وسألوا الشيخ عن السبب... قال أقعدني في قمة النخلة وليس في وسطها ولا قريبًا من قمتها لأواصل الصعود، بعد القمة يا ناس يعني السقوط من أعلى النخلة... وهكذا يا ولدي نحن الآن على سفح الجبل ونتسلق على راحتنا وبجهدنا وتعبنا، كل شيء حلال بحلال الله يبارك بهِ... أما هذا الباشا الإقطاعي سينظر لنا بعين استصغار، وأي خلاف لنا معه يرمينا في الشارع (وكأنكَ يا أبو زيد ما غزيت) كما يقول العراقيون.

ابني أنتَ ذكي وعاقل وشاطر، شق طريقكَ بجهدكَ وكفائتكَ ليكون لكَ في المستقبل نصيب... وأنتَ ترى بعينيك كيف تمكنا أنا وأخوك صباح وبمعونتك أن نبني هذا المحل بالحلال وخطوة خطوة، ونحن الآن نستطيع التوسع، لكن الوقوف لتقييم الأمور وتعزيز موجودات المحل مطلوب، وأهل المثل قالوا (اللي راده كله فاته كله)... فأهدأ يا ولدي وصفي بالك وأرح قلبكَ وعقلكَ واتكل على الله وكمل دراستكَ ، وعروستكَ في انتظارك لديها الاستعداد أن تضحي بروحها في سبيل إسعادك.

- خلاص يا أبي رأيكَ صائب وصحيح ومطابق لرأيي... ولكن ضروري إطلاعكَ لكي لا تلوموني.
- ابني فلاح أنا يهمني أن يكون قلبكَ وضميركَ مرتاح، وأن تصون الأمانة وتوفي بالعهد... ولمعلوماتك، أما لاحظتَ أن سمر بنت الوزير أيضًا تتمناكَ وتحاول التقرب منكَ.
- هذا صحيح يا أبي رغم أنها تعرف أن سميرة خطيبتي وأن هناك علاقة حب بيننا، لكنها مصرة أن تخطفني منها، وأنا أجاريها لأحافظ على علاقة الود والصداقة بينكَ وبين أبيها.
- فلاح، نحن الحمد لله أمورنا بالعمل جيدة وصحيح نحن مستفيدون من الوزير، لكن بنفس الوقت هو مستفاد منا، لأن أسعارنا تنافسية مع ما موجود في دول الخليج ومنها الكويت، أريدك يا ولدي أن تكون ذا شخصية قوية كما عهدتكَ وكما ربيتكَ ولسنا بحاجة لأحد مهما كان، وأرجو أن تحزم أمركَ وتنظف عقلكَ من كل هذه الشوائب الضارة... ومثلما سميرة مخلصة لكَ يجب أن تكون بنفس إخلاصها... اهتم بدراستكَ ومستقبلكَ واعتمد علينا أنا وأخيك صباح.

فلاح مقتنع تمامًا بكل كلمة قالها أبوه... ولكن هل يمكنه ترك سهى وقد تعوَّد عليها ؟! وأين يقضي إجازة الخميس والجمعة، وهل من المعقول أن يذهب كل أسبوع إلى بيت سعد ؟!... يتفق مع نفسه أن قلبه كله لسميرة، أما سهى يجاملها ويتعاطف معها إلى أن يحلها الحلال.

صباح اليوم التالي يذهب إلى بيت سميرة ويشرب الشاي معها، يستأذن منها ويذهب إلى أبي شهد في المحافظة ليستلم كتاب تنسيب سميرة إلى مدرسة العزة الابتدائية في الجمهورية... ثم إلى محل الوالد فيجد سعود بانتظاره...

- خيراً سعود؟

- اسمع فلاح ، بعد غد عيد ميلاد سمر ، وبعثتني لأبلغلك ، وليس هذا وحسب وإنما لاصطحبك معي إلى الكويت ، والليلة نسهر أنا وأنت في العشار.

- وأين ستنام؟!

- سأحجز في أحد الفنادق.

- بل تنام عندنا اليوم حتمًا وإلا أزعل عليك.

- خلاص، لا تعمل لنا مشكلة من لا شيء.

يذهبان إلى أحد الملاهي الليلية ويتفرجان على العرض، رقص شرقي وطرب عراقي... ويعودان في منتصف الليل إلى بيت فلاح فينام سعود في غرفة فلاح وسميرة تقديرًا له... وفي الصباح بعد الإفطار يذهبان للكويت.

سمر تستقبل فلاح بحرارة في بيتهم وتشكره على تلبية دعوتها ، وتدعوه لجولة حرة في الكويت...

- سعود: أنا تعبان لا أستطيع مرافقتكما.

- عملت خيراً سعود، أنا وفلاح سنستخدم سيارتك.

سمر تقود السيارة إلى ساحل البحر ، توقفها في الجراج ويترجلان إلى الكازينو...

- حرارة الجو والرطوبة لا تطاق، لنسرع إلى الكازين.

يتخذان ركنًا ويجلسان ، تجلس بجانبه تمامًا ، تلتصق به كاشفة عن ساقيها الجميلتين ، وتضع يدها اليسرى خلف ظهره وتمسك بيدها اليمنى يده اليسرى وتضغط عليها بقوة...

- فلاح، حقيقي أنا أحلم وأفكِّر فيك كثيرًا، وليلة البارحة كنت فارس أحلامي، حلمت وأنا بعز النوم ، إنني أرتدي بدلة الزفاف البيضاء والإكليل ، وأنت ببدلتك الزرقاء الجميلة والقميص الأبيض الحرير والفيونكة السوداء المذهبة... أمسكتني بقوة وحنان وقبَّلتني ، ورقصنا رقصة كلاسيكية على أنغام الموسيقى الهادئة والكل يهنئوننا ويتمنون لنا الخير والسعادة... تمنيت أن يتحول الحلم إلى حقيقة.
- ولكنكِ تعرفينِ أن سميرة خطيبتي.
- بشرفك أسألك هل سميرة في مستواك ؟! وهل تستطيع معها تسلق سلم المجد أم تبقى تراوح في مكانك لسنين طويلة؟ الظاهر أنت غاوي فقر.
- ما هذا الكلام يا سمر ؟!... الحمد لله نحن بأحسن حال.
- عفوًا أنا أقصد تحتاج لقوة دافعة قوية لتسلق سلم المجد ، يجب أن تفهمني ، أنا بنت أمراء وأعني ما أقول... أرجوك أنت ذكي فكبِّر عقلك لتصل للمقام الرفيع الذي تستحقه.
- أنا أبحث عن السعادة وليس عن المادة ، وسعادتي مع سميرة لأني أحبها وهي تحبني.
- وأنا أحبك ويمكنك أن تحبني، والفارق بيني وبين سميرة واضح في كثير من الأمور أعتقد أنك تدركها وتفهمها... وممكن أنا وأنت أن نكون شيئا مهمًا بالمجتمع خلال فترة قصيرة... أرجوك أن تفكر جيدًا وتعطي الأمور حقها،

وعلى كل حال سأكون بانتظارك ولا أريد جوابًا منك الآن... غدًا مساءً عيد ميلادي وقد حجزنا قاعة مطعم كناري ، وفي الصباح سنذهب في رحلة بحرية وحدنا في يخت العائلة السياحي لمدة أربع ساعات جميلة.
تحرّك يدها على ظهره وكتفه وتداعب بأصابعها حلمة أذنه وتضع يدها على رجله وتحركها... يحاول أن يرفع يدها ولكنها تتعمد فتضعها على فخذها العاري وهي ممسكة بيده ، فيضطر للوقوف تحرجًا من الجالسين ولكي لا تتمادى أكثر.

يعودان إلى البيت ونظرة عتب في عيونها... فيستقبلهما الوزير أبو سعود وأم سعود ويدعونهما لمرافقتهما إلى مطعم كناري.

سمر وأمها تذهبان إلى الكوافير لتسريح شعرهما ووضع الماكياج المناسب للحفلة ، وتعودان للبيت ، سمر تلبس بدلة راقية جلبتها معها من لندن تكشف عن ظهرها وصدرها، فتغدو أميرة بحق، كل شيء مرسوم على أربعة وعشرين حبة.

يستقبلون المدعوين في المطعم الراقي ، والفرقة الموسيقية تعزف أحلى الألحان وأرقها ، وسمر تُعرِّف زميلاتها وزملائها بفلاح؛ ذلك الشاب الجميل الممشوق الطول، الحلو الملامح والابتسامة والحديث...

تعجب زميلات سمر بفلاح غاية الإعجاب...

- من يكون هذا الشاب الجميل المؤدب؟

- إنه صديق أخي سعود وزميله في الدراسة في الكلية، اسمه فلاح من العراق من مدينة البصرة.

تدعوهم سمر إلى رقصة جماعية على موسيقى هادئة، ترقص هي مع فلاح...

- مجتمعنا يا فلاح مثل مجتمعكم محافظ؛ ولكن في الأماكن الراقية مثل هذا المطعم هناك فسحة من الحرية والتطور الاجتماعي النوعي المقلِّد للحضارة الغربية، وخاصة العوائل الراقية صفوة المجتمع الكويتي، كذلك تتردد على هذا المطعم عوائل الهيئات الدبلوماسية في الكويت وعدد من السائحين.

تتوقف الموسيقى ويعودان إلى طاولتهما... تعاود الموسيقى ولكن بإيقاع سريع، فتتقدم إحدى الفتيات الجميلات من فلاح وتطلبه للرقص، يستعين بسعود وسمر ولكن دون فائدة، يعتذر منها بأدب جم ويعدها أنه سيطلبها للرقص لأنه الآن متعب قليلاً... سعود يسأله:

- لماذا لم تحولها لي يا فلاح؟

- في الحقيقة أنا لا أجيد الرقص السريع فاعتذرت، وإذا تحب أن ترقص معها تفضل.

- ولكنها اختارتك، وأخاف أن تخجلني إذا طلبتها.

- عندما يبدأ الرقص الهادئ أنا مضطر للرقص معها وسأرجوها أن ترقص معك.

تعود الموسيقى الهادئة ويستأذن فلاح من سمر وينهض فتنهض الفتاة الجميلة وترقص معه، وخلال الرقص يرجوها أن ترقص مع صديقه سعود... من هذا سعود؟؟ يؤشِّر عليه، فترفض العرض وتستمر بالرقص مع فلاح إلى أن تتوقف الموسيقى.

من جُملة المدعوين المطرب الكويتي عبد الله الرويشد الذي يغني أغاني جميلة ويدندن على العود... سعود يقول لسمر إن فلاح يجيد الضرب على العود وصوته جميل...

- هل هذا صحيح يا فلاح؟

- نوعًا ما صحيح، ولكن ممكن أن نغني في البيت مثلاً.

- الله يخليك حاول، إنه عيد ميلادي وهذه هديتك لي.

يتردد قليلاً، لكن مع إلحاح الحضور يتقدم سعود من الميكروفون ويقدم فلاح بأغنية من العراق الشقيق... فلاح يعرف بحكم إنه ابن البصرة أن الكويتيين يحبون غناء ناظم الغزالي ويطربون له، فيدندن بالعود ويغني موال لناظم الغزالي من أشعار إيليا أبو ماضي:

أيُّ شيءٍ في العيـــــد أهـــــدي إليـــــكِ
يـــــا مـــــلاكي، وكـــــلُّ شيءٍ لـــــديكِ؟
أســــوارًا؟ أم دملجـــا مـــن نضـــار؟
لا أحـــــبُّ القيـــــود في معصـــــميكِ
أم خمـــــورًا؟ ولـــــيس في الأرض خمـــــر
كـــــالتي تســـــكبين مـــــن لحظيـــــكِ
أم ورودًا؟ والـــــورد أجملـــــه عنـــــدي
الـــــذي قـــــد نشـــــقت مـــــن خـــــدَّيكِ
أم عقيقًـــــا كمهجتـــــي يتلظـــــى؟
والعقيـــــق الثمـــــين في شـــــفتيكِ
لـــــيس عنـــــدي شيءٌ أعـــــزُّ مـــــن الـــــروح

ويكمل بأغنية : (طالعة من بيت أبوها رايحة لبيت الجيران)... الجميع مسرورين فرحين يصفقون لفلاح ويطلبون المزيد... ولكن فلاح يشكرهم ويعود لطاولته، والبنات الجميلات تشجعنه على أغنية أخرى، فيعتذر.

- ما هذه المواهب يا فلاح ؟ كل يوم أكتشف فيك شيئًا جديدًا، الله الله، أطربتنا... أحلى فقرة بعيد الميلاد وأحلى هدية أغنيتك الرائعة هذه...

تحاول بعض الجميلات الحصول على رقم تليفونه، ولكن سمر تقف لهن بالمرصاد وتعتذر عوضًا عنه...

يعود الجميع إلى بيت سعود.

في صباح اليوم التالي تذهب سمر مع فلاح إلى اليخت في مرساه على ساحل الخليج وتطلب من القبطان فسحة بحرية جميلة باتجاه العراق. رغم حرارة الجو وأشعة الشمس الساطعة يتمتعان بالمنظر من على ظهر اليخت... بعدها بقليل يدخلان صالة اليخت المبردة وينعمان بالمناظر الجميلة من خلال الزجاج، وسمر تشرح لفلاح...

- هذه جزيرة وربة، وهذه جزيرة بوبيان التي يرغب العراق تأجيرها من الكويت.

- أتعرفين، إلى عهد قريب كنا بلادًا واحدة وشعبًا واحدًا، وكانت الكويت جزءًا من البصرة وكذلك عربستان، ولكن الاستعمار الإنجليزي لعب دورًا في تقسيم بلادنا.

- أنا درست التاريخ في المدارس الكويتية ، لا يذكرون ذلك أبدًا ولكني اطلعت في لندن على دائرة المعارف البريطانية ، فعلاً مذكور ذلك بالتفصيل...

- إذن نحن شعب واحد وأرض واحدة.

يقتربان من راس بيشة ومن مصب شط العرب في الخليج، ويشاهدان بساتين النخيل العامرة المحملة بعثوق الذهب.

- منذ فجر التاريخ وبلاد الرافدين أرض الحضارة والعطاء وسلة غذاء الخليج العربي.

- أنا أرتاح نفسيًا عندما أزور البصرة وشوارعها المظللة بالأشجار وغابات النخيل على جانبي شط العرب وفروعه الكثيرة، ومعجبة جدًا بمنطقة أبو الخطيب الرائعة الجمال ، بشوارعها الملتوية وكثرة أنهارها وقناطرها وجسورها ودائمًا أشتري حلاوة خوز المشهورة في البصرة، ويعجبني كثيراً شارع الوطني وسوق المغائز... وطالما نحن في إجازة سأزور البصرة كل يوم جمعة مع أبي أو أخي لأراك وأتمتع بالحديث معك...

في طريق العودة تقترب سمر من فلاح كثيراً وتضع وجهها بوجهه وتنثر شعرها عليه ليشم عطرها المميز، وتقبله وتضغط صدرها على صدره، فلاح محرج وفي نشوة، وسمر تكاد تذوب وتجر آهاتٍ عميقة:

- فلاح يجب أن تكون من نصيبي.

لا يجد كلامًا يرد به عليها ، إنه في حالة خدر وقد ضاعت الكلمات على شفتيه.

يعودان للبيت ويتناولان الغداء... أبو سعود يسلم فلاح أربعة عقود عمل جديدة لبنايات في مناطق آبار النفط المشتركة بين العراق والكويت في منطقة سفوان الحدودية ليسلمها لوالده لدراستها وتقديم عروض بها، علمًا لا يوجد منافس... فيشكره فلاح جزيل الشكر على اهتمامه.

- والدك صديقي الشخصي، وعروضه هي أرخص وأحسن العروض مع دقة وسرعة الإنجاز، إنه رجل أمين وصادق ودقيق وأنا أتباهى به أمام الجميع والرجل موضع احترام وتقدير الوزارة وكل اللجان العاملة في المبيعات والمقاولات.

ينطلق سعود وسمر وفلاح إلى البصرة لإيصال فلاح إلى محل والده وشراء بعض الحاجات والعودة قبل غروب الشمس... عرض عليهم فلاح المبيت عندهم ولم يوافقا.

سميرة عند زيارتها بيت فلاح لا تجده وتعلم بذهابه إلى الكويت دون علمها ، وأن سعود قد بات في غرفتهما وعلى فراشهما الذي لم يدشنته، تنزعج وتتألم وتغلق باب الغرفة وتجهش بالبكاء... ثم ترفع الشراشف والغطاء من على سرير النوم وتعطيها لأم فلاح:

- خالة، استخدموا هذه الشراشف للضيوف وسأشتري غيرها، لا أحب أن ينام على فراشنا شخص غريب مهما كان... وفي قرارة نفسها : (وخاصة هذا سعود وأخته سمر الذي ابتلانا بهمت الله، ولولا احترامي لعمي أبو فلاح والله لما وافقت على كل ذلك)...

- ابنتي سميرة هؤلاء أصدقاء عمك أبو فلاح ، وواجب علينا احترامهم وتقديرهم لأنهم ضيوف أعزاء.
- خالة على عيني وراسي ولكن ليس لهذا الحد أن ينام رجل غريب في غرفتنا.
- كان فلاح محرجًا ونحن عائلة كبيرة والغرفة فارغة... ابنتي الله يهنئكم أنتِ وفلاح ويقرب فترة زواجكم ونفرح بكم.

سميرة تتألم وينتابها الغيظ من فلاح وتعود للبيت موجوعة وقلبها يعصره الألم، وترقد في فراشها لا تتكلم ولا تأكل ولا تشرب... تلاحظها أمها دون أن تفصح عن أمرها، تمر ساعات ثقيلة على سميرة وأمها، وأمها تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تقنعها بشرب أو أكل شيء؛ لكن سميرة أصبح غذاؤها البكاء.

يأتي المساء أملاً بمجيء فلاح لزيارتهم، ولكنه لم يأتِ لانشغاله مع أبيه في الإطلاع على العقود الأربعة التي جلبها معه من الكويت.

يوم وليلة وسميرة مصرة على مقاطعة الطعام والشراب، والجو حار وجسمها بحاجة إلى سوائل، تخاف عليها أمها وهي في حيرة من أمرها لا تستطيع تركها وتذهب لبيت فلاح للاستنجاد بهم، ولا تستطيع ترك سميرة على حالها... تعاود الكرة عدة مرات لإقناعها بشرب الماء على الأقل ولكن دون فائدة.

فلاح هو الآخر عندما تقص عليه أمه زعل سميرة وامتعاضها من تصرفاته يزعل على سميرة، تسوء حالة سميرة مع مرور الوقت وتخور قواها البدنية، تقرر أمها أن تذهب لبيت فلاح فورًا ودون تأخير، تستأجر تاكسي ذهابًا وإيابًا وتتوكل على الله... ترحب بها أم فلاح:

- أين فلاح؟...

- مع والده في المحل.

- سميرة تعبانة.

ترافقها أم فلاح وتعودان إلى الجمهورية، فتجد أم فلاح سميرة في حالة مزرية ، فتلومها وتؤنبها على هذه الأعمال الصبيانية التي لا تليق بشابة مثقفة معلمة واجبها أن تعلم الناس... وتأتي بقدح ماء وتجبرها أن تشرب الماء على الأقل لكي لا تصاب بالجفاف... تستجيب وترتشف جرعة من الماء، وتعمل لها عصير برتقال، وتطلب من أم سميرة أن تعمل لها شوربة لتسترد عافيتها، وشيئًا فشيئًا تنهض من الفراش وتدخل الحمام لتستحم وتغير ملابسها وتجلس معهما...

عند العشاء يأتي أبو فلاح وفلاح وصباح إلى بيت سميرة للاطمئنان عليها، فلاح لا يسلم عليها ولا يقول لها الحمد لله على السلامة، ويترك البيت ويخرج غاضبًا دون أي استئذان يتبعه أخوه صباح، أم فلاح وأبوه يطمئنان على سميرة ويطلبان منهم الذهاب معهم، في البداية تتردد سميرة ولكن أم فلاح تقنعها، يذهب الجميع ولكنهم لا يجدون فلاح في البيت ويخبرهم صباح أن فلاح سافر إلى بيت أجداده في العمارة، تصاب سميرة بخيبة أمل وتود العودة إلى بيتها، لكن أم فلاح تعالج الأمر بهدوء...

- ابنتي سميرة.. أنتِ فتاة كبيرة وعاقلة وهذا الذي تفعلينه قلة عقل، المرأة العاقلة لا تخرب بيتها على أبسط الأمور، والزعل عيب ويخشن الخاطر... أنا تزوجت أبا فلاح منذ اثنتين وعشرين سنة، ولم أزعل يومًا واحدًا وأترك بيتي... أنتِ وفلاح في فترة الخطوبة لا يصح الزعل ولا يجوز... المرأة يجب

أن تكون صبورة، وكما قال أهل الحكمة والعقل (المرأة أكثر من الرجل صبراً وحياءً وأدبًا)... أنتِ فتاة خجولة ومؤدبة، ولكن ينقصك الصبر على الأمور، لأن العقل بالصبر، والصبر مفتاح الفرج يا ابنتي الغالية...

- خالة؛ أنا فلاح عندي مثل الهواء والماء، هو حياتي كلها، فهل يستطيع أي إنسان أن يستغنى عن الهواء والماء، أنا بأي حال أنتِ لا تعرفين ما أعاني من هذا الصبر... أنا كل يوم يمر عليَّ على فراق فلاح أحسب ساعاته ساعةً ساعة...

تنام سميرة بغرفتها وتضع صورة فلاح معها في الفراش وتنام... يعود فلاح إلى البيت في اليوم الثاني فيجد سميرة في غرفتهما... يحضنها ويقبلها ويعتذر منها وتعتذر منه وتعود المياه إلى مجاريها دون تدخل أحد...

- اسمعيني سميرة؛ أمامنا أكثر من سنتين دراسة بعدها أنا سأنسب للعمل في أحد مؤسسات الدولة ، فإن كنا نزعل من هكذا أمور بسيطة فكيف سنعيش العمر سعداء.
- أنا زعلت وتألمت لأنك سمحت لرجل غريب أن ينام في فراشنا ويستخدم غرفتنا، ولأنك سافرت دون أن تخبرني بذلك.
- والله كنت مجبراً على ذلك، المهم سامحيني وهذه قبلة الاعتذار...

تبتسم سميرة

- هل هذا ما يسميه الناس دلع البنات؟
- أنا إذا لم أتدلع عليك فعلى من أتدلع يا حبيبي؟.

(٢٣)

ينشغل فلاح مع أبيه في تنفيذ عقود العمل ويتردد على مواقع العمل على الحدود ، وأحيانًا يقضي اليوم كله في المواقع ، وأحيانًا يكلِّف أخاه صباح بالذهاب... تُنفذ العقود خلال فترة شهر تقريبًا على أحسن ما يكون، ويستلم أبو فلاح كتاب شكر وتقدير من وزارة النفط الكويتية على سرعة ودقة الإنجاز... يجردان المواد المصروفة وأجور العمل ومقارنتها بمبلغ العروض الأرباح ممتازة، يفرحان بما تحقق من أرباح خلال شهر واحد ويطمحان في الحصول على المزيد.

أبو شهد يزور أبا فلاح في محله ويرجوه أن يأتي غدًا برفقة فلاح للمحافظة لزيارة المحافظ أبي كرم...

في صباح اليوم التالي فلاح وأبوه في المحافظة يرحب بهما أبو شهد ويصحبهما إلى أبي كرم، الذي يرحب بهما أجمل ترحيب.

- أبو فلاح نود أن نكلفك بتأسيس كافة الكهربائيات وتجهيز البناية الجديدة للمحافظة بكافة الأجهزة الكهربائية وهذا عرض مفتوح دون منافس لثقتنا بك وبأمانتك... تذهبون مع أبي شهد لتوقيع العقود والتوكل على الله ، أملي إنجاز العمل خلال فترة ثلاثة شهور من تاريخ توقيع العقد.
- سعادة المحافظ أنت تؤمر.
- ما أمر عليك ظالم... أنا يكفيني أن تناديني "أبو كرم" لأننا أصبحنا أصدقاءً وأهلاً، وأنا أعتبر فلاح مثل ولدي.
- تسلم وتعيش أبو كرم كلك خير وبركة.

يستلم فلاح من أبي شهد العقود لدراستها ويعده بإعادتها خلال يومين لتوقيعها والبدء فورًا بالعمل...

بعد يومين يأتي بالعقود إلى أبي شهد وفي باله أن يكلمه بأمر هام ولكن ليس في الدائرة لأن الحيطان لها آذان... يرجوه أن يلتقي به في كازينو ١٤ تموز...

- ما الأمر المهم يا فلاح؟.

- أبو شهد العزيز: كلفني والدي بهذه المهمة الصعبة... تعرف أننا نحقق أرباحًا جيدة من هذه المقاولات، ولا أعرف وعذرًا منك؛ هل ترغبون بحصة من هذه الأرباح.

يبتسم أبو شهد ويربت على كتف فلاح...

- طبعًا لا... أولاً لأننا نود لكم الخير كله، وثانيًا أسعاركم يا فلاح أقل بكثير من كل العروض التي تُقدِّم لنا بحيث أصبح عندنا ثقة بكم وبأسعاركم التي لا يستطيع أي مقاول منافستها... التدقيق المركزي يصدِّق على العقود بسرعة بسبب قلة أسعاركم وسرعة ودقة الإنجاز عند مقارنتهم عقود محافظتنا ببقية عقود المحافظات... يعني أنتم أصحاب الفضل والجميل، وأرجوك ومع احترامي لأبيك لا تكرر مثل هذه الأفكار لأننا نتمنى لكم كل الخير... والآن مع السلامة فلاح لأنه عندي اجتماع.

فلاح يبشِّر أباه بما قاله له أبو شهد، ويشكر الله على فضله ويطلب من فلاح دعوتهما إلى نادي الميناء تقديرًا لهم...

- مثل هذه الأمور - يعني العلاقات العامة - تتكفلان بها أنت وسميرة، وبعد

سفرك سميرة وصباح، وعليهما أن يتعلما من الآن وصاعدًا لأننا سنتوسع كثيراً في أعمالنا.

فلاح يتفق مع أبي شهد على دعوتهما مع عوائلهما يوم الخميس في نادي الميناء... يلتقون ويتعرف الجميع على سميرة خطيبة فلاح وتقدم أم كرم وأم شهد هدايا إلى سميرة بمناسبة الخطبة ويتمنيان لهما السعادة... سميرة تفرح باللقاء بمثل هذه العوائل الراقية، وهذا النادي الجميل الذي يضم النُخب البصرية من هذه العوائل المثقفة.

المشكلة لا يقبل النادل أن يستلم الحساب من فلاح بإشارة من أبي كرم... فلاح يرجوه لأنه صاحب الدعوة، هنا يتدخل مدير النادي ويقول الدعوة على حساب النادي لأن أبا كرم وأبا شهد أفضالهما كثيرة على النادي، وأنت يا أستاذ فلاح ضيفنا العزيز على الرحب والسعة... أنتم جميعًا شرفتونا وآنستونا وأهلاً وسهلاً بكم بأي وقت، وأبواب النادي مشرعة لكم.

فلاح يفكر بضرورة دعوة أهل سعود لهذا النادي ليروا بأم أعينهم البصريين وتطورهم وثقافتهم وعلاقاتهم الاجتماعية الحميمة.

يعودون إلى بيتهم وسميرة تنام عندهم في غرفة الزواج، وفلاح ينام في غرفته، فلاح يفكر ويتردد: هل من الممكن أن يتسلل إلى غرفتهما ويتمدد بجانب سميرة؟... وماذا سيكون رد فعل سميرة هذه المتشددة المحافظة التي أحيانًا تبخل عليه بقُبلة خاطفة، إنها تعيش بعقلية أمها وأمي، إنها من الجيل الماضي متمسكة بالقيم والعادات والتقاليد التي تجاوزتها كثير من الأُسر البصرية على الأقل... ولكنها سميرة، متمسكة ولا يمكن إقناعها... مع هذا فلاح يدعوها للجلوس معًا في صالة الضيوف لتجاذب أطراف الحديث... تنهض سميرة وتغسل وجهها...

- أتعرفين أنتِ بدون ماكياج عندي أحلى.
- خلاص لن أستخدم الماكياج بعد الآن كما تحب يا فلاح، أنت تريحني من مهمة صعبة.
- اتفقنا، ما عدا أحمر الشفايف الخفيف وبعض العطور.
- فلاح...
- يا روح فلاح.
- حبيبي لماذا لا نتزوج ونخلص من هذا العذاب؟.
- للمرة المائة أقول لكِ أنا ملزم بعقد لا يجوز أن أتزوج وأنا طالب.
- نعم والله تذكرت ذلك... آسفة حبيبي.
- هل عندك مانع أن ندعو بيت سعود يوم الخميس القادم في نادي الميناء؟.
- لا والله، ولكني أحيانًا أغار من هذه سمر، أرجوك لا تجاملها أكثر من الحد المطلوب وتغيظني، إنها فتاة جريئة ومتحررة زيادة عن اللزوم.
- كذلك يجب عليك أن تتحرري ولو قليلاً من بعض القيود التي فرضتِها على نفسك.
- يجب أن أحافظ على نفسي، هذه عادات زرعها أهلنا في نفوسنا، ولكني بعد الزواج سأنفذ كل ما تطلبه مني وأعدك أن تجدني سميرة المتحررة المتطورة التي تليق بحبيبها فلاح... اطمئن من هذه الناحية... أنا أشعر وأحس بك فأرجوك أن تتحملني وتسامحني.
- تصوري سميرة فكرت أن أتسلل وأنام معك في السرير ولكني لم أعرف رد فعلك فخفت وترددت واكتفيت بلقائنا هذا.

- أن أتمنى ذلك ولكني متأكدة أنك لا تفعلها لأني حبيبتك وسُمعتي من سمعتك.

- صدقتِ وسامحيني لأني مجرد فكرت بذلك، والآن إلى النوم... تصبحين على خير.

يقترب موعد انتهاء العطلة الصيفية وفلاح مشغول بين أهله وسميرة وبيت سعود والمحل وتنفيذ العقود... لحد الآن لم يزر صديق الطفولة سلام ولا صديقتهم جانيت التي تعتب على فلاح الذي لم يمر على بيتها للسلام عليها رغم كثرة مجيئه لبيت سميرة المجاور لبيتهم.

في مساء اليوم التالي وبعد عودته من محل والده يذهب إلى الجمهورية ملعب الصبا والشباب ويزور أولاً سلام الذي يفرح برؤيته، ويذهبان للسوق للسلام على ناصر أبو الباقلاء وفهد أبو الدوندرمة وبلاسم أبو الكبة الذين لم يطوروا إمكاناتهم وظلوا كل هذه السنين على حالهم، ولكنه لا يملك الوقت للذهاب إلى معمل الثلج للسلام على أبي منقذ محاسب المعمل... بعدها يعود إلى سميرة ويذهبان لزيارة جانيت التي ترحب بهما أجمل ترحيب وتتمنى لهما الزواج والسعادة.

يوم الاثنين صدفة يأتي سعود للمحل لشراء بعض الحاجيات الضرورية من سمك ولحم ودجاج وخضراوات طازجة من أسواق البصرة لكون أبوه وجه دعوة لعدد من الوزراء في بيتهم احتفالاً بافتتاح أكبر حقل نفطي في الكويت...

فلاح يستغل الفرصة ويدعو عائلة سعود مساء الخميس للسهرة في النادي وعليه أن يقنع والده والعائلة بالمجيء... فلاح وسعود في مطعم الخيام

يتناولان الغداء على وجه السرعة، ويودع فلاح صديقه سعود لكي لا يتلف المسواق بسبب حرارة الجو رغم أن سعود يضعه داخل السيارة ويشغل التبريد عليه.

يوم الخميس يأتي أهل سعود كلهم؛ وطبعًا معهم سمر؛ في الرابعة مساءً ويذهبون إلى كازينو العوائل على شط العرب، سمر معجبة جدًا بمنظر غابات النخيل على الجانب الآخر من شط العرب، وتلعب قليلاً مع القردة الموجودة في الكازينو، سمر لا تكلم سميرة ولا تحب صداقتها، إنها تتجاهلها رغم أنها برفقة فلاح في استقبالهم وتقديم الخدمات لهم باعتبارهم ضيوف أعزاء... سمر لا تطيق سميرة لأنها تنافسها على حبيب القلب فلاح.

في السادسة يتوجهون لنادي الميناء الراقي... يستقبلهم مدير النادي ويرحب بهم أجمل ترحيب، فلاح ينظر في ساعته لأنه وجه الدعوة إلى أبي كرم وعائلته وأبي شهد وعائلته لغرض التعارف وردّ شيء من الجميل.

سمر تندهش من روعة الحدائق وحسن تنظيمها وكثرة أنواع الورود وطيب شذاها وجمال ألوانها، تنظر بعين فاحصة إلى المجتمع البصري والعوائل البصرية الراقية، فترى أنهم بمستوى العوائل الإنجليزية في هدوئهم وقيافتهم وأدبهم... في هذه الأثناء تصل عائلة أبي كرم وعائلة أبي شهد، فتتوسع الجلسة بإشراف مدير النادي ويخصص اثنين من الندلاء للخدمة لهم، ويوصي مسؤول البار والمطعم الاهتمام بطلباتهم وسرعة تلبيتها... فلاح يقدِّم أبا كرم وأبا شهد للسيد الوزير وسعود للتعارف، أبو كرم يشكر فلاح على هذا التعارف الجميل، ويبدي سعادته بالتعرف على وزير الطاقة الكويتي لأن

هناك كثيراً من الأمور المشتركة بين الشعبين العراقي والكويتي ، وهناك علاقات طيبة بين أهل البصرة وأهل الكويت لأن الحدود تكاد تكون شبه مفتوحة للكويتيين على مدار الأيام.

- شيء جميل أن نتعرف بالسيد الوزير لسهولة تنسيق الأمور وحل الإشكالات التي تطفو على السطح، خاصة يومي الخميس والجمعة لكثرة الزوار وما يحصل لعدد منهم في الملاهي والمطاعم السياحية ومشاكل آخر الليل.

إنها سهرة من العمر...

يذهب فلاح لدفع الحساب فيتفاجأ أن أبا كرم قد دفع الحساب كاملاً... فلاح لا يستطيع التحدث بالموضوع أمام الضيوف فيستغل فرصة ذهاب أبي شهد للحمامات ويتبعه ويعاتبه...

- فلاح ، لا تتعب نفسك طالما أنت معنا فأنت ابننا العزيز ويكفيك أنك عرَّفتنا على السيد الوزير، وأرجوك تجاوز هذا الموضوع لأنك ضيف عزيز علينا... متى ما تتخرج وتستقر في البصرة نسمح لك أن تدعونا على حسابك الخاص، أما الآن فأنسَ الموضوع...

أبو كرم يسأل السيد الوزير عن منامهم...

- أبو كرم العزيز حجزنا في فندق حمدان مقابل المحافظة... يتصل أبو كرم بمدير الفندق ويطلب أن يسكن عائلة السيد الوزير الكويتي في السويتات المخصصة لضيوف المحافظ المهمين وضرورة العناية بهم وتقديم أفضل الخدمات... أبو سعود يشكر أبو كرم على هذا التقدير والاحترام ويرجوه أن يجملوه بزيارة إلى الكويت

فلاح مازال مشغولاً بالتفكير بين اهتمامه بالعمل في محل والده وتنفيذ المقاولات وإرضاء سميرة والعناية بها والتنسيق مع أبي كرم وأبي شهد صديقيه العزيزين، ومع بيت أبي سعود وسمر التي تلح في قربها منه ومحاولة إقناعه بحبها والتخلي عن حبيبته وخطيبته سميرة، مستغلة مكانتها الاجتماعية وتحررها وشخصيتها القوية وأنها أفضل من سميرة في هذه الجوانب، ويتذكر سهى التي تحبه وتموت فيه واستعدادها للتضحية بأي شيء في سبيل إرضائه وكسب وده، ويتذكر ندى وعدم حضوره دعوة عيد ميلادها بسبب السفر إلى أهله... ويخرج ورقة فاتن ابنة خالة صديقه سعد... وكيف دمرت ندى حياتها بقرار خاطئ مع أحد المقاولين الليبيين...

أفكاره مشوشة، لكن قلبه يحب بإخلاص وتفانٍ سميرة... هذه حقيقة لا جدال فيها، كل شيء ممكن إلا سميرة، لأنها بالنسبة له ملاك طاهر نقي صادق أمين، إنسانة بسيطة متواضعة تحبه ويحبها من فترة الصبا والشباب، وما عداها لهو وطيش شباب وأمور فرضتها ظروف الغربة ومصلحة العمل لتقديم العون والمساعدة لوالده، ويردد مع نفسه قول الشاعر:

نَقِّــلْ فُــؤادَكَ حَيــثُ شِــئتَ مِــن الهَــوى
مــــا الحُــــبُّ إلاّ للحَبيــــبِ الأوَّلِ
كَــمْ مَنْــزِلٍ فِي الأَرْضِ يألفُــهُ الفَتَــى
وحَنِينُـــــهُ أَبَـــــداً لأوَّلِ مَنْـــــزِلِ

سميرة يجب أن تذهب لمدرستها في عمق هور الحمار لتحصل على الانفكاك وبراءة الذمة وجلب حاجياتها من بيت المعلمات هناك... فلاح يستعين بأبي شهد مدير التحرير فيسهِّل عليه الموضوع، يتصل بمدير ري المحافظة ويطلب منه تأمين مركب سريع للذهاب والإياب بنفس اليوم إلى مدرسة سميرة القريبة من سوق الشيوخ.

- أستاذ أبو شهد غدًا ننطلق في التاسعة صباحًا من قضاء المدينة وسأنتظرهم بسيارتي في باب المحافظة في الثامنة والنصف، سيارتي بيضاء بيكب دبل قمارة (سيارة حمل طن واحد).

يصلان المدرسة في الثانية عشر ظهرًا، ويذهبان إلى بيت المديرة في نفس المنطقة، فتجري لهما اللازم.. تحدث مشكلتان في آن واحد: الأولى عطل المركب بسبب ميكانيكي مما يضطر المهندس الذهاب للناصرية لجلب مادة احتياطية (فيت بمب) مضخة وقود، ومقتل صاحب معمل طحين الناحية واسمه نيازي بسبب مروره من بين قايشات المكائن والتفاف صايته بأحد القايشات الدوارة الذي سحبه إلى الدولاب الطيار ليثرمه إلى قطع متناثرة، قُتل نيازي الرجل المعروف ورئيس أكبر عشيرة في المنطقة... عشرات البنادق والرشاشات ترمي العتاد الحي بكل اتجاه وبشكل عشوائي كعادة متوارثة عند أهل الأهوار وعشائر الجنوب في المناطق النائية.

فلاح وسميرة مرعوبان من كثافة الرمي، ويحتميان في بيت مأمور مركز الشرطة المجاور لبيت المعلمات، فيحاولون تهدئتهما:

- تعرفان هذه عادات العشائر هنا وأحيانًا بسبب سوء استخدام السلاح والرمي العشوائي يسقط ضحايا وتحدث مشاكل كبيرة ومعقدة بسبب ذلك

، لم تنفع معهم كل وسائل الإقناع والترغيب وكذلك لم تفد وسائل التهديد والوعيد، ولا قدرة لمركزنا البسيط على ردعهم، أولاد صاحب المعمل نيازي يتهمون مفتش التموين الذي يكرهونه ويرغبون الانتقام منه لأنه دائمًا يحاسبهم على نقص الوزن ورداءة الطحين.

قاضي التحقيق القادم من الناصرية على وجه السرعة للتحقيق بالموضوع يحقق في مقتل نيازي... موظف التموين قال إنه رأى نيازي يمر من خلال القايشات وأن صايته (جلبابه) التف بإحدى القايشات الذي سحبه إلى الدولاب الطيار الضخم الذي قطعه إربًا إربًا... أولاد نيازي ادعوا أن موظف التموين دفع والدهم بين القايشات وتسبب في قتله متعمدًا... القاضي طلب من أولاد نيازي إحضار شهود عيان... تقدم شاهدان، وبعد أن وضع كل منهما يده اليمنى على المصحف وأقسم: والله العظيم أقول الصدق والحق كله، شهدا بما لقنهما أولاد نيازي بالترغيب والتهديد.

موظف التموين من أهل المنطقة ويعرف عاداتهم وأن الناس البسطاء عندهم استعداد للقسم بالله كذبًا وزورًا، ولكن ليس عندهم استعداد أن يقسموا كذبًا بسيد يوشع الذي له مقام في الناحية، والكل يزوره ويتبرك به ويقدم له النذور والأضاحي، ولهذا يبادر موظف التموين ويطلب من القاضي أن يقسم الشهود بسيد يوشع لأنهم يخافون منه ولا يخافون من الله...

- سيدي القاضي، أنا من أهل المنطقة وهؤلاء أبناء عشيرتي وأعرف عاداتهم وإيماناتهم...

- هذا القسم الشرعي والرسمي ، ولا حق لي أن أطلب منهما القسم كما تحب أنت.

موظف التموين يلح على القاضي ويرجوه، فيقول له:

- أنت اطلب منهما هذا القسم إذا وافقا أن يقسما.

موظف التموين في مواجهة الشهود:

- أقسما بسيد يوشع أنكما رأيتماني أدفع نيازي تحت القايشات.

فردًا على الفور:

- وحق سيد يوشع أنت بريء.

يقتنع القاضي ببراءة موظف التموين ، ويعيد التحقيق مع الشاهدين فيعترفان أن أولاد نيازي وعدوهما بمبلغ من المال إذا شهدا زورًا وأملوا عليهما ما يريدون، فشهدا مضطرين كذبًا وزورًا... لكن ليس لديهما استعداد أن يحلفا كذبًا بسيد يوشع لأن هذا السيد مبروك ويخافان منه.

القاضي يأمر بإطلاق سراح موظف التموين ، ويسجِّل الحادث قضاء وقدر ويغلق التحقيق ويطلب من مأمور المركز إلقاء القبض على أولاد نيازي الذين هربوا.

سميرة وفلاح مندهشان مما يشاهدان ويسمعان ، سميرة تنام في بيت المعلمات لإتمام جمع حاجاتها ، ومأمور المركز يطلب من فلاح أن ينام عندهم رغم أنه شقيق سميرة لأن المجتمع هنا لا يرحم.

يجلسان على حافة الهور يتسامران حتى ساعة متأخرة من الليل يستعرضان فيها أيام الشباب والدراسة وسنين الفراق والعذاب ، فلاح يدندن ويغني لسميرة بصوت منخفض، وسميرة في نشوة وحلم ترجو من الله أن يطول

الليل إلى ما لا نهاية... لكن جيوش النهار بدأت تهزم جيوش الليل وتتغلب الشمس على القمر وينبلج الفجر ، فينادي عليهما مأمور المركز بالعودة للبيت لتناول الإفطار، ويخبرهما أن مهندس الري اتصل بالمركز وأنه قادم في أول سيارة إلى الناحية... يصل المهندس ويصلح المركب ويودعان المديرة والمأمور وعائلته ويسلم فلاح على سيد عكلة الذي يعاتبه لأنه لم يخبره بقدومه إلى المنطقة، فيعتذر فلاح منه...

يعودان إلى البصرة بالحفظ والصون ويشكران مهندس الري على تعبه معهم.

• • • •

لم يبق من الوقت على سفر فلاح إلا ثلاثة أيام ويعاتب نفسه أنه كان مع سميرة في خلوة وفي بيتهما وحدهما، لماذا لم يجرؤ حتى على تقبيلها ؟ لها شخصية قوية وهو يقدرها ويحترمها ويهابها ويعتبرها شيئًا مقدسًا... ثم أنها ملتزمة بمكارم الأخلاق وبالطهارة وسمو الروح ونقائها ولو على حساب صحتها وراحتها النفسية ، ولديها قدرة عجيبة على التحكم بعواطفها وأشواقها عكس سهى تمامًا...

- يبدو أنني تعلمتُ كثيراً من سميرة في ضبط النفس والتحكم بالعواطف ولكن مع هذا أحيانًا يفلت زمام الأمور مني وأنا أستغرب منها وكيف لها قدرات خارقة ، أحيانًا أخاف من نظرتها التي تدل على قوة شخصيتها فأستحي منها وأحس كأنها إله من آلهة أيام زمان يجب عبادته وطاعته وتنفيذ ما يطلب وما يريد.

يلتقيان في بيتهما، وينفردان في صالة الضيوف...

- بعد غدٍ أسافر، سعادتي أن أراكِ سعيدة وقد استعدتِ صحتك كاملة.
- أنا لا أعاني من مرض عضوي لأني راجعت عددًا من الأطباء الاختصاصيين وبعد سلسلة من التحاليل والفحوصات والأشعات أكدوا لي أنه ليس هناك مرض عضوي... لكني أعاني كما قالوا من حالة نفسية سموها الخوف من المجهول.
- وهل أنا يا سميرة المجهول؟!
- طبعًا لا.
- هل المستقبل أمامك مجهول؟!
- يمكن نعم ويمكن لا.
- ماذا تقصدين؟
- أنت رجل ذكي وتفهم الأمور على الطائر، أنا فتاة ربطت مستقبلي وعمري وحياتي بك، وأنت لديك طموح كبير وتحاول الحصول على كل شيء مرة واحدة؛ الحصول على حبيبة وعلى شهادة عالية وعلى تطوير إمكانات أهلك، والاحتفاظ بصداقات قسم منها أنا لا أحبها ولا أرغبها... أنا حبي وإخلاصي لهذا الحب يدفعني للقبول بما تحب وترغب.
- الحصول على الشهادة أمر ضروري لمستقبلنا وسعادتنا، وتطوير أهلي واجب مفروض علي، رضا الله من رضا الوالدين، أما الصداقات فأعتقد تقصدين سمر.
- نعم صحيح أقصدها لأنك غير مجبور عليها خاصة بعد أن أظهرتْ تكبرها عليَّ أمامك وأنت ساكت عنها، والله يعلم صداقاتك في القاهرة رغم ثقتي المطلقة بك لأني على قناعة أنك تحبني كما أنا أحبك.

- والله يا سميرة لك الحق في هذا وأرجو السماح والمعذرة وأرجو أن تغفري لي أخطائي وزلاتي يا ملاكي.
- بعد غدٍ سألتحق بمدرستي الجديدة "العزة الابتدائية للبنات" في الجمهورية وكل ذلك تم بفضلك وبمساعدة صديقيك أبي كرم وأبي شهد اللذين أحترمهما وأقدرهما ، وكما وعدتك أنا مضطرة أن أصبر وسأكون عند حسن ظنك بي ، المهم نتواصل بالرسائل وضروري في كل عطلة تأتي بزيارتي لأطمئن عليك.. أما حالتي النفسية فهو نوع من الخوف والقلق لا أقدر عليه، أرجو أن تسامحني وتقدِّر معاناتي يا غالي.
- المهم غدًا تأتون عندنا إلى البيت من الصباح وتنامون عندنا، يجب أن أراك طول النهار وحتى لحظة الوداع... سميرة، هل أستحق قُبلة الوداع؟
- نعم تستحقها

قُبلة خاطفة.

- اسمحي لي الذهاب لأبي لإكمال بعض الحسابات قبل السفر.
- مع السلامة، وإلى لقاء غد.

صباح اليوم التالي سميرة وأمها وأخواتها في بيت فلاح... يرحب بهم هو وأمه ويستأنسان بزيارتهم... ينفرد فلاح بسميرة كالعادة في غرفتهما لتنظيفها وترتيبها رغم أنهما لا يستخدمانها عمليًا، ويمنيان النفس بقرب زواجهما وأنه فات الكثير ولم يبقَ إلا القليل وعليهما مواصلة الصبر... سميرة تسأل فلاح:

- وحق حبنا أن تصدقني القول؛ أنت في البصرة لفترة محدودة في إجازتك وأنا موجودة ولك أحبابك من البنات مثل سمر وغيرها، أنا قلبي يقول لي إن لك علاقات مع فتيات في القاهرة، لأنك حال ومال وجمال.

- هل ضروري أن أجيبك على سؤالك هذا؟
- إذا ممكن.
- والله لا أحب أن أكذب عليك ولا أحب أن أزعجك، ولكن كل الذي أحب أن أقوله لك أني والله وحياتك مخلص لحبنا وليس هناك في القلب غيرك؛ فاطمئني وثقي بحبيبك فلاح.
- خلاص، لا أريد إحراجك ولكن قلبي دليلي.
- لنخرج إلى العشار مركز المدينة في فُسحة، وبالمرة أودِّع أبا كرم وأبا شهد وأشكرهما على تنسيبك في مدرسة العزة... كذلك نمر على النجار لاستلام عربة التقديم الصغيرة التي وعدنا بها كهدية مع الأثاث، وأحب أن أشتري لأمي وأمك قطعتي قماش على ذوقك أنتِ تقدميها لأمي وأنا أقدمها لأمك... أما أنتِ فكل هداياك من القاهرة.
- والله أنت مكفي وموفي وزيادة، أنا دولابي في بيتنا الصغير قد امتلأ على الأخر مما اضطرني إلى خزن الجديد منها في الدولاب الكبير في غرفتنا في بيتكم... صحيح أنا أفرح بهداياك، ولكن خفِّف من كثرتها لأنه لا مجال عندي لخزنها، كذلك أنت تعرف أن الموديلات تتغير مع الوقت، ونحن أمامنا ثلاث سنوات طويلة.
- المهم عندي أن تلبسي وتفرحي وتتباهي أمام أهلك وزميلاتك.

عند تناول وجبة الغذاء في مطعم الخيام وزياتهما لمحل أبي فلاح وتصفية بعض الحسابات ؛ يذهبان إلى كازينو العوائل يجلسان في الصالة يشربان الشاي، فيتفاجآن بدخول سمر وسعود... يرحبان بهما، تجلس سمر بجانب فلاح وتسلم عليه بحرارة وتدعوه لزيارتها في لندن، وتشجعه على إكمال

دراسة الماجستير في إحدى جامعات إنجلترا ، وفرصة أن يواصل الدراسة ويستمر بها ويحافظ على الهمة والاستمرارية لأنها حال حصولها على البكالوريوس في الطب ستستمر بالحصول على شهادة الاختصاص في جراحة التجميل...

سميرة تتضايق من كلام سمر ومقترحاتها المقصودة... تستأذن وتمشي في الحديقة على الساحل تنظر إلى غابات النخيل وترجو من الله أن يخلصها من سمر وغلاستها.

- الحمد لله فلاح سيسافر إلى القاهرة وسمر إلى لندن، والله لولا خوفي من زعل فلاح وعمي أبو فلاح للقنتها درس في الأدب واحترام مشاعر الناس لن تنساه ما عاشت ، ولكن الأمور محظورة وغدًا يسافر فلاح ولا أحب إزعاجه بسبب هذه التافهة المستهترة... أنا أستغرب من هذا السخيف سعود الذي يدلل أخته وهو يعرف ميلها واستلطافها فلاح كبائعة من بائعات الهوى التي نشاهدها في قصص الأفلام المصرية... رجال أخر زمن.

يتناولون الغداء في الكازينو ، سميرة مازالت تضرب أخماسًا بأسداس في حديقة الكازينو رغم حرارة الجو، لأنها لا تحب أن تنظر إلى سمر ولا تحب أن تسمع صوتها... عند المساء يستأذن سعود وسمر بالعودة إلى الكويت فتتنفس سميرة الصعداء وترد سلامهما بإيماءة من يدها، يعاتبها فلاح فترد عليه إنها لا تطيق هذه سمر ولا تحبها أبدًا لجرأتها ولتعمدها جرح شعورها لأنها عديمة الحياء والأصول، لكن أنتم الرجال أمركم غريب لا تصدقون أي فتاة تتقرب منكم إلا والتصقتوا بها... أنا أعد الساعات والأيام والليالي وجنابها الكسيف تقول لك أكمل دراسة الماجستير واستمر في الدراسة... على

عيني ولكن بعد الزواج وبعد أن تستقر ويكون لنا بيت وكيان ونؤسس عائلة ممكن كل شيء، أنا أفرح لك بالخير كله يا فلاح وأتمنى لك أعلى الشهادات وأعلى المناصب.

يعودان للبيت مع أبي فلاح وصباح ويجلسون حول سفرة العشاء، بعدها يشربون شاي أم فلاح المهدر على موقد الفحم ورائحة الهيل يشمها الجميع وتعطر أفواههم... ثم يأتي دور الحلويات التي جلبها أبو فلاح من محلات الخيام، يملأ فلاح طبق حلويات ويشير إلى سميرة أن تتبعه إلى الصالة لإكمال السهرة وحدهما.

في صباح اليوم التالي يودع فلاح الجميع ولكنه لا يجرؤ على طبع قبلة على خد سميرة تهيبًا من أهله وأم سميرة وأخواتها.

(٢٤)

يصل فلاح القاهرة على طائرة الخطوط الجوية العراقية فيجد سهى والسائق صابر بانتظاره في المطار ، فيستغرب من وجودهما وكيف عرفا موعد وصوله... تخبره سهى أنهم يتصلون كل يوم أربعاء بحركة الطائرات ويتأكدون من اسمه في قائمة المسافرين، إلى أن عرفوا أنه ضمن قائمة أسماء هذه الرحلة ، فقرروا المجيء لاستقباله والترحيب به... لا تستطيع تقبيله أمام صابر خجلاً ولكنها تشد على يده بقوة وتنزل دمعات ساخنة على خديها وخطوط كحل سوداء يساعدها فلاح بمسحها... تذهب للحمام لغسل وجهها واستعادة رباطة جأشها وهدوئها... ويعود بهما صابر إلى فندق مونتانا ، وحالما تختلي معه في الغرفة تحتضنه بقوة وتقبله قبلة تفرغ بها ثلاثة أشهر من الفراق وما رافقها من الشوق والحنين والألم.... يدخل الحمام للاستحمام، تحاول الدخول ولكن الباب مغلق من الداخل... تنتظر بفارغ الصبر خروجه من الحمام بالروب، تحتضنه وتشمه وتقبله عدة قبلات علَّها تشفي غليلها منه وتريد المزيد ، وهو يهدئها ويمسح على ظهرها وعلى خدها وشعرها فتجلس على حافة السرير ويجلس بجانبها...

- حبيبي مرَّت عليَّ أيام الإجازة ثقيلة كل يوم أدعو الله أن تنتهي هذه الأيام الصعبة ونلتقي... واليوم حقق دعائي واستجاب لرجائي إنه سميع مجيب.

سهى محملة بالهدايا لفلاح وأهله وخاصة إلى سميرة وأم سعد العزيزة... تأخذه لغرفتها وتفتح حقيبة الهدايا...

- أنا سافرت مع أهلي في هذه الإجارة الطويلة إلى باريس ولندن وبانكوك واشتريت هدايا جميلة... هذه بدلة كحلي لك وقطعة قماش صوف إنجليزي كشمير نفصلها بدلة جميلة لك هنا، وقمصان حرير من تايلاند، وهذه بدلة إلى سميرة، وأخرى إلى أم سعد، وحاجات إلى أهلك في البصرة...

- ما هذا كله؟ ولماذا أتعبتِ نفسك؟...

- كان هذا يسعدني ويخفف عني معاناتي على فراقك.

يوم الخميس يأخذان بدلة أم سعد السواريه وقميص حرير إلى أبي سعد ويذهبان مع العود لزيارتهم فيلتم الشمل، يفرحون بالهدايا، وتبدأ سهرة جميلة على أنغام عود فلاح المتميز ويغنون أجمل أغاني أم كلثوم...

سهرة ممتعة جميلة تندمج فيها سهى مع عائلة بيت سعد...

أم سعد تفكر بجدية بسهى وجمالها وطيبتها ولكنها لا تستطيع مقارنتها بخطيبة فلاح سميرة من خلال الصورة، ولا تستطيع أن تقترح عليه أي اقتراح... تشكرهما على الهدايا القيمة وتؤكد عليهما ضرورة تكرار الزيارة كل أسبوع... يودعونهما بالأحضان والقبل ويتمنون لهما النجاح.

فلاح وسهى في منتهى السعادة والانسجام والفرح، يمسكان يدًا بيدٍ، يمرجحان أيديهما في الهواء ويحاولان الطيران مثل راقصات الباليه في البولشوي تياترو الروسي، وفلاح يلوح بالعود ويدوران حول أنفسهما ويتطوحان كما يتطوح السكارى المنتشين، والشوارع فارغة تمامًا من المارة بعد منتصف الليل على كورنيش المنيل، ولغاية وصولهما للشارع العام لركوب التاكسي إلى الفندق.

حقيقة فلاح شعر بسعادة مع سهى المنطلقة السعيدة التي منى عينيها إسعاده ورضاه عنها ومنحها الحب الذي تسعى له بكل قوة، تتمنى أن يحبها كما تحبه وأن يخلص لها كما هي مخلصة له... وفلاح جسمه مع سهى وقلبه مع سميرة، ولكنه أحيانًا يفكر هل يستطيع أن يمرح هذا المرح كله وينطلق هكذا مع سميرة ؟... ويعود فيرجعها إلى المجتمع وقيوده والتزام سميرة بالعادات والتقاليد وشدة حيائها وقساوة تربيتها في بيئة محافظة جدًا يدفعها إلى التزمت والخجل، هناك أمور كثيرة ولكن مع الوقت هو قادر على إحداث التغيير وخاصة بعد الزواج لأنها إنسانة بسيطة ورهن طوعه ورضاه، وهي عجينة ممكن أن يشكِّل منها ما يريد في المستقبل القريب، ثم هو إنسان شعبي بسيط تربي هو وهي في بيئة شعبية هذه عاداتها وتقاليدها، وهذه عادات أهله التي يحبوها، إذ ليس من المعقول أن يقبل أهله أن يروا سميرة ترقص ولو لدقيقة واحدة، فالرقص عندهم عيب، ولا ترقص إلا الفتاة المستهترة التي لا حياء عندها.

تمر الأيام والأسابيع والشهور وتنتهي السنة الدراسية على هذا المنوال وينجح فلاح كالعادة الأول على الجامعة بامتياز، وتنجح سهى بدرجة جيد جدًا، وتحاول جاهدة أن تقنعه بالذهب معها إلى السودان تلبية لرغبتها ورغبة أهلها، ولكنه يصر على العودة لبغداد لقضاء العطلة الصيفية بين أهله وقُرب سميرة.

سميرة مرتاحة نوعًا ما في دوامها لقُرب مدرستها من بيتها، وأمورهم المادية مستقرة وجيدة وقد أعادوا تأثيث بيتهم بأثاث جديد من راتبها الشهري وما يعطيه لهم أبو فلاح، وهي مازالت محتفظة بأموال الطوارئ التي أمنها لديها فلاح.

سميرة تفرح بقدومه وبالهدايا الجميلة التي جلبها لها مع هدايا سهى وأهل سهى.

يقضي فلاح أيام جميلة مع سميرة وبين أهله رغم حرارة الجو في مدينته البصرة وارتفاع الرطوبة وخاصة أيام ما يهب على البصرة الهواء الشرقي القادم من البحر والخليج العربي العالي الرطوبة والحرارة مع قلة وسائل التبريد المتاحة في ذلك الزمان.

تمر الأيام سريعة ويقرر فلاح وسميرة قضاء فترة راحة في بغداد العاصمة لأنها لم تزر بغداد في حياتها... تحل ضيفة على بيت خالتها في بغداد وفلاح عند بيت خاله ، ولكنهما يوميًا يلتقيان في الرابعة مساءً عندما يعتدل الجو ، يتجولان في بغداد، تنبهر بعظمة بغداد وشوارعها وبنهر دجلة الخالد وجمال شارع "أبو نواس" والكازينوهات الجميلة المنتشرة على ضفاف دجلة من جانب الرصافة وازدحام العوائل البغدادية ، وتلاحظ فرق اللهجة وتسمع كلمات لم تسمعها من قبل في البصرة ، ولكنها تلاحظ أيضًا أن موديلات الملابس في البصرة أكثر تطورًا من بغداد وخاصة الملابس النسائية.

في اليوم الثاني جولة حرة في الكاظم وزيارة مرقد الإمام كاظم والدعاء والتبارك بهذا الإمام الطاهر... سميرة تمسك بشباك الكاظم وتتضرع أن يحفظهما الله ويتخرج فلاح من الجامعة ويلتم شملهما ويتم زواجهما بيسر وسهولة.

كل يوم يعودان للبيت عند الثامنة مساءً، تقترح سميرة على فلاح إذا كان ولابد من زيارة الإمام الحسين وأخيه العباس في كربلاء لقربها من بغداد...

فيتوكلان على الله ويزوران مرقدي الحسين والعباس عليهما السلام... سميرة تسأل فلاح : ما هذه العظمة ؟ وهذه الأضرحة العظيمة ؟ وما هذا التزاحم من الناس؟

تنظر إلى محلات صاغة الذهب والمجوهرات في ساحة مرقد الكاظم فتنبهر من كميات الذهب المعروضة في الفاترينات المضيئة ، والتي أنوارها تعشي الأبصار...

ينتهي الأسبوع ، ويعودان إلى مدينتهم البصرة مسرورين فرحين... وسميرة محملة بالمشتريات من شارع النهر والرشيد والسعدون والكاظمية والأعظمية عند زيارتهما للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان.

فلاح يرزم حقيبته استعدادًا للسفر، ويودع أصدقاءه وأهله، والأهم سميرة...

- سميرة؛ هانت، أمامنا سنتان وأتخرج ونتزوج ونحقق أمانينا ونعيش سعداء ، علينا بالصبر وقد قطعنا شوطًا كبيرًا.

فلاح يصل القاهرة وكالعادة سهى وصابر باستقباله في المطار يرحبان به مع باقة ورد جميلة... يشعر باعتدال المناخ في القاهرة ونسمات حلوة مريحة يحسها وهو خارج المطار عند مرورهم بكورنيش النيل الخالد.

تسرع الأيام والشهور في خطاها ، وتقترب فترة تخرج فلاح من الجامعة ، وتتهيأ الجامعة للاحتفال بتخرج طلابها ، وتوجه دعوات لأهالي المتميزين الثلاثة الأوائل على الجامعة... وتحصيل حاصل توجه دعوة إلى والد ووالدة فلاح باعتباره ناجح الأول بدرجة امتياز... يستلم فلاح دعوة لعدد اثنين من

عائلته مع تذاكر السفر من بغداد للقاهرة ذهابًا وإيابًا مع ضيافة لمدة أسبوع كامل، بدوره يرسلها لأهله، حتى يجيء أبوه وأمه، لكن أمه تعتذر، فيقرر أبوه أن يصطحب معه سميرة، والتي تكاد تطير من الفرح لهذا القرار.

سهى تتصل بوالدها وتخبره ضرورة حضور حفل تخرج فلاح بالموعد المحدد.

فلاح يحجز لأهله سويت بالفندق ويتفاجأ بقدوم سميرة مع والده في المطار عند استقبالهما هو وسهى وصابر السائق...

سهى تستقبل سميرة وتحتضنها وتقبِّلها وترحب بها في القاهرة...

وهكذا يلتقي أهل فلاح مع أهل سهى في فندق مونتانا، وسهى وأهلها واثقون كل الثقة أن سميرة هذه أخت فلاح الكبيرة.

تتقدم سميرة وتسلِّم بحرارة على فلاح وتقبِّله على خده تحرجًا من الناس والمستقبلين وعقلها يفكر من تكون هذه الفتاة ومن يكون هذا الرجل الأسمر الذي يرافقها ويحمل الحقائب ويساعدهم، وتقول مع نفسها: يا خبر بفلوس بكرة ببلاش...

يتوجهون للفندق، صابر يودعهم ويتمنى لهم طيب الإقامة في القاهرة:
- ست سهى أي خدمات تحتاجيها مني يرجى الاتصال بالسفارة وأنا في خدمتك.

سهى تذهب لغرفتها وفلاح وأهله إلى السويت ويتفقون على اللقاء بعد ساعة في الصالة، سهى تطلب من مطعم الفندق إعداد عشاء ملائم للضيوف، وتذهب إلى سوق التوفيقية القريب من الفندق لشراء بعض الفاكهة والحلويات والكرزات وتشتري من صيدلية خال سعد أستاذها بعض

المعطرات والشامبوهات التي تحضرها لها مساعدة الدكتور صديقتها والتي دائمًا سهى تكرمها بما يتبقى من دفع الفاتورة... وفي إحدى المرات بمناسبة عيد الفطر استلفت هذه الموظفة من سهى مبلغًا من المال بقى بذمتها لم تتمكن من تسديده إلى سهى رغم مرور ستة أشهر على ذلك... وفي كل مرة تعتذر منها عن التسديد، وسهى تقول لها: على راحتك.

تسلِّم المعطرات والشامبوهات إلى فلاح في السويت وتجلس في صالة السويت معهم فتسمع سميرة تخاطب أبا فلاح بكلمة عمي وليس بابا... فتقول مع نفسها ربما هو زوج أمها وليس أبوها ، وربما في العراق هكذا البنت تنادي أباها والله أعلم، كذلك تلاحظ نظرات سميرة إلى فلاح وكلمات: حاضر حبيبي، شلونك حبيبي، أنا وأمي وأخواتي بخير وأمك باستمرار تزورنا، وأنا وأمي نزوركم...

تتداخل الأفكار برأس سهى وليس عندها تفسير للموضوع... ضروري تسأل فلاح لأنه لكل شعب عاداته وتقاليده... مع هذا يتسرب نوع من الشك إلى قلبها ولكنه شك خفيف تفسره مع نفسها ربما سميرة ليست شقيقته، ولكنها أكيد أخته من أبيه أو من أمه ، والاحتمال الأكثر من أبيه ، ولكنها لا تشبه فلاح.

تحاول الانفراد بفلاح لتسأله عما يجول بخاطرها، لكنه لا يفارق أباه وسميرة ولا دقيقة واحدة...

فلاح تعبان نفسيًا ويفكر بكيفية الخروج من هذه الورطة ، وكيف أخطأ وحجز لأهله بنفس الفندق وأعطى المجال لسهى لفضح أمره وكذبه عليها كل هذه السنين، ويبحث عن مخرج ولكن دون جدوى.

يصل القاهرة أبو سهى وحده ويحجز سويت في نفس الفندق، ويتعرف بأبي فلاح ويسعد به... كما يصل أبو سعود لحضور تخرج ولده سعود مع سمر القادمة من لندن وتسكن مع والدها في السويت في نفس الفندق، فتخف الأمور على فلاح لأن الكل مشغول... تلاحظ سهى مدى الحفاوة التي استقبل بها فلاح وأبوه سمر وسعود وأبا سعود، وأن هناك علاقة متينة ومعرفة سابقة بينهم...

فلاح رغم الخوف والتوجس لكنه مرتاح لهذا التجمع في الفندق وانشغال الجميع وعدم إتاحة الفرصة لسهى للانفراد به والتحقيق معه في موضوع سميرة، إنها أيام معدودة قليلة مرَّ منها يوم، بقي ستة أيام... يوم السفر غير محسوب وكذلك يوم التخرج، تبقى أربعة أيام إن شاء الله تعدي على خير وفلاح وأهله يعودون إلى العراق، وتبقى سنة كاملة على تخرج سهى من كلية الطب...

فلاح كل ساعة تعدي عليه يحسب حسابها، وسهى بين الشك واليقين، وتعلم أن بعض الظن إثم فتستغفر الله وتستعيذ بالله من وسوسة الشيطان، ولكن مع هذا أفكارها مبلبلة وغير مستقرة، والخوف يقض مضجعها بدليل ليلة البارحة لم تنم مرتاحة.

فلاح يلازم أباه وسميرة ولا يخرج للصالة أو للمطعم وحده، سهى لاحظت ذلك لكنها فسرته أنه يحب أهله ولأن فترة الزيارة قصيرة فمن حقه أن يلتصق بهم كل هذا الالتصاق ولا يفارقهم.

الكل متعب من السفر... يتناولون العشاء في الفندق ويشربون الشاي في الصالة ويتجاذبون أطراف الحديث ويتناقش أبو سهى وأبو سعود بأمور الدولة والمسؤوليات الجسام الملقاة على عاتقهما، وهذه فرصة للترويح عن النفس. أبو فلاح يقدِم الشكر والامتنان لأبي سعود لمساعدتهم بإحالة عدد من المقاولات لهم ويشكر أبا سهى على الهدايا والمانجو والجوافة المرسلة مع ابنه فلاح وعلى اهتمامهم بولده... يتسابق أبو سهى وأبو سعود بالإشادة بفلاح وذكائه وتفوقه، ويطرح أبو سعود مشروع عمل لفلاح في الكويت في وزارة النفط والطاقة براتب مجزي، فيعقب عليه أبو سهى أنه سبق أن اتفق مع فلاح بالعيش معهم لإدارة أعماله الكثيرة في الخرطوم... يتدخل أبوفلاح:

- ولو أن الرأي الأول والأخير سيكون لفلاح، ولكني في الحقيقة أحتاج فلاح كثيراً في البصرة ولكي نفرح بزواجه وأنتم جميعًا مدعوون لهذه المناسبة السعيدة.

فلاح يرد على أبيه:

- بابا، هذا الكلام ليس وقته الآن، وأتمنى للجميع النجاح والتخرج... اليوم تخرجنا أنا وسعود وغدًا كلنا نفرح بتخرج سهى وسمر ونجتمع مثل هذا التجمع مرة في القاهرة ومرة في لندن، والأيام حُبلى بالأحداث الجميلة إن شاء الله.

ينسحب الجميع إلى غرفهم، همٌّ كبيرٌ انزاح عن صدر فلاح، مرَّ اليوم بسلام وبعد غد احتفال التخرج... يا رب عدي الأيام على خير وبركة.

يستعرض فيلم اليوم وكيف مرَّ عليه، ويفكر بغد وإحراجاته والساتر الله، ويستعيد جلسة سهى وسمر وسميرة في الصالة، سمر بثوبها القصير وصدرها

شبه العاري تضع ساقًا على ساق وتكشف عن مفاتن سيقانها المائلة للسمرة الخفيفة ، أي حنطاوية اللون ، وسهى بسيقانها السمراء اللماعة المكتنزة وصدرها الناهد الكبير ، وسميرة بتنورتها السوداء الطويلة وبلوزتها التي تغطي كامل صدرها حتى نحرها...

سميرة طوال الوقت مستمعة لم تنطق بكلمة واحدة مندهشة من كل ما حولها وتشعر بالسعادة لقربها من فلاح وموعد تخرجه وعودتهم إلى البصرة استعدادًا للزواج... تفكِّر جديًا بالزواج ولديها أسئلة تحب أن تسألها لأمها عندما تعود... ربما فلاح يفهم أكثر مني ، لكنه رجل وهذه قضايا نسائية يجب أن أجد إحدى النساء المتزوجات فأسألها لأفهم بعض الأمور النسائية وأحسن حل أم جانيت... لا ، لا ، امرأة كبيرة ، سأسأل إحدى المعلمات المتزوجات... فلاح مشغول تفكيره بالورطة بين سهى وسمر وسميرة... وسميرة تفكيرها بليلة الزفاف.

سهى تكلِّم أباها في السويت وتشكره على تجشمه عناء السفر وتلبية طلبها بحضور تخرج فلاح...

- سهى ابنتي الغالية، اتفقي مع فلاح حول موضوع الخطوبة والزواج.
- والله يا أبي فلاح أخبرني أنه يجب أن يأخذ موافقة أبيه في موضوع الخطوبة وأن أباه من يخطبني من حضرتك، أما عن الزواج فقال بعد التخرج، وغدًا يتخرج... فممكن حضرتك تكلم أبا فلاح حول الخطوبة والزواج مرة واحدة.

أما سمر فتنفرد بأبيها خجلاً من سعود وتعترف له أنها معجبة بفلاح وترغب الارتباط به:

- إذا وافقت حضرتك على ذلك، ولعلمك أمي موافقة ومسرورة والأمر لك.

- والله يا ابنتي فلاح شاب موهوب وذكي وجميل وشخصية وأنا شخصيًا أحبه وأحترمه وأتمنى أن يكون من نصيبك وعادة أبو الولد يفاتح أبا البنت ، فأنتِ يا سمر اتفقي أولاً مع فلاح واطلبي منه أن يكلم أبيه ليطلبك مني... هذه هي الأصول عندنا يا ابنتي.

- أبي ليكن ذلك بعد حفلة التخرج مباشرة وتستطيع الاعتماد علي.

••••

يبدأ الاحتفال في القاعة الكبرى للكلية وتحضر عوائل الخريجين ومنهم أهل صديق فلاح أنس وأمه ست هدى وابنتها ندى وعائلة سعد بالكامل ويتعرف أبو سعد بالضيوف الكرام ويرحب بهم ويطلب من فلاح زيارتهم في البيت لقضاء سهرة جميلة...

تُعلن نتائج الخريجين ويُذاع اسم سعود ناجح بدرجة جيد وسعد بدرجة جيد جدًا وأنس بدرجة جيد، بعدها يعلن أسماء الخريجين الثلاثة الأوائل، يعلن اسم الطالب الثالث ثم الطالب الثاني ويعلن بعدها اسم فلاح من العراق ناجح الأول بامتياز مع مرتبة الشرف، ويُقَدَّم له درع الكلية مع وسام الشرف وشهادة تقديرية ومكافأة بعثة دراسة الماجستير في إنجلترا على نفقة الجامعة لمدة سنتين دراسيتين.

يفرح فلاح... لكن سميرة تفرح بكل الفقرات إلا هذه الفقرة الأخيرة، ولكنها تمني النفس بالزواج والسفر إلى إنجلترا مع فلاح لإكمال دراسة الاختصاص.

تنهال التهاني والقبلات على فلاح من سهى وسمر وندى التي تعاتب فلاح

لعدم حضور حفل عيد ميلادها... وفاتن هي الأخرى تعاتب فلاح لعدم الرد عليها رغم أنها أعطته رقم هاتفها... ويشغل فلاح نفسه بتهاني وتبريكات الأهل والأصدقاء ويتعالى التصفيق له وهو يستلم ميدالياته وتكريماته من عميد الجامعة الذي يربت على كتفه ويهنئه ويصفه بالذكي المبدع.

يعود الجميع للفندق وفلاح الودُّ وده أن يسافروا للعراق اليوم قبل غد ليتخلص من الإحراج.

أبو سهى يوجه دعوة كريمة إلى أبي سعود وأبي فلاح للسهر في إحدى العوامات الكبيرة في نهر النيل للعشاء على موسيقى شرقية ورقص شرقي لسهير زكي ونجوى فؤاد والراقصة اليونانية نور ويتركون الشباب يدبرون حالهم...

فلاح في غفلة من سهى وسمر يغادر هو وسميرة الفندق في جولة حرة في معالم القاهرة... يعودان بعد منتصف الليل والجميع نائمون ويتسللان إلى السويت...

موظف الاستعلامات يقول لفلاح:

- سهى سألت عنك كثيراً وتنتظرك في غرفتها.

- سأراها في الصباح... تصبحون على خير.

سهى تنتظر في غرفتها عودة فلاح وقد انتصف الليل ، قلقة وقد جافاها النوم... تذهب إلى الاستقبال تسأل:

- هل عاد فلاح.

- نعم ست سهى وأخبرناه وقال غدًا صباحًا سأكلمها وذهب.

فلاح وسميرة في السويت حتى هذه الساعة لم يعد أبو فلاح من السهرة مع أبي سهى وأبي سعود... سهى تقرر أن تلتقي بفلاح ليجيبها على بعض الأسئلة التي حيرتها وطيرت النوم من عينيها... تأتي إلى السويت فتسمع من خلف الباب حديث فلاح وسميرة وكلمات الغزل والحب، فتنظر من ثقب الباب فترى فلاح وفي حضنه سميرة ذائبين في القبلات والغرام... وتسمع صوت سميرة تقول لفلاح:

- صبرنا يا فلاح وعوض الله صبرنا بالنجاح، أنا فخورة بك وبتخرجك الأول على الجامعة... وبهذا الاحتفال المهيب وهذه الهدايا القيمة وبهؤلاء الأصدقاء رفعة رأس... فلاح عندما نعود إلى البصرة في الأسبوع الأول نتزوج مضبوط؟

- طبعًا مضبوط يا سميرة أنت صبرتِ وما قصرتِ وقد عوض الله صبرنا خيرًا.

سهى تنصعق وتكاد تقع على الأرض ولكنها تمسك بيد الباب وتنسحب بهدوء إلى غرفتها...

فلاح يحس أن هناك حركة في الباب، يفتح الباب متوقعًا قدوم أبيه من السهرة فلا يجد شيئًا... بعد دقائق يعود أبو فلاح...

- سهرة سعيدة بابا.

• • • •

سهى ترمي نفسها على فراشها وتضرب على رأسها وتشد شعرها وتجهش ببكاء مرير:

- فلاح ضحك عليَّ كل هذه السنين... يا له من كذاب لعين... كم أنا غبية، لم أدرك أنه كان يمثِّل عليِّ الحب ويضحك على عقلي... يجب أن أنتقم منه ومن هذه الحقيرة سميرة... يجب أن أتماسك لكي أستطيع تنفيذ خطة الانتقام.

سهى لا تحضر إلى المطعم للإفطار... أبوها يقول إنها متوعكة وتحتاج إلى راحة...

أبو سعود يدعو الجميع إلى سهرة احتفالاً بتخرج فلاح وسعود والتعرف بأبي سهى وقبول دعوته إلى الخرطوم، ولكن في وقت آخر نتفق عليه أنا وأبو فلاح... الجميع يتفقون للذهاب إلى القناطر الخيرية في يخت سياحي من مرسى الزمالك، فلاح يسأل أبا سهى عنها...

- فلاح دعها اليوم ترتاح إنها مرهقة.

- دعني أحاول.

يطرق الباب:

- سهى، أنا فلاح، كلنا بانتظارك.

- أنا متعبة، اذهبوا مع السلامة وأنا انتظر عودتكم.

فلاح يرتاح لذلك ليأخذ راحته مع سميرة رغم وجود سمر التي ستعود غدًا مساءً إلى لندن وهي لم تفهم بعد ما يدور حولها، لأنها تفكر بجد كيف تستطيع أن تقنع فلاح أن يكون لها وحدها.

سهى تنهض وتستحم وتذهب إلى صيدلية أبو سعد فتجد صديقتها مساعدة الدكتور الصيدلاني خال سعد التي تستقبلها بالأحضان والقبلات... تخبرها أنها غدًا عندها امتحان في مادة الكيمياء العضوية وعليها إجراء تجربة تحتاج إلى اثنين سي سي من مادة سيانيد البوتاسيوم إن أمكن مساعدتها...

- هذه المادة تصرف بعلم الدكتور، ولكن أنتِ لك حقوق علي.

تأخذ أنبوبة طبية وتضع فيها أكثر بقليل من المطلوب وتغلقها بإحكام وتسلمها إلى سهى التي تخفيها في حقيبتها وتدس في يد المساعدة مبلغًا من المال... مع السلامة.

تجلس على كورنيش الزمالك، لترسم خطة الانتقام من فلاح... هذا الحقير الذي استباح جسدها وباع عليها الحب وكان بإمكانه أن يخبرها من البداية أن لديه حبيبة في البصرة وينتهي الموضوع ولا تتعلق به وتحبه حد العشق وتثق به وتبني الآمال وتعطيه كل ما يريد وما يتمنى... حتى أصبح الآن موقفها أمام نفسها وأهلها مهين... إنها تكره نفسها، ولكنها لا تستطيع أن تقول إنها تكره فلاح ولذلك يجب الانتقام من الجميع، أنا وفلاح وسميرة... ولكن يجب أن تكون الخطة محكمة.

(٢٥)

سهى بكل رباطة جأش توصي المطعم بإعداد غداء ممتاز لخمسة أشخاص من ضيوفها في مطعم الفندق غدًا الساعة الثانية بعد الظهر... ويكون من ضمن الأطباق البامية على الطريقة العراقية والمسقعة المصرية وعصير البرتقال المحلى... هذه أكلات يحبها فلاح ويطلبها باستمرار.

تدعو فلاح وسميرة وسمر، وتؤكد عليهم موعد الغداء... سمر كان بودها أن تذهب مع أبيها وسعود وأبي فلاح لزيارة الحسين وتناول الغداء في مقهى نجيب محفوظ ولكنها رضخت لإلحاح سهى ورجائها بحضور الدعوة، كان يعجبها أن تناقش سهى وتفهمها أنها أحق بفلاح منها لتقارب اللهجة والعادات والتقاليد، لكنها استثنت ذلك لثقتها بنفسها وأن فلاح سيعود للبصرة وتستطيع اللقاء به متى ما تشاء في العُطل والإجازات وقد اقترب تخرجها وستكون قريبة منه جدًا وتنسق الأمور على راحتها... وأكيد فلاح رجل عاقل وذكي ويميز بين الغث والسمين.

في العاشرة صباحًا وبعد الإفطار وتناول القهوة المصرية المحوجة، ينفرد أبو سهى بابنته ويخبرها أن هناك خبر مش ولابد قد يزعجها:

- يا ابنتي... هذا فلاح الذي بنينا عليه الآمال العريضة اتضح أن هذه سميرة خطيبته وليس أخته كما يدعي... وليلة البارحة وضعت نفسي في موقف محرج أمام أبي سعود عندما فاتحت أبا فلاح بموضوع خطبتك من فلاح، إذ قلت له عندنا في السودان المثل يقول اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك، وأنا من هذا الباب وبرغبة فلاح وسهى أخطب منك فلاح لابنتي الدكتورة سهى... أحسست أن الرجل تفاجأ بالموضوع وقال من لمن؟ فأعدت عليه

فلاح وسهى... أطرق هنيهة ورفع رأسه وقال: يا أبا سهى أنا أعزك وأجلك ويعز عليَّ أن أرفض لك طلبًا ولكن فلاح سبق أن خطب سميرة وقرأ فاتحتها وأنا أبوه أحد الشهود، وبيت الزوجية جاهز وننتظر التخرج ليتم الزواج وهذه خطيبته سميرة جاءت معي، وهي بمثابة ابنتي إلا ما حرم الله لأنها يتيمة وأنا مسؤول عنها وعن أمها وأخواتها...

- أبي لا تكمل لأني فهمت الموضوع وسمعت بأذني ورأيت بعيني... فلاح غشني وغشكم وضحك علينا كلنا مع الأسف... أنا نادمة وأعتذر منك ومن الإحراج والألم وخيبة الأمل التي سببتها لكم، ويجب أن أُعاقب عليها إذا كان عندي ذرة من الكرامة... فلاح أهانني وأهانكم ومسح بيَّ الأرض.
- سهى ابنتي، خذي منه كل ما أخذه منك ولا تنسي الخاتم الألماس.
- أبي، سأسترد حقي وحقوقكم وأكثر... وتهمس مع نفسها: (فلاح هذا أخذ عمري وكرامتي وعليه أن يدفع عمره ثمنًا لاستهتاره واستخفافه).. أبي اذهب معهم وسنناقش الموضوع عند عودتك في الليل وسترى أني أستحق أن أكون ابنتك وحقي وحقك لن يضيع سُدى.
- كوني عاقلة يا ابنتي ولا تتصرفي بحماقة، وهذه الحياة تجارب، والحمد لله اكتشفنا الأمر ونحن مازلنا على البر ولم نتورط في أمور أبعد من هذا.

تهز رأسها وتمط شفتيها وتهز يديها ساخرة من نفسها.

أبو سعود ينادي على أبي سهى ويرجوه الالتحاق بهم لأن الوقت تأخر على موعدهم المتفق عليه لزيارة الحسين.

ينتظرون السيارات التي ستقلهم في شارع الفندق.

سميرة وفلاح يذهبان لصيدلية خال سعد لشراء صبغ أظافر وأستون إلى سميرة فترحب بهما مساعدة الدكتور وتعلمهما أن سهى كانت هنا وساعدتها ، تتبعتهما سمر لشراء علبة براسيتامول لأنها تشعر بصداع خفيف.

- سميرة، ألاحظ أن سهى غير طبيعية في تصرفاتها في نظرتها حتى في أسلوب كلامها... أكيد عرفت أنكِ لستِ أختي كما أفهمتها ، وفي الحقيقة أنا متوجس من تصرفات هذه المجنونة... كذلك لاحظت أن أباها قد غير أسلوبه معي؛ لا كلام ولا سلام، يتجاهلنا.

- فلاح، إنها مجرد ظنون، كلها يومان ونعود إلى بيتنا ويستقر الحال.

- اسمعيني سميرة، لأول مرة سهى تشرف على مائدة الطعام وتساعد عمال المطعم بترتيب المائدة، لا أتذكر أنها فعلت ذلك لا في بيتهم ولا في مطعم الفندق... اسمعي، لا تشربي إلا بعد أن أشرب ولا تأكلي إلا بعد أن آكل، مفهوم؟

- فلاح خوفتني، ما الأمر؟

- اسمعي ما أقوله لكِ وطبقيه رجاءً إلى أن تتضح الأمور.

يعودون قبل الثانية ظهرًا وسهى تشرف على تحضير مائدة الطعام... فلاح وسميرة وسمر يذهبون للحمامات... تستغل سهى هذه الدقائق وعدم وجود عمال المطعم بأن تضع قليلاً من أنبوبة السيانيد في أقداح البرتقال كلها وتضع شيئًا منه في مرقة البامية والباقي في المسقعة.

فلاح يلاحظ تغير في ملامح سهى وفي نظراتها التي يتطاير منها الشرر

والحقد... يجلس الجميع حول المائدة... سهى ترفع قدح البرتقال وتقول في صوت متهدج فيه نبرة خوف: نشرب نخب فلاح... وتشرب قدح البرتقال بالكامل... تتبعها سمر بشرب نصف القدح...

وهنا يفاجئهم سعود وهو يصرخ:

- أبو فلاح دهسته السيارة في باب الفندق ونقلوه إلى المستشفى.

يسقط قدح عصير البرتقال من يد فلاح، وتسارع سميرة بوضع القدح على المائدة... يهرول فلاح يتبعه سعود وسميرة بنزول السلالم، فيجدون تجمعًا للمارة وعددًا من عمال الخدمة في الفندق متجمعين في باب الفندق، فيسأل فلاح العمال عن أبيه فيخبروه أنها رضوض وقد نقله أبو سهى وأبو سعود إلى مستشفى الطوارئ في ميدان التحرير القريب... ينطلق فلاح وسميرة في سيارة سعود الواقفة بباب الفندق ويصلون بعد دقائق ويطمئن فلاح وسميرة على أبيه، وبعد إجراء الإسعافات الأولية والتأكد من عدم وجود كسر أو فطر في الأشعة.

يغادرون المستشفى إلى الفندق ليرتاح أبو فلاح في فراشه...

يصعق الجميع عندما يجدون سهى وسمر على الأرض تتمرغان من شدة الألم ، فينقلونهما فورًا للطوارئ، ويلاحظ الدكتور ضيق حدقات العين فيعلم أنها حالة تسمم، فيأمر الممرضات بإجراء غسل معدة لسمر وسهى فورًا ونقلهما للطوارئ تحت العناية المركزة.

تمر الساعات ثقيلة على أبي سهى وأبي سمر لأنهما في حالة إغماء...

فلاح يستفسر من عمال المطعم عمن طبخ الطعام:

- أستاذ فلاح هذا المتبقي في القدور من الطعام أكلنا منه وكما ترانا سالمين.

يتصل مدير الفندق بالبوليس، وتؤخذ عينات من طعام المائدة التي وزعتها سهى على الأطباق وعينات من باقي الطعام المتبقي في قدور الطبخ لفحصها.

يحضر قاضي التحقيق ويحقِّق مع عمال المطعم ومع سميرة وفلاح، ويأتي ضابط البوليس بورقة الفحص من المختبر لتؤكد أن العينات المأخوذة من القدور سليمة وأن العينات المأخوذة من المائدة (عصير البرتقال والمسقعة ومرقة البامية) فيها مادة سُمية (سيانيد البوتاسيوم) القاتل والشديد الفعالية.

يُطلق سراح عمال المطبخ ويتم التحفظ على عمال تقديم الطعام وفلاح وسميرة... القاضي يأمر بتفتيش غُرف سهى وسمر وفلاح وسميرة، فيجدون في حقيبة سهى الشخصية أنبوبة طبية فارغة ليس عليها أي كتابة... يتذكر فلاح كلام مساعدة الدكتور الصيدلي خال سعد أن سهى اشترت شيئًا من الصيدلية وأنها ساعدتها... ما معنى ساعدتها؟!... فيخبر القاضي بذلك...

يأمر قاضي التحقيق بإحضار الدكتور ومساعدته ويحقق مع المساعدة فتتلكأ في الكلام فيهددها بالحبس تقول إن سميرة وفلاح اشتريا منها صبغ أظافر وأستون وأن سمر اشترت منها براستيامول...

- احكِ لنا عن سهى ماذا اشترت منك؟

- يا أفندم اشترت مني سيانيد البوتاسيوم.

- وهل يحق لكِ بيع هذه المادة؟

فيجيب الدكتور:

- لا... لا يحق لها إلا بوصفة طبيب وتحت إشرافي شخصيًا.

- هل أخذت موافقتك؟

- كلا يا أفندم، لا علم لي بالموضوع ولم يسجل ذلك في سجل الصرف.

تُحجز المساعدة سبعة أيام على ذمة التحقيق، ويتم التحفظ على المائدة وما عليها من مواد وإرسال عينات أخرى إلى المختبر لتأكيد فعل الجريمة وكذلك الأنبوبة الطبية.

ينتظر الجميع في صالة الفندق، أبو سهى وأبو سعود في الطوارئ والأطباء يقولون : ننتظر الساعات القادمة ومدى تأثير المادة السمية على مراكز الدماغ.

فحص المختبر الثاني يؤكد وجود المادة السُّمية في عصير البرتقال والمسقعة ومرقة البامية ، وأن الأنبوبة الطبية التي وجدوها في حقيبة سهى تحوي قطرات من سيانيد البوتاسيوم القاتل مع وجود بصمات عليها لكل من سهى ومساعدة الدكتور... يحقق القاضي مع العمال ويسألهم إن كانوا رأوا سهى تضع المادة السمية في الطعام على المائدة، فيقسمون أنهم لم يروا ذلك لأن سهى طلبت منهم الذهاب للمطبخ... ولكن عامل التنظيف قال:

- كنتُ أنظِّف الصالة الجانبية وعيني على المائدة لأني كنت جوعان، وكنت أُمنِّي النفس أن يبقى قسمٌ من الطعام للعمال... ورأيت سهى تفتح حقيبتها اليدوية وتخرج أنبوبة طولها حوالي عشرة سم ، وتصب قطرات من سائل فيها على المواد الموجودة على المائدة، أنا اعتقدت أنها مطيبات سودانية.

يأمر القاضي بإطلاق سراح فلاح وسميرة وعمال صالة المطعم ويثبت الجريمة ضد سهى ويوقع المحضر ويأمر بحجز سهى سبعة أيام على ذمة التحقيق.

تمر ساعات حرجة على أبي سعود وأبي سهى حتى صباح اليوم الثاني... تفتح سمر عينيها ولكنها تتلكأ في الكلام مع صعوبة في البلع... بعدها بأربع ساعات تفتح سهى عينيها ولكنها لا تنطق مع عدم القدرة على البلع، الأطباء يفحصون النظر جيد... جهاز الاتزان جيد عند سمر ولكنه غير جيد نوعًا ما عند سهى... الأمر يحتاج إلى وقت.

يقرر أبو سهى نقل ابنته إلى لندن للعلاج، لكن قرار القاضي لحجزها يمنع ذلك، فيبذل أبو سهى جهودًا عن طريق السفارة ومحامي مصري مقتدر بإطلاق سراحها بكفالة بضمان السفارة في إحضارها للمحكمة يوم المرافعة لأنها جريمة شروع في قتل مع القصد وسبق الإصرار...

الأطباء قرارهم ليس بصالح نقل سهى وسمر الآن... أبو سعود يستجيب لرأي الأطباء بضرورة استقرار وضع سمر قبل نقلها إلى أي مكان وسيفعلون كل ما في وسعهم لإنقاذها.

يسافر أبو سهى مع ابنته على أقرب طائرة إلى لندن فيتنفس فلاح وسميرة الصعداء...

يتعافى أبو فلاح ويغادر الفراش...

بعد ثلاثة أيام، وبعد التأكد من سلامة جهاز الاتزان؛ يسمح الأطباء لسمر بالسفر للعلاج في لندن وبعد أن تتحسن عندها القدرة على البلع، ويبقى تلكؤها بالنطق... تسمع منها وتوتة وبطئ في مخارج الكلمات.

عند الظهيرة يسافر أبو سعود وسمر إلى لندن، ويعود سعود مع فلاح وسميرة وأبو فلاح إلى البصرة، يبقى سعود عندهم ضيفًا عزيزًا لمدة يومين، بعدها يسافر للكويت.

يتنفس فلاح الصعداء ويذكر سميرة بما قاله لها قبل حادثة تسمم سهى وسمر، وكيف أنه أدرك أن سهى تصرفاتها غير طبيعية، ومع هذا نحمد الله لأنه حفظنا وجنبنا الشر والحقد والضغينة...

- سهى أرادت أن تنتقم مني ومنكِ لأنك حبيبتي وخطيبتي لكن الله حق وعلى الباغي تدور الدوائر، وفعلاً دارت عليها، والله يعلم إن كان شفاؤها ممكنًا أم لا، وأنا على حد علمي أي ضرر أو تلف يصيب أي جزء من الدماغ لا يمكن شفاؤه، وقد جنت على نفسها وأهلها براقش كما تقول العرب... كادت لتقتلنا فكاد لها الله الحق وأسقاها ما جنت يداها.
- الحمد والشكر لله، ويوم الجمعة نشتري خروفًا فدية لسلامتنا، أنا وأنت كتب لنا الله حياة جديدة نستحقها ويستحقها حبنا النقي الطاهر.
- سميرة، أتعرفين لماذا أنا أحبك كل هذا الحب وأفضِّلك على أجمل وأغنى بنات العالم؟ لأنك شريفة عفيفة صادقة أمينة بسيطة، كلك حياء ونبل وصبر وجمال؛ جمال القلب والأخلاق والخلقة.
- والله يا فلاح أنا أحبك أكثر صدقني، وخلاص صفحة وطويناها ونحن أولاد اليوم... ولكن فهمني عن دراسة الماجستير في لندن، أنا ذاهبة معك مهما كان الثمن وأرجوك لا تتركني كما تركتني كل هذه السنين بالحسرة... هذا موضوع غدًا نناقشه ولكن علينا أن نفكر جديًا بالزواج وبالمستقبل في آنٍ واحد.
- سميرة، أمامنا خياران لا ثالث لهما، وعلينا أن نحزم أمرنا ونختار بحيث نجني أكبر الفوائد الممكنة... دراسة الماجستير فرصة لا تعوض تؤهلني لدراسة الدكتوراة وتحقِّق طموحي في الحياة... أنا لا أخفي عليك يجب أن

أعطي قراري بالموافقة خلال أسبوع وقد استفسرت من البعثات أن أحد الشروط يجب أن يكون الطالب غير متزوج ولا يحق له الزواج خلال فترة الدراسة ، ولكن عند دراسة الدكتوراة يحق الزواج واصطحاب الزوجة... المهم كيف نعالج مشكلة دراسة الماجستير الآن والله كريم عند وصولنا دراسة الدكتوراة... أنا أعدك بشرفي وحياتك الغالية عندي أن أكمل الدراسة بسنتين دراسيتين أزوركم خلالها أربعة زيارات قصيرة في الأعياد وفي رأس السنة الميلادية... وهذا يعتمد على موافقتك ورضاك، لأنك صبرتِ بما فيه الكفاية وأكثر وتحملتِ أكثر من طاقتك وأنا أقدر فيكِ ذلك وأشكرك ومدان لك بحياتي.

- تسلم حياتك يا حبيبي... أنا قلت لك إني ملكك والذي يسعدك يسعدني والذي يرضيك أكيد يرضيني ، وأنا يهمني مستقبلك لأنه مستقبلنا ومستقبل أولادنا ، وأنا كما صبرت كل هذه السنين الله يقدرني أن أصبر هذه المدة... ولكن وعد شرف عندما تسنح لك فرصة دراسة الدكتوراة أكون برفقتك مهما كانت التعليمات والظروف.

يقبِّلها ويشكرها على موقفها النبيل هذا:

- ولكن يجب أن تعتني بصحتك.
- هذا شيء ليس بيدي ، إنه خارج إرادتي ، أنا أعيش مع وحدتي ودموعي وخوفي من المجهول هذه حقيقة لا أستطيع تجاوزها ولكن من أجل عيونك يهون كل شيء.

يلتقيان بسعود:

- سهى مسكينة يا فلاح ضيَّعت مستقبلها مع الأسف، أنا حزين عليها.

- هل تعتقد أني مذنب يا سعود؟

- لا والله، إنها حاولت قتلكم أنت وسمر وسميرة ولكنها قتلت نفسها... أمر سمر يهون مجرد تلكؤ في الكلام، الأطباء يؤكدون أنها تتحسن مع الوقت والتدريب، وحاليًا يركزون على معالجة الاتزان لأنه مهم في المشي، وهي تتطور إلى الأحسن... ولكن لا تنسَ أنها في السنة الأخيرة من دراسة الطب، الله يكون في عونها. والله أنا متألم على سهى وسمر، ماذا فعلت بنا هذه المجنونة أرادت قتلنا كلنا في ساعة جنون الله يسامحها ويشفيها.

- ماذا بأيدينا أن نفعل يا سعود غير الدعاء... حبيبي سعود تحياتي للوالد وإلى سمر وأكيد سنزوركم في الكويت... تسافر وتعود بالسلامة أخي الغالي.

- فلاح، أنا نسبت إلى وزارة الكهرباء والطاقة وأنتظر عودة أبي لتعييني في دائرة من دوائر الوزارة وإذا أنت تحب فقد سبق أن وعدك أبي، وأنت براحتك.

- سأذهب بعثة لدراسة الماجستير في لندن وعندما أعود الله كريم... وسميرة ستنتظرني يا سعود والله يصبرها.

سافر سعود إلى لندن فوجد أخته سمر وقد تحسن وضعها الصحي... بعد عدة أيام تخرج من المصحة وتلتحق بمعهد النطق لتقوية نطقها... يلاحظ أن كلامها باللغة الإنجليزية سليم ولكنها تتوتر وتجمجم في اللغة العربية، فيشير عليها:

- ضروري أن تعيشي فترة في مجتمع عربي لتتعافي.

- اصبر يا سعود الأطباء من يقرر وليس نحن... وأنا سأكمل دراسة الطب في

كل الأحوال طالما نطقي الإنجليزي جيد.

بعد أسبوعين يقترح سعود على سمر زيارة سهى فترفض...

- هذه مجرمة أرادت قتلنا والله أنا سأشهد ضدها في المحكمة ولا يمكن أن أتنازل عنها... يعني أنا أحب فلاح ؛ إذا لا يحبني فهل هذا سبب كافي لأقتله ومن معه وعلى الدنيا السلام... ثم ما ذنبي أنا في الموضوع كله ، ولماذا أرادت الانتقام مني وأنا لم أؤذها قيد شعرة... كان ممكن أن تؤنب فلاح ، تسمعه كلامًا خشنًا لأنها تحبه وهو يحب غيرها... ولكن أن تصل الأمور لهذا المستوى هذا جنون ، وسهى يجب أن تعالج نفسيًا... يمكنك زيارتها وحدك.

- لا ، لا... انسي الموضوع. أخر الأسبوع القادم نعود للكويت.

فلاح يكمل أوراق البعثة خلال يومين ، والآن هو في إجازة حتى بداية الدراسة في نهاية الشهر التاسع (أيلول) ، فيعود إلى البصرة ويستمر بالعمل في المحل في النهار ، وفي المساء مع سميرة...

تمر الأيام ويقترب موعد السفر ، يودِّع فلاح الجميع بالفرح إلا سميرة بالدموع والألم والحسرة.

أبو فلاح من باب أداء الواجب يزور أبا كرم وأبا شهد ويعتذر لهما عوضًا عن فلاح لانشغاله في إكمال معاملاته... وفي أحد أيام الجمعة يطلب من أبي سعود الذهاب معه للكويت مع أم فلاح للاطمئنان على سمر.

أبو فلاح يشتري خروفًا ويطلب من القصاب أن يضعه في أكياس ، ويهيء ثريا

جميلة وكمية من تمر البرحي... أهل سعود يرحبون بهم أجمل ترحيب ويطمئنون على سمر ويعودون للبصرة محملين بالهدايا مع سعود وسمر اللذين يعودان عند المساء.

(٢٦)

تحال أوراق قضية التسمم للمحكمة... تطلب المحكمة المتهمين في القضية؛ سهى وهناء مساعدة الصيدلي... والشهود كلٌ من فلاح وسميرة وسمر وعمال صالة المطعم وعامل التنظيف في المطعم... فلاح وسميرة يوكلان محاميًا مصريًا، لكن سمر تسافر مع أخيها سعود لأنها مصرة على أخذ حقوقها وتريد أن تعرف لماذا سممتها سهى دون سبب مبرر وتريد حقها المعنوي وتعويضها عما لحقها من ضرر.

تعقد المحكمة جلستها وينادي المنادي على المتهمة سهى والمتهمة هناء والشهود، سهى تحضر على كرسي تدفعه ممرضتها، وتدخل قفص الاتهام مع هناء.

الإدعاء العام يتهم سهى وهناء بالاتفاق والتخطيط بقصد مع سبق الإصرار لقتل كل من فلاح وسميرة وسمر، وذلك بدسِّ السم لهم بالطعام بدعوة غداء مخطط لها من قبل سهى...

- سادتي القضاة إن هذه المتهمة التي ترونها أمامكم عاجزة عن النطق والحركة أرادت الانتقام من أصدقائها وزملائها؛ فلاح وسميرة وسمر، وقد نجا فلاح وسميرة بقدرة قادر، لكن سمر تضررت صحيًا وفق التقرير الطبي الموجود في الإضبارة وتطلب التعويض المعنوي والمادي... أما فلاح وسميرة فقد تنازلا عن حقهما الشخصي بواسطة وكيلهما المحامي إكرامًا للزمالة.

القاضي يسأل سهى: هل أنتِ مذنبة أم بريئة؟ فتكتب على ورقة أمامها أنها

مذنبة لأنها أرادت الانتقام من فلاح وخطيبته سميرة لأنها تحب فلاح حد العشق ولا تستطيع الحياة بدونه... أما سمر فلا ذنب لها بالموضوع... وأنا شربت عصير البرتقال المسمم لكي يشرب الجميع معي نخب تخرج فلاح وكنت واثقة أن الجميع سيشربون كؤوسهم وسيأكلون من الطعام المسموم، أنا أردت شيئًا والله أراد شيئًا آخر... أنا تصرفت بجنون وألحقت ضررًا بليغًا بنفسي كما ترون وهناك ضرر آخر لحق بصديقتي سمر... أنا أعتذر منها.

بعد المداولة وسماع شهادة الشهود أصدرت هيئة المحكمة القرار التالي:

عقدت محكمة باب اللوق جلستها في ٢٠ يوليو ١٩٦٧ وأصدر قرارها التالي:

١- تحبس المتهمة هناء عبد الغني مصرية الجنسية لمدة عام وتؤكد هيئة المحكمة على نقابة ذوي المهن الطبية إيقافها عن العمل في الصيدليات ودوائر الدولة لمدة سنتين.

٢- تحبس المدعوة سهى عمر الميرغني سودانية الجنسية لمدة ثلاث سنوات تقضيها في مصحة نفسية لعلاجها ولا يحق لها ممارسة مهنة الطب لأن الطبيب رسول رحمة ومحبة ويعمل لشفاء الناس وليس لإلحاق الضرر بهم... كذلك تدفع تعويضًا إلى سمر حمد رحمن جاد الله مبلغًا قدره عشرة آلاف جنيهًا مصريًا لأن سهى كانت سببًا بالإعاقة في النطق الذي تعاني منه الآن.

٣- صدر القرار باتفاق الآراء وافهم علنًا... قرار قابل للتميز خلال فترة ثلاثين يومًا.

أبو سهى في حالة ذهول، فرغم الجهود التي بذلها ورغم تدخل السفير

السوداني وعلاقاته ولكن القضاء المصري وطبقًا للقانون قال قوله ولم يبقَ أمام أبي سهى غير طلب الرحمة والشفقة من الرئيس جمال عبد الناصر ليأخذ ابنته ويعود بها إلى السودان لتعيش مع ذكرياتها وتسرعها في اتخاذ قرار خاطئ ستدفع ثمنه العمر كله.

• • • •

سعود وسمر يزوران فلاح لتوديعه قبل السفر، وحديث ذو شجون عن سهى ووضعها الصحي وحيثيات المحكمة ولولا تنازله مع سميرة عن حقوقهما لكان الحكم أقسى على سهى...

- لقد رحمتما بحالها ولم يبقِ لها غير الندم والدموع.
- لقد كانت إنسانة طيبة كريمة النفس لا أعرف كيف تغيرت أحوالها وكيف فكرت وتصرفت لارتكاب جريمة دفعت ثمنها المسكينة.. أنا حقيقي حزين عليها وعلى أهلها الناس الطيبين.

سمر مازالت تعاني من نطق مخارج الكلمات بوضوح ولكنها ستتحسن وستكمل دراستها وتتخرج العام القادم... ومازال عندها أمل في فلاح الذي سيكون قريبًا منها في لندن.

(٢٧)

يلتحق فلاح بجامعة كوفنتري القريبة من لندن... وتسكنه الجامعة مع امرأة تجاوزت الخمسين من العمر ، إنجليزية من أصول ألمانية تعيش وحدها اسمها كاترين ، تكون مسؤولة عنه في منامه وطعامه وشرابه ، أما غسيل الملابس فيتم غسلها من قبله في الغسالات التي على ناصية الشارع كلما احتاج ذلك.

كاترين تحب حل الحزورات (الفزورات) وتراهن مع فلاح وتغلبه في الحل فيضطر إلى أخذها مساء السبت إلى السينما على حسابه الخاص... قرر أن يغلب كاترين هذا الأسبوع وبأي ثمن، فألف لها حزورة رياضية لا حل لها... ظلت ثلاثة أيام تحاول إيجاد الحل دون أن تتوصل إلى نتيجة رغم أنها طرقت كل الاحتمالات الممكنة، إلا أنها استسلمت وطلبت من فلاح حلها... ضحك وقال لا أعرف حلها لأنها أساسًا من تأليفي ولا حل لها ، كاترين غضبت منه لأنه ضحك عليها ولأنها ضيعت ثلاثة أيام من الوقت والجهد وعليه عقوبة ثلاثة أيام لا تقدِّم له أي خدمات... تصور في البداية أنها تمزح معه ولكنها نفذت العقوبة بالدقة المطلوبة ، مما اضطره أن يشكوها إلى إدارة الجامعة التي بدورها قامت بنقله للعيش مع عائلة إنجليزية أخرى تسكن قريبًا من الجامعة مؤلفة من زوجة اسمها باتريشيا رائد في الشرطة المحلية ، ومديرة مركز شرطة المنطقة وزوجها اسمه جون برتبة سارجنت يعمل سائق سيارتها في نفس الدائرة.

روتينيًا كل يوم صباحًا بعد الإفطار الذي يتعاون جون وباتريشيا بإعداده ، جون يفتح الباب لباتريشيا لتخرج ويخرج هو مسرعًا لتحضير السيارة، بينما

يخرج فلاح مع باتريشيا فيجدان جون واقفًا قرب السيارة وقد فتح لها الباب الخلفي ليؤدي لها التحية ، وبعد أن تصعد في الخلف على الجهة اليمنى يغلق الباب بكل هدوء وأدب ثم يصعد جون خلف المقود وفلاح بجانبه ليوصله أولاً إلى الجامعة ثم يذهبان لعملهما في مركز الشرطة... في الرابعة مساءً يأتي جون وباتريشيا فيعود معهما إلى البيت ، وخلال نصف ساعة باتريشيا وجون يعدان طعام الغداء وهما سعيدان وأحدهما ينادي الثاني باسمه، بينما خارج البيت جون يقول لباتريشيا نعم سيدتي، وينفذ أوامرها، ولكنهما في البيت زوج وزوجة بينهما كل احترام وتقدير.

يوم السبت والأحد عطلة ، يذهب فلاح معهما للفُسحة جولة في المدينة الصغيرة أو سفرة في الغابات أو على ساحل البحيرة القريبة أو للسينما... شاهد يوم الأحد تجمعًا لأهل المدينة في ميدان المركز، وبعد حين خرج تمثال بهيئة حصان أبيض تمتطيه فتاة في غاية الجمال والرشاقة عارية تمامًا، هذا النصب الجميل يسير في الساحة على جسر دائري جميل أُعدَّ لذلك، ثم يعود لشرفة القصر الذي خرج منه والناس تصفق... يسأل جون عن الحكاية ، فيجيبه بأنها من القصص القديمة خلدتها بلدية المدينة بهذا الاستعراض الأسبوعي في الساعة السادسة مساء كل يوم أحد... والقصة وما فيها أثناء الحرب الإنجليزية الفرنسية وانتصارات نابليون بونابرت المتكررة ؛... قرر الإنجليز بناء أسطول بحري كبير يقوده الأدميرال كارلتون لدحر قوات نابليون في معركة بحرية فاصلة ولكن الإنجليز تنقصهم المادة لبناء هكذا أسطول ، فطلبت الدولة مساعدة الشعب والتبرع لجمع المال اللازم ، وهذه الأميرة الجميلة جمعت أصحاب رؤوس الأموال في المدينة وحثتهم للتبرع... تاجر يهودي كبير قال يا سيدتي نحن نملك المال وأنتِ تملكين الجمال، أعطنا

الجمال ومتعي أعيننا بجسمك الممشوق الجميل ونحن نتبرع بالمال... فما كان منها إلا أن خلعت ثيابها وركبت حصانها الأبيض ودارت بينهم، فتبرع الجميع بمبالغ مجزية ساهمت في بناء الأسطول وانتصار الإنجليز في معركة واترلو (الطرف الأغر) الشهيرة.

تعرف فلاح على صديق عراقي يدرس في لندن اسمه محمود متزوج من فتاة اسكتلندية اسمها آن، ويسميها محمود سارة، ودعواه أكثر من مرة إلى بيتهما في مركز المدينة... محمود وسارة طيبان ولكن إمكاناتهما المادية محدودة جدًا لديهما سيارة قديمة أحيانًا يسافران بها سفرات جميلة إلى لندن في الإجازات.

تمر الأيام والشهور سريعًا، ويعود فلاح إلى بغداد بعد النجاح الباهر إلى المرحلة النهائية لإعداد مشروع التخرج ومدته سنة دراسية ممكن اختصارها حسب الجهد المبذول.

في البصرة الفيحاء يستقبله أهله بالأحضان والقبلات، وتفرح سميرة بمجيئه وتكاد تطير من الفرحة... يلاحظ أن صحتها ليست على ما يرام، وأنها هزلت كثيرًا حتى اقترب وزنها من سبعة وأربعين كيلو بعد أن كان خمسة وستين، وهي تأكد له أنها لا تشكو من مرض عضوي ولكنها تشكو من ألم الفراق والوحدة والآهات والدموع وأن الأيام تمر عليها ثقيلة بطيئة ولكنها هانت لم يبقَ إلا القليل... يسألها:

- أين ذهبت خدودك الموردات مثل وردة الجوري، وأين ذهب صدرك الناهد وابتسامتك العريضة؟.

- كل شيء يُعوَّض بعودتك... اليوم أحس أن الدنيا ملكي، أحس بسعادة غامرة... صدقني إذا عشت جانبك ثلاثة شهور مطمئنة سأستعيد صحتي وأحسن.

يذهب إلى المحل فيجد والده وأخاه صباح بأحسن الأحوال وعلاقته طيبة مع سعود وأبي سعود بحيث يزوروه تقريبًا كل أسبوع... كذلك علاقته ممتازة مع أبي كرم وأبي شهد...

- دائمًا أبو شهد يزور المحل ويسأل عنك يا ولدي... الحمد لله كل شيء تمام وأنا ما يهمني الآن إنهاء دراستك وعودتك وزواجك من سميرة واستقرارك في البصرة.

طبعًا الجو حار ونسبة الرطوبة عالية... كل شيء حار؛ السيارة حارة والأرض والشاي، والناس رغم طيبتهم ولكنهم سريعو الغضب بسبب حرارة الجو، عكس لندن التي تزخ عليها الأمطار ليل نهار بحيث يجب أن تكون الشمسية رفيقتك عندما تخرج من البيت ودرجة حرارة الجو في الصيف بحدود العشرين سنتكريد... لا توجد عدالة في توزيع الأمطار ودرجات الحرارة... الكاتب الإسكتلندي برنارد شو وكما يسميه الإنجليز شو؛ يقول (إن اقتصاد العالم بين لحيتي ورأسي؛ كثافة في الإنتاج وسوء في التوزيع) لأن لحيته كثة ورأسه أصلع.

فلاح يعد سميرة أنه سيبذل قصارى جهده لإتمام الدراسة خلال أشهر معدودة ويعود ليتزوجا ويستقرا...

- سميرة، كيف أحوال سمر؟

- والله لا أدري ولا علاقة لي بها، يمكنك أن تسأل سعود يوم الجمعة القادم إذا جاء للتسوق من البصرة، ألم تلتقيا في لندن؟

- لا والله، أنا في مدينة كوفنتري ومشغول بالدراسة ولم أفكِّر بذلك... أنتِ ذكرتِني الآن.

سميرة تلتصق بفلاح ولا يعجبها أن تفارقه أبدًا، وهو يقدِّر مشاعرها ويشد على يدها ويربت على كتفها ويقبِّل جبينها هيبةً منها، فتقبله وتعانقه وتبكي على كتفه وهو يُسمعها كلمات الحب والغزل التي ترتاح لها.

يقرران أن يصطحبا الجميع في رحلة إلى شمال العراق حيث الجو المعتدل نوعًا ما وجمال الجبال والأرض الخضراء ومياه الشلالات الباردة... يؤجر فلاح مايكروباص يتسع لتسعة أشخاص مع السائق، يسافر الجميع عدا أبوه وأخوه صباح لكثرة أشغالهما والتزاماتهما في المحل... سميرة لأول مرة في حياتها تسافر للشمال، فترى الأرض المموجة عند الاقتراب من كركوك... يصلون للموصل ومنها إلى أربيل ويصعدون إلى سرة رش الجميلة ويؤجرون من هيئة المصايف والسياحة بيتين متجاورين؛ واحد لأهل سميرة والثاني لهم ، ولكن الطعام مشترك.

سميرة تنبهر بمنظر الجبال الشاهقة وبالطرق الملتوية وبجمال الطبيعة... يزورون مناطق عديدة في أربيل؛ قلعتها وأسواقها، ويصعدون إلى جبل صلاح الدين حيث تدور السيارة حول الجبل بشوارع ملتوية كأنها الثعبان ليصلوا إلى شقلاوة الجميلة ذات الجو المعتدل... يزورون مدينة دهوك والمناطق السياحية الرائعة فيها... سولاف وسرسنك وشلال كلي علي بيك وكهف شانيدار البارد وشلالات بيخال... ويشترون هناك كمية من الفاكهة المحلية مثل التين والعرموط والعنب الأسود، ويشتري فلاح رقية يضعها في ماء الشلال مع الفاكهة لتبرد وبعد ساعة زمن تنفطر الرقية من شدة برودة الماء... يتناولون الغداء في بيخال ويعودون لمقرهم في سره رش.

بعد ستة أيام من الراحة والمرح والاستقرار النفسي لسميرة والتمتع بهذه المناظر الجميلة والجو المعتدل... يستعيد فلاح وسميرة ذكريات أيام الدراسة وحبهما وعلاقتهما الروحية وأحاديثهما الجميلة، ويذكر أحدهما الآخر بأحلى الكلام ويفتخران بحبهما الطاهر النبيل وقرب تحقيق الآمال.

- سميرة، والله لم يبقَ إلا بضعة أشهر لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، سأوصل الليل بالنهار لتحقيق وعدي لك وحياتك الغالية، ولكن يجب أن أجد منك شيئًا عند عودتي إليك : أرجوك حافظي لنا على السبعة وأربعين كيلو الباقية الله يخليك.

يعودون إلى بغداد وينامون في فندق البصرة الكبير في شارع الرشيد وفي المساء يسهرون في كازينوهات أبو نواس على ضفاف دجلة ليأكلوا السمك المسكوف المشوي على خشب ذي رائحة طيبة.

صباح اليوم التالي يعودون إلى البصرة وقد اشتروا كميات من فاكهة الخالص المشهورة بطعمها ومذاقها.

تمر الأيام ويودع فلاح أهله وأصدقاءه وسميرة ودموعها على خدها فيرجو منها الابتسامة ، فتبتسم على مضض لأنها سنين طويلة وهي على هذه الحالة... وعود... ليس لدى فلاح غير الوعود ، وكنز العمر ينقص ومرحلة الشباب الجميلة بين العشرين والثلاثين تكاد تنقضي بسرعة ، فهي دخلت بالستة وعشرين من عمرها بالضبط مثل فلاح، والسابعة والعشرون قادمة لم يبقَ عليها إلا شهور قليلة.

- يا الله افرجها أرجوك يا الله، ولا تعذبني أكثر من ذلك لقد نفذ صبري وللصبر حدود.

يعود فلاح إلى لندن، فيستقبله صديقاه محمود فندي وسارة في مطار هيثرو، ويتجهون إلى مدينة كوفنتري التي تبعد ساعة زمن، وأثناء مرورهم وسط لندن؛ تطلب سارة من محمود المرور على محل كنتاكي لشراء دجاج للغداء... وعند دخول شارع أوكسفورد تتبعهم سيارة شرطة المرور وتشير لهم أن يركنوا السيارة، وينزل نقيب المرور ويحرِّر غرامة بعشرة باوندات ويسلمها إلى سارة، فتسأله عن السبب فيخبرها أن الإشارة الخلفية اليسرى عاطلة، فتنزل سارة من السيارة لتتأكد من ذلك، وترد على النقيب: كانت صالحة، يبدو أن عطلاً فجائيًا حدث أثناء دخولنا إلى لندن... يهز النقيب رأسه ويطلب منها أن توقف سيارتها في الجراج المجاور وبعد تصليح الإشارة يمكنها مواصلة السير...

سارة تتأفف وتتضجر ويحمر وجهها وأرنبة أنفها وأذناها... نقيب المرور يعود لسيارة المرور على الجانب الآخر ويجلس خلف المقود ينتظر تصليح السيارة... سارة منفعلة... ينزل فلاح ومحمود من السيارة ويفتحان الإشارة الخلفية اليسرى، ثم يتوجهان لأقرب مكان لبيع قطع غيار السيارات لشراء إشارة جديدة ويركبانها... هنا يؤشر لهم نقيب المرور بإمكانية الحركة ومواصلة السير.

سارة تترك مكان القيادة لمحمود لأنها في حالة شد نفسي ولا تستطيع مواصلة القيادة... بعد ساعة يصلون إلى مركز مدينة كوفنتري... تصرُّ سارة على الذهاب إلى مكتب نائب المدينة في مجلس العموم البريطاني لتقديم شكوى

ضد نقيب المرور... ركنوا السيارة في الجراج وساروا إلى مكتب النائب، سارة تشرح إلى سكرتيرة النائب وتملأ طلبًا، بعد لحظات قادتهم السكرتيرة إلى مكتب النائب، الذي يرحب بهم...

- تفضلي مدام فندي.

- لقد تعرضت لعقوبتين من قبل هذا الضابط المثبت اسمه في وصل الغرامة ألبرت لخطأ حدث فجأة، يعني أنا غير مهملة ولا متعمدة... والسؤال هل يجوز معاقبة المواطن عقوبتين على ذنب واحد لو فرضنا أنني مذنبة.

- كلا لا يجوز مدام فندي.

- إذن أريد حقي منك لأن هذا النقيب عاقبني عقوبتين على خطأ واحد، غرامة عشرة باوندات بموجب هذا الإيصال وحجز سيارتنا لحين تمكنا من تصليح الإشارة.

- دقيقة واحدة مدام.

يتصل النائب بمدير مرور شارع أكسفورد حسب ما مثبت بالإيصال...

- نعم تفضل.

- في الساعة الثانية عشر ظهرًا في شارع أكسفورد عاقب النقيب ألبرت بموجب الإيصال المرقم ٤٥٦٢٠٩٧ الناخبة سارة فندي ضمن منطقتي الانتخابية عقوبتين على خطأ واحد وهذا لا يجوز في القانون الإنجليزي، أرجو التحقيق بالموضوع وخلال ساعة رجاء تعلموني إن كان هذا الإجراء صحيحًا أم خطأ قبل أن أتخذ إجراءاتي بحق النقيب.

وأغلق التليفون.

- تستطيعون الانتظار في مكتب السكرتيرة الآن مع السلامة.

بعد عشر دقائق خرج النائب وقال لهم:

- اتصل مدير المرور وأخبرني أن النقيب ألبرت على خطأ ويرجو عدم اتخاذ أي إجراء لحين وصوله لنا بعد ساعة ونصف... خذوا راحتكم ونلتقي هنا الساعة الثالثة والنصف.

يذهبون إلى مطعم قريب لتناول الغداء ولكن سارة ترفض أن تأكل أو تشرب شيئًا.

- في تمام الساعة الثالثة والنصف كانوا في مكتب النائب جالسين ينتظرون، وبعد دقائق قليلة دخل ثلاث ضُبَّاط مرور قدموا أنفسهم للنائب: عقيد كريكور مدير مرور المنطقة، رائد سوزان علاقات عامة، نقيب ألبرت سيطرة مرور...

يجلس الجميع في غرفة الاجتماعات... يبدأ العقيد بالاعتذار، ويشير إلى نقيب ألبرت الذي يبادر إلى سارة باسطًا يده على صدره...

- رجاء مدام فندي أرجو المعذرة، أنا غلطان بحقك أرجو أن تسامحيني.

سارة صامتة تنظر إليه بامتعاض...

- أكرر أسفي.

- النائب يخاطب سارة: هل أنتِ موافقة على الاعتذار؟

فلاح ومحمود يشيران لسارة بالموافقة، ولكنها مطرقة تفكِّر... أكد عليها النائب مرة ثانية:

- هل أنتِ موافقة على الاعتذار؟...

تهز رأسها أعلى أسفل بمعنى أنها موافقة.

ينهض مدير المرور ويصافحها شاكرًا لها مع هدية باقة ورد جميلة مع عشرين باوند من النثرية لأنه لا يستطيع إعادة العشرة باوندات الغرامة لأنها ذهبت إلى خزينة الدولة.

وتنهض رائد المرور وتقدم هدية سيت قهوة وتشكر سارة...

- رجاء مدام فندي اذكرينا بخير كلما شربت قهوة بهديتنا هذه.

يصافح ألبرت السيدة ويعتذر منها.

سلم الجميع على النائب وشكروه.

يخرج فلاح وسارة ومحمود محملين بالهدايا وهو مندهش مما يرى... وفي الطريق يسأل سارة:

- بربك لو أن العقيد انحاز إلى النقيب ألبرت وقال إنه على حق ماذا كنتِ ستفعلين؟

- من حق النائب أن يقدم طلبًا مؤيدًا من عشرين نائبًا إلى رئاسة مجلس العموم يطلب به استدعاء مدير شرطة المرور للتحقيق معه وفي حالة إثبات حقي وإدانة نقيب المرور يجب على المدير الاستقالة.

- طيب، ولو أن النائب رفض قبول الشكوى؟

- في الانتخابات القادمة سأقف وسط الناخبين وأصيح بأعلى صوت أن هذا النائب جبان لأنه خذلني ولم يعطني حقي، فأضعف فرصته في الانتخابات.

فلاح كعادته يضع خطة لإنجاز المشروع السنوي لأطروحة الماجستير بحيث يتمكن من إنجازه خلال ستة أشهر رغم أنه وعد حبيبته سميرة بإنجازه بمدة أشهر لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة وأقسم بحياتها... فلاح مشغول جدًا

بإعداد الأطروحة فينقطع عن زيارة صديقيه محمود وسارة اللذين يفتقدانه فيقرران زيارته يوم الأحد... يجدانه يعمل بكل جدية وهمة عالية، فيعرضان عليه المساعدة لأنهما مهندسان وحاصلان على درجة الماجستير من نفس الجامعة وبنفس الاختصاص، فلاح يرتاح لهذا الطرح:

- ولكن هل تقبلان أن يتم ذلك في شقتكما ويوميًا؟

- طبعًا نقبل، أنت عزيز علينا ويهمنا نجاحك.

يتعاون فلاح ومحمود بإجراء الحسابات وسارة تعطيهما النتائج على المسطرة الحاسبة (السلايد رول) لعدم وجود الحاسوب في ذلك الزمن...، يستمرون بالعمل لساعة متأخرة من الليل كل يوم... وكل ثلاثة أيام فلاح يراجع الأستاذ المشرف للتأكد من دقة عملهم والأستاذ يشجعه على المزيد من العمل.

خلال شهر واحد ينجزون كافة الحسابات وتحت إشراف الأستاذ المشرف، ويبدأون برسم اللوحات الهندسية وتحبيرها، عددها ست وثلاثون لوحة، كل لوحة تحتاج إلى أربعة أيام عمل متواصل، أي أن إنجازها كلها يحتاج إلى مائة وأربعة وأربعين يوم، وهذا وقت كبير يقترب من أربعة شهور متتالية. هنا يقترح سارة ومحمود مساعدته بالرسم الهندسي والتحبير لاختصار الوقت... يوافق ولكن ليس على حساب الدقة... يبدأون بكل اندفاع فينجزون عشر لوحات خلال أسبوعين، فيقررون الحصول يوم الأحد التالي على راحة يقضونها بزيارة لندن، والغداء على حساب فلاح في مطعم شرقي.

من حُسن الصدف تدخل سمر وزميلتها المطعم، فتلقى فلاح وكأنها عثرت على كنز العمر... تحتضنه وتقبِّله وتقدمه إلى صديقتها لمى على أنه صديق أخيها سعود... يصافحها فلاح...

- اسمي فلاح وأحضر للماجستير في جامعة كوفنتري.

يجلس الجميع على مائدة واحدة... تسأله سمر:

- لماذا لم تحضرا أنت وسميرة للمحكمة في القاهرة؟

- كنت محرجًا من رؤية سهى وهي في وضع صحي لا يسر صديق، كذلك كنتُ خجلاً من والدها الذي كان يعتبرني بمقام ولده.

- ولكنك لم تكن سببًا في أذيتها.

- حقيقي كنت سببًا لأنها كانت تحبني حد العشق، وعندما اكتشفتْ أن سميرة حبيبتي وخطيبتي وليست أختي؛ ثارت ثائرتها وحاولت الانتقام منا ، وأنتِ كنتِ في طريق تنفيذ انتقامها فلحقك الأذى مع الأسف.

- المهم لو رأيت حالها وهي على كرسي المعاقين ولا تستطيع نطق كلمة واحدة وكيف اعترفت بذنبها خطيًا في المحكمة ودموعها تفيض من عينيها؛ لتعاطفت معها وبكيت على حالها.

تغرورق عيناه بالدموع وينتحب باكيًا.

تمسح سمر دموعه بمنديلها وتربت على كتفه وتمسح على ظهره وتتأسف منه ولكن ترجوه ضرورة زيارتها فلديها كلام كثير معه، فيعدها بالأحد القادم في نفس المكان في الساعة الثانية بعد الظهر.

- والآن نستأذن...

- إلى أين فلاح؟

- والله عندي عمل كثير لإكمال الرسوم الهندسية لمشروعي.

- على فكرة يوجد هنا في لندن مكتب هندسي ممتاز لرسم اللوحات

الهندسية وتنظيم الأطروحات وأعرف عددًا من المهندسين وطلاب الماجستير والدكتوراه يستعينون بإمكانياته... ويمكننا الآن زيارته وإطلاعك على إمكانياته.

- يا ريت.

في المكتب يطلبون الإطلاع على اللوحات والاتفاق ، يعدهم فلاح على الأسبوع القادم...

- على فكرة مكتبنا يعمل حتى أيام الآحاد.

سارة ومحمود يشجعانه على الاستفادة من هذا المكتب قدر الإمكان لاختصار الوقت، ولكن بالدقة والكفاءة الملائمة.

يستمر العمل في شقة محمود وسارة فينجزون خمس لوحات أخرى... فلاح يوم الأحد يأتي إلى لندن مع لوحاته وحده لأن محمود مصاب بالأنفلونزا... سمر تنتظره في محطة القطار... يلتقيان ويذهبان للمكتب الهندسي ويطلعون على اللوحات ويؤكدون أن بإمكانهم رسم أدق وأحسن منها لكونها رسمت وحبرت بأقلام رسم عادية ، بينما مكتبهم يستخدم أقلام التحبير الخاصة الحديثة التقنية أقلام الرابيدو، ولديهم مهندسون متمرسون بالرسم... يتفقون على المدة والثمن ، على أن يجلب سيكشات اللوحات الأخرى خلال أسبوع ، ويعتذرون عن قبول حسابات الأطروحة لكثرة أشغالهم.

سمر تصحبه إلى المطعم لتناول الغداء وتصر على أن يزور شقتها ليعرف الطريق للوصول إليها كلما جاء إلى لندن.

في الشقة تجلس ملاصقة له وتحتضنه وتقبله لتفرغ شوقها وهيامها به، فيقف، فتقف معه وتعيد تقبيله وتضغط صدرها على صدره بقوة، ينتشي ويصاب بالخدر فيجلس وتجلس هي..

- أرجوك اسمعني؛ أنا لا أحب أن ألفَّ وأدور، أنا أحبك وأنت فارس أحلامي، فدعنا نخطِّط لمستقبلنا، خلال الأشهر القادمة سأتخرج من كلية الطب وأنت تكمل الماجستير ونعود لبلدينا معززين مكرمين.

- اسمعيني سمر، أنا لا أريد تكرار تجربة سهى مرة أخرى.

- أنا أعرفك وأعرف أهلك ووضعك الاجتماعي، وأخي سعود صديقك وأبي صديق والدك، كما ترى الأمر يختلف وأنت شاب طموح تحب اختصار الزمن وحرق المراحل وتسلق سلم المجد بأقصر وقت ممكن، وأنا سأقف بجانبك بكل إمكانياتي وإمكانيات أهلي ونحن تقريبًا شعب واحد وعاداتنا وتقاليدنا ولهجتنا متشابهة، لا ينقص إلا موافقتك على الزواج واهتمامنا ببعضنا، أنا أحبك ملأ كياني، فما عليك إلا أن تبادلني الحب بكل صدق وإخلاص.

تقترب منه وتحتضنه وتقبله فيرتمي على الفراش وترتمي فوقه ولكنها تسمع فتح باب الشقة من قبل صديقتها لمى فتعتدل.

يشربون الشاي ويودِّع فلاح سمر التي تصر على توصيله إلى محطة القطار.

• • • •

فلاح يواصل العمل بمساعدة محمود وسارة... يوم الأحد يأتون إلى المكتب الهندسي في لندن ويجدون كافة اللوحات الخمس عشرة التي سلموها منجزة على أروع وأدق ما يكون... فلاح أراد دفع التكاليف فأخبروه أن سمر دفعت تكاليف هذه اللوحات وكذلك ثمن اللوحات القادمة ، فيسلمهم كافة اللوحات الأخرى ويحددوا له موعدًا لها بعد ثلاثة أسابيع ، فيقرر ضرورة زيارة سمر ، ويطلب من سارة ومحمود عدم السماح لسمر بالانفراد به... وهكذا يلتقون في المطعم ، وترجوهم سمر زيارتها في الشقة فيعتذرون منها... فلاح يحاول دفع تكاليف المكتب الهندسي إلى سمر لكنها تقول: هذه مساعدتي لك يا فلاح مثلما ساعدك محمود وسارة، نحن أصدقاء يجب على كلٍّ منا أن يساعد الآخر ، وأنا سعيدة بهذه المساعدة لأنك تستحق كل خير ومحبة.

فلاح يرتاح نفسيًا بهذه الإنجازات... وفي اليوم التالي يعرض اللوحات المنجزة على الأستاذ المشرف الذي ينبهر بروعتها ودقتها، ويقول له إنه أول طالب ماجستير يقدم لوحات بهذه الدقة والروعة ومرسومة بأقلام الرابيدو حديثة التقنية ، ويسأله من أين حصل عليها ، فيجيبه : من صديقة كويتية ولفترة أسبوعين فقط ، وسيبذل قصارى جهده لإكمال اللوحات الباقية خلال هذه الفترة...

- ولكن يا أستاذ أنا أحتاجك لمراجعة كل حسابات المشروع.

- أنا أراجعها معك أولاً بأول وأنا معجب بنشاطك وتقدمك في المشروع على كل زملائك.

بعد أربعة شهور ونصف ينجز فلاح مشروع الماجستير كاملاً ويعيد دراسته عدة مرات، الأستاذ المشرف يناقش المشروع معه خطوة خطوة، فيجد أنه قد حفظ عن ظهر قلب كل الخطوات والحسابات ، ويدققان حد الفارزة والنقطة وتسلسل الحسابات ودقة النتائج... فيقدم الأستاذ طلبًا للجنة الامتحانات بتحديد موعد المناقشة خلال الشهر التالي.

رئيس اللجنة يؤكد على الأستاذ المشرف تحديد موعد المناقشة، ويعتبر أن فلاح مجاز حتى يوم المناقشة وعليه الاستفادة من هذه الإجازة لمراجعة كل حساباته ورسوماته والتهيؤ للمناقشة في اليوم المحدد.

فلاح يفضل البقاء في إنجلترا لمتابعة مشروعه أولاً بأول ويتصل هاتفيًا من البريد المركزي بوالده ويخبره بذلك ، فيشجعه أبوه على البقاء وإكمال دراسته...

يوميًا يذهب إلى مكتبة الجامعة للمراجعة والإطلاع وتوسيع دائرة معلوماته في مجال اختصاصه ، ولكنه يتفاجأ بزيارة سمر له ، تخبره أن لديها فترة تدريب عملي لمدة شهر في إحدى مستشفيات إنجلترا وقد اختارت مستشفى كوفنتري لتكون قريبة منه.

- هل عندك مانع؟!.
- طبعًا لا، أهلاً وسهلاً بكِ وعلى الرحب والسعة... والسكن؟
- سأستعين بمحمود وسارة ليجدا لي شقة صغيرة قريبة منكم والليلة أنام في الفندق والصباح رباح.
- تفضلي نذهب إلى صديقينا للاستعانة بهما.

محمود وسارة يرحبان بسمر، وسارة تتحرك على الجيران الذين لديهم شقة

نظيفة للإيجار في نفس البناية وتتفق معهم وتستلم المفاتيح.

- سمر، فُرجت، هذه مفاتيح الشقة، ولكن الليلة تنامين عندنا لغاية باكر نوضب الشقة أنا وأنتِ وننقل حاجاتكِ إليها.

سارة ومحمود يحضران العشاء وسمر وفلاح في حديث شيق عن المستقبل...

- متى مناقشة أطروحتك؟

- بعد شهر من الآن.

- وأنا كذلك بعد شهر أتخرج طبيبة، إذن سنعود لأهلنا سويًا... وأنا أدعوك أن نذهب أولاً للكويت ويأخذنا أخي سعود إلى البصرة... ما رأيكَ فلاح؟

- الله كريم، كل شيء في وقتهِ حلو، فلا تستعجلي الأمور.

- سنكون متجاورين وقريبين وحدود البصرة مفتوحة للكويتيين

- حد علمي أن الكويت لا تسمح لأحد دخول أراضيها إلى بفيزة.

- الفيزة أمرها بسيط، أنا اتصل بأبي فيحصل لنا عليها بيسر وسهولة ونستلمها من السفارة الكويتية في لندن.

- الآن دعينا نكمل العشاء ونتسامر في ضيافة سارة ومحمود... وعلى كل حال أنا يوميًا موجود في المكتبة المركزية للمدينة من التاسعة صباحًا لغاية الساعة الرابعة مساءً.

- غدًا عليك أن تساعدني في توضيب الشقة مع سارة ومحمود.

- حاضر، بكل ممنونية... والآن لنحتفل بهذه المناسبة السعيدة.

- محمود هل ممكن نذهب إلى سكني لنجلب العود؟

- بكل ممنونية فلاح.

فلاح يضرب على العود أحلى النغمات بهدوء...

- فلاح، خذ راحتك اليوم السبت ومعظم الجيران يسهرون خارج بيوتهم.

يغنّي لهم أغنية أم كلثوم التي تعلمها من أم سعد أيام زمان... فيطرب الجميع حتى سارة التي لا تفهم كل الكلام...

- الله، الله... فلاح ما هذه المواهب؟ لأول مرة أعرف أنكَ تضرب على العود وتملك صوتًا جميلاً يطرب السامعين.

- رأيكِ سمر، أشتغل مطرب أحسن؟!

- والله لو كنت أملك صوتًا جميلاً وأعرف العزف بهذا الجمال لاشتغلت مطربة أحسن من عذاب الدراسة والغُربة وخدمة الناس ومشاكل المرضى... أنت يا فلاح الله يحبكَ أعطاكَ الجمال والذكاء والموهبة... وتلومني لماذا أنا متعلقة بكَ وأحبكَ؟... يعني سهى حقها وألف حقها.

- أرجوكِ سمر لا تضيعي علينا لذة السهرة.

في الحادية عشر يستأذن فلاح ويتفق معهم أنه في تمام التاسعة صباحًا سيكون عندهم...

- طيب تفطر معنا...

- قُرب بيتنا يوجد مطعم لصديق سوري يقدِّم إفطارًا مميزًا سأجلب معي إفطار لكم... انتظروني، مع السلامة وتصبحون على خير.

بعد الإفطار ينقلون حاجات سمر إلى شقتها وتتعاون سارة وسمر بتنظيفها وجرد نواقص المطبخ.

- الشقة تمام احتاج أشياء بسيطة سأشتريها من السوق.

- لا داعي لشرائها متوفرة عندي ونحن من اليوم أختان.

سمر تدعو الجميع للعشاء عندها، يقضون سهرة جميلة ولكن بدون غناء وعود...الكل يتعاونون بإعداد العشاء... سمر لديها مسجل فيه أغاني جميلة وموسيقى رائعة، سارة تشجعهم على الرقص الهادئ... محمود يرقص مع سارة وفلاح مع سمر... سمر تحضنه وتضع خدها على خدهِ وصدرها على صدره وتقترب منه ُ كثيراً وتعيش في عالم من الخيال والنشوة وتطير كما تطير الملائكة في عوالم الأنوار... تهمس بأذنه:

- هذه الحياة وإلا بلاش كما يقول المصريون.

سمر تلتقي مع فلاح في المكتبة يوميًا بعد الساعة الرابعة ويذهبان للغداء سويًا ويجلسان في مقهى يوناني، فلاح يستذوق قهوتها وقد استذوقتها سمر... تُلِّح عليه بضرورة زيارتها في شقتها، ولكنه يتهرب خوفًا من النتائج.

تلتقي به بعد نهاية دوامها وتعلم منه أن الجامعة ستقيم مهرجانًا كبيراً احتفالاً بميلاد العالم الفذ إسحاق نيوتن وقد حصل على خمس دعوات خاصة لها ولسارة ومحمود وجون وباتريشيا يوم السبت القادم... بمعنى أنتم مدعوون عندنا على العشاء يوم الأحد بدلاً من السبت.

في القاعة الكبرى مساء السبت تكتظ القاعة بالمدعوين ومنهم عدد من الطلبة العراقيين من مختلف اختصاصات الماجستير الذين يعرفهم فلاح وينسِّق معهم كثيراً من الأمور... بدايةً فلاح يجلس مع مجموعتهِ، ثم يستأذن للجلوس مع زملائهِ الطُلاب...

عميد كلية الهندسة يحضر مع زوجته وابنته الشابة الجميلة، ويشاهد مرح وانسجام الطلبة العراقيين، فيشاركهم فرحهم ويجلس معهم ويشرب في صحة

نجاحهم في مناقشة أطروحاتهم. ويقول لهم من يرغب بالرقص مع زوجته أو ابنته ليتفضل، زوجته تتدخل فتقول نحن نختار من نرقص معه، الابنة تختار فلاح والزوجة تختار نائل ، رقصة كلاسيكية هادئة جميلة بعدها يعودون للجلوس... العميد منتشي من الويسكي، الطُلاب يحثون فلاح على أن يطلب من العميد تقديم موعد مناقشاتهم... بعد إلحاحهم عليه يرجو من العميد تقديم موعد مناقشة أطروحاتهم، العميد يحمر وجهه ويقطب جبينه ويترك المائدة مع زوجته وابنته ويغادر المكان... فلاح في موقف محرج، يترك زملاءه غاضبًا ويعود لجماعتهِ... يلاحظون عليه الغضب والحزن ، فيشرح لهم ما حصل... فيلومونه.:

- نحن في حفلة ولا يحق لكَ إحراج العميد بهذا الطلب وهو منتشي وقد احترمكم وجلس معكم مع عائلتهِ.

فلاح يتأثر وسمر تهوِّن عليه الأمر وتقول له : أرجوك لا تبتئس ولا تضيع علينا الحفل.

في اليوم التالي يستدعيه العميد يستدعي... فلاح خائف من النتيجة... يدخل مقر العميد وهو يرتجف...

- نعم أستاذ...
- تفضل بالجلوس... أنتَ طالب مجتهد وأستاذك المشرف يفتخر بذكائكَ وهمتكَ العالية والتزامكَ وتفوقكَ على أقرانك ولكنكَ تنقصكَ الكياسة ، كان عليكَ أن تراجعني في مكتبي هذا أثناء الدوام الرسمي لتطلب مني طلبًا مثل هذا... وعمومًا الأمر ليس بيدي وإنما بيد اللجان الامتحانية المتخصصة بالمناقشة... والآن يمكنك الذهاب ، وأرجو أن لا تكررها مستقبلاً.

فلاح يتصبب العرق منه خجلاً من العميد ويكرر اعتذاره منه عدة مرات... ولكن العميد يقول له: مع السلامة.

يؤنب نَفْسَه ويخرج من الكلية وقد نسى أن يلبس معطفه ويلف لفافة حول رقبتهِ تجنبًا لبرودة الجو، فيصاب بنزلة برد شديدة يرقد على أثرها في الفراش وترتفع درجة حرارته... يتصل جون بالإسعاف لنقله إلى المستشفى لعلاجه.

سمر لا تجده في المكتبة كالعادة، وكذلك في اليوم التالي، ترجو محمود الذهاب للسؤال عنه، فيعلمون من جون أنه في المستشفى... يهرعون إليه فيجدونه في العناية المركزة بسبب ارتفاع حرارتهِ والدكتور المقيم يشك في إصابته بذات الرئة وينصح بضرورة نقله إلى مستشفى الحميات في طرف المدينة لأنه مرض معدي يخافون على نزلاء المستشفى منه.

سمر تعمل في مستشفى أهلي تخصصي، تنقله إلى مستشفى الحميات على مسؤوليتها... فورًا تجري له التحاليل وأشعة الصدر فيتضح أنها نزلة صدرية وليس ذات الرئة... سمر تعتني به عناية فائقة بالكمادات والأدوية في مواعيدها والعصائر وتنام في غرفتهِ وترعاه طول الليل، وخلال ثلاثة أيام تتحسن صحته لكنه واهن يحتاج فترة نقاهة... تنقله لشقتها وينام على فراشها وهي تداويه وترعاه وتنام على الكرسي بجوار السرير تراقبه وتمسح جسمه وتعطره، وتدلك يديهِ ورجليهِ وصدره، وهو في منتهى الراحة والسرور رغم مرضهِ... وكل يوم يزورهما محمود وسارة ليطمئنا عليه.

تتحسن صحته ويرغب بترك الفراش، لكن سمر تصر على بقائه يوم آخر للراحة التامة.

يقترب موعد إنجاز اللوحات في لندن، فتذهب سمر وسارة لاستلامها ويبقى محمود مع فلاح ، يعودان عند المساء فيفرح فلاح باللوحات ويجلسون جميعًا على مائدة الطعام لمراجعتها، الكل سعداء بهذا الإنجاز الكبير ولكن يجب مناقشتها مع الأستاذ المشرف عدة مرات للتأكد من سلامتها.

سمر ترجوه أن تساعده في استحمامه، فيرضخ للأمر الواقع وهي تؤكد عليه أنها طبيبة وهذا من صميم واجبها لأنها مارست مهنة التمريض لأجل خاطرهِ.

فلاح يلتقي مع الأستاذ المشرف وهناك لوحة موضع شك أشرها فلاح ومحمود وسارة... الأستاذ يؤكد ضرورة إعادة رسم وتحبير هذه اللوحة لأن المكبس أكبر بمقدار اثنين ملم من الأسطوانة بسبب زحف اللوحة أثناء التحبير لأن الحسابات مضبوطة.. فلاح يستغرب كيف لمكتب رسم هندسي تخصصي أن يخطئ مثل هذا الخطأ.

- الخطأ والسهو واردان في العمل، ثم لا تنسى أنها ست وثلاثون لوحة، حصل خطأ في واحدة منها فقط... واسمع مني هذه الحكاية:

كان إديسون مخترع الكهرباء يعمل مع زميله جاك في المختبر وشاهد في أرضية المختبر ثقبًا كبيرًا نظر من خلاله فوجد جرذان كبيرة مع أفراخها الصغيرة ، فطلب من جاك أن يأتيه بالمثقب ليعمل ثقبًا صغيرًا بجانب الثقب الكبير وعندما سألهُ جاك مستفسرًا، أجابه إديسون أن هذه الجرذان الكبيرة تخرج من الثقب الكبير أما هذه الصغيرة من أين تخرج يا جاك، فيجب وهذه الحالة أن نعمل لها ثقبًا صغيرًا...

فتصور يا فلاح... لكل جوادٍ كبوة، ولكل عالمٍ هفوة.

تتكفل سمر وسارة للذهاب إلى لندن ليعيد المكتب الهندسي رسم اللوحة وتحبيرها بنفس اليوم ويعودان في المساء، وفي الليل يحتفلون بشقة سمر جميعًا أولاً بشفاء فلاح وثانيًا بإنجاز اللوحات على أكمل وجه.

سارة تتفهم حب سمر لفلاح وتعلقها بهِ وتتعاطف معها بقوة وتطلب من محمود مساعدتها بإقناعه أن سمر إنسانة نموذجية وطبيبة ناجحة جدًا لأنها تفرق بين الجد والمرح وقد لاحظا اهتمامها ورعايتها لفلاح في مرضهِ وكيف استقتلت لعلاجهِ وشفائه العاجل وقامت بواجب الطبيبة والممرضة في آنٍ واحد.

محمود يزور فلاح في مكتبة الكلية صباح اليوم التالي ويدعوه لشرب فنجان من القهوة في كافيتريا الكلية...

- فلاح، أنت صديقي وأنا أحبك وتهمني مشاعرك ومصالحك، سارة كلفتني أن أفاتحك بموضوع حساس أرجو أن تتحملني لكونه موضوع شخصي، ولكن صداقتنا تؤهلني أن أناقش معك هكذا موضوع... سمر طلبت من سارة أن تتدخل بينك وبينها لتعلقها بحبك ورغبتها بالزواج منك... والرأي رأيك...

يطرق لحظات وينظر في وجه محمود...

- اسمعني يا محمود، أنا منذ بواكير شبابي وأنا في السنة الثانية متوسط وأول إحساسي بمشاعر الحب تعلقت بجارتنا سميرة، وكنت اليوم الذي لا أراها فيه لا أحسبه من عمري... مع الوقت تعمقت علاقتنا وتحولت إلى حب عنيف جارف ارتقى إلى التقديس، فسميرة روحي وقلبي وكل حياتي أعيش

معها في الغُربة لحظة بلحظة، أنا أكلِّمك الآن وصورتها مرسومة أمامي، أفكِّر بالإجابة وبنفس الوقت أفكر بها... وسبق أن قلت ما قاله رسول الله (ص) لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته... طبعًا مع الفارق في التشبيه، وحقيقي أنا عندي استعداد أن أعيش مع سميرة في النار ولا أعيش مع غيرها في الجنة.

- خلاص فلاح فهمتك وأنا آسف وأعتذر منك يا صديقي العزيز، وأتركك لمذاكرتك وأستأذن منك... مع السلامة...

محمود يحكي ما دار بينه وبين فلاح من حديث إلى سارة ويرجوها غلق الموضوع والاعتذار من سمر بذوق وأدب، ودون جرح مشاعرها.

في المساء تلتقي سارة مع سمر وتتجاذبان أطراف الحديث وتعتذر سارة منها على إعفائها من المهمة التي كلفتها بها وعدم إحراجها مع فلاح...

- فهمت، وأشكرك، وأنا أدبِّر نفسي وأحل مشاكلي، فعلاً إنه موضوع حساس وشخصي أنا أتكفل به.

سمر تعرف جيدًا أن فلاح لا يرد طلبًا لأبيه، وتفكِّر أن عليها أن تفاتح فلاح فإن لم تُفلح تُكلِّف أباها أن يقنع أباه بزواجهما.

في الرابعة مساءً تلتقي سمر بفلاح في المكتبة وتدعوه لتناول الغداء معها، وبعدها لشرب قهوتهما المفضلة في المقهى الفرنسي (ايس بريسو)...

- فلاح، أرجوك اسمعني... أكيد محمود كلمك ولم تعطه لا حق ولا باطل، وأنا أحب أن أكون على بينة من أمري، فلم يبقَ على عودتنا إلا أيام معدودة، وقد تأهلنا علميًا وثقافيًا وفُتحت أبواب المستقبل على مصراعيها

أمامنا ، وأنا حقيقي أحببتك من أعماق قلبي وأصبحتَ فارس أحلامي وأمنياتي في الحياة أن نبني عش الزوجية في بلدي أو بلدك ، يعني الأمر سيان لأننا في الحقيقة بلد واحد وشعب واحد... أرجو أن تفكِّر بهدوء وعمق وتشاور عقلك وأهلك ولا أريد الآن جوابًا منك... أرجو أن تسعدني وتفرح قلبي عندما نعود لأرض الوطن ونستقر ويشاركنا الأهل أفراحنا...

يحاول فلاح أن يقول شيئًا... سمر تضع يدها على فمه...

- اتفقنا عند عودتنا بالسلامة... والآن لنستمتع بحديث آخر حول استعدادك للمناقشة واستعدادي للتخرج... بعد أن تنهي مناقشتك بتفوق إن شاء الله نذهب سويًا إلى لندن لنحضر حفل تخرجي... ونستعد للعودة للوطن.
- موافق يا سمر على برنامجك هذا. اليوم وغدًا وبعد غد محتاج لمراجعة الرسوم مع محمود وسارة وأحتاج الأيام الباقية أن أكون قريبًا من الأستاذ المشرف لمناقشة أدق التفاصيل.

يلتقون جميعًا في بيت محمود وسارة ويفرشون اللوحات الهندسية على المائدة لمناقشتها وتدقيقها واحدة واحدة ، ومراجعة كل لوحة عدة مرات... وسمر تحضر لهم الشاي والكيك والفاكهة... يستمر العمل يومين متتاليين يراجعون فيها دقة اللوحات عدة مرات ، وفي اليوم الثالث يراجعون دقة الحسابات وخطوات المشروع ، كل شيء تمام التمام... فلاح ينسق الأمور والتوقيتات مع الأستاذ المشرف ويراجع معه المشروع في مكتبه في الجامعة ، والأستاذ منبهر بقدرته على حفظ أدق التفاصيل حتى أرقام الحسابات عن ظهر قلب ، فيستغرب من هذه الإمكانية الفردية من قوة الذاكرة والنباهة والتركيز والمطاولة ويهنئه على اجتهاده ومثابرته وعزيمته.

اليوم الخميس، والاثنين المناقشة... فلاح يستعد نفسيًا وعمليًا وفنيًا لهذا اليوم المهم الذي سيحضره أصدقاؤه وزملاؤه وسارة وسمر ومحمود.

يوم الاثنين في العاشرة صباحًا تبدأ المناقشة، وفلاح بالروب الأسود الموشح باللون الأحمر وهو يناقش الأساتذة الثلاث مع الأستاذ المشرف... الأساتذة مندهشون من قدرته على دقة الإجابة والشرح دون أن ينظر إلى المشروع أو يقلِّب الأوراق وينبهرون بدقة وروعة رسم اللوحات وقاعدة المعلومات الواسعة التي يتمتع بها هذا الطالب في مجال اختصاصه، يستلذ الأساتذة بالنقاش مع طالب ذكي مقتدر فتطول المناقشة عدة ساعات...

بعدها يقف الأساتذة ويصفقون لفلاح فيقف وجميع الحاضرين ويتعالى صوت التصفيق والتهاني ويعلن رئيس اللجنة بفرح غامر حصول فلاح على درجة الامتياز مع درجة الشرف الأولى في نيله درجة الماجستير في تخصص هندسة الطائرات فرع المحركات النفاذة.

يقبله محمود وسارة وسمر وجون وباتريشيا ويصفقون له وتدعو سمر الجميع لتناول الحلويات والقهوة والشاي...

بعدها وهم فرحون مسرورون تدعوهم سمر إلى مطعم قريب اتفقت معه على إعداد وجبة غداء لمن يرغب ذلك، إنها فرحة لا تقدر بثمن وعيد حقيقي لفلاح وأصدقائه المقربين الذين يحبونه... فلاح يقدم لهم جزيل شكره وامتنانه لباتريشيا وجون وعظيم شكره وامتنانه لمحمود وسارة وسمر، ويستعد مع سمر للسفر بعد غد إلى لندن لحضور حفل تخرج سمر برفقة محمود وسارة.

في اليوم التالي يذهب فلاح للجامعة لاستلام شهادته وأوراقه ونسخة من مشروعه، ويودع الأساتذة والزملاء ومدير المكتبة.

وفي اليوم التالي يتوكلون على الله ويذهبون إلى لندن في بيت سمر فيجدون أن زميلتها لمى قد سافرت إلى لبنان لقضاء الإجازة مع أهلها.

بعد يومين من المرح يزورون فيها حديقة الحيوانات (لندن زو) ومتحف الشمع (مدام توسو) وبرج لندن وساعة بك بن في تفاكا سكوير قرب البرلمان الإنجليزي وتمثال تشرشل وقصر الملكة وتبادل الحرس الملكي وحركاتهم الرشيقة ويسهرون في شارع أجود رود ومطاعمه ومقاهيه العربية المنتشرة هنا... وهناك يصل سعود وأبوه مطار هيثرو في لندن قبل يوم من تخرج سمر ويتصل سعود بسمر يخبرها أنهم حجزا في فندق كابتال لندن وسيصلان خلال ساعة للفندق.

تستعد سمر وفلاح ومعهما محمود وسارة للذهاب إلى الفندق لاستقبالهما، وهكذا يلتقون ، ويتعرف محمود وسارة بأهل سمر ويسهرون في مطعم الفندق وفي صالة الموسيقى سهرة جميلة ممتعة... وسعود وأبوه سعيدان برؤية فلاح ويولون اهتمامهما الخاص به ، ويقدِّم أبو سعود خاتمًا ثمينًا إلى فلاح بمناسبة حصوله على شهادة الماجستير بتفوق وكذلك يقدم سعود لصديقه سيت أقلام شيفرز مذهب... فلاح يتذكر خاتم سهى الألماس الثمين ويجر حسرةً وألمًا على مصير سهى، ويفكِّر هل من الممكن زيارتها وهي بهذه الحالة أم يطوي صفحة مهمة من حياته ، الوقت محدود جدًا وهو لا يحب أن ينكأ الجراح وهي ما تزال طرية، ولا يجب أن تتكرر التجربة مع سمر

وعليه أن يكون شجاعًا ويقف بوجه سمر ولا يجاملها وقد انتهت مرحلة غربته وسيعود إلى أهله وحبيبته سميرة التي صبرت وتحملت الكثير من الآلام والمعاناة بسبب الفراق والخوف من المجهول.

حان الوقت أن يطرد القلق من داخله ويواجه الأمور بشجاعة وثبات ويتخلص من مشكلة اسمها سمر دون جرح مشاعرها والمحافظة قدر الإمكان على صداقة عوائلهما والتعاون بينهما ولابد من وسيلة لإقناع سمر أن يكون مجرد صديق أو أخ لها وينتهي الموضوع، لكن المشكلة تكمن في عنادها وإصرارها أن يكون فلاح من نصيبها...

- يا رب ساعدني أن نتوصل إلى حل رضائي تقتنع به سمر وتحل عني وهي ألف من يتمناها جمال ومال وذكاء واختصاص ومستقبل زاهر وتستطيع أن تتزوج من أرقى العوائل وأحسن الشباب.

صباح اليوم التالي يحضر الجميع حفلة التخرج الجميلة التي تنظمها الكلية الطبية في الجامعة وتُمنح سمر بكالوريوس طب عام بدرجة جيد جدًا وتنهال عليها التهنئة من أهلها وزملائها ويشد فلاح على يدها ويهنئها بحرارة فرحًا لتخرجها كما فرحت بتخرجه وساعدته كثيراً في مشروعه ووقفت معه في مرضه، إنها تستحق الخير كله وتستاهل الاحترام والتقدير.

سمر لديها ما يكفي من الشجاعة لتفاتح والدها بحبها لفلاح وأمنيتها أن يكون من نصيبها وترجوه التدخل...

- ابنتي سمر، عاداتنا وتقاليدنا تقول أن يطلب فلاح وأبوه مني ذلك، أو أمه تطلب ذلك من أمك، هذه الأصول يا ابنتي، ثم أنا أسألك هل أنتِ وفلاح اتفقتما على شيء؟

- أبي، بصراحة هو مرتبط بفتاة من أهل البصرة فقيرة يتيمة معلمة، وأنتم تعرفونها لأنها زارتنا في الكويت مع أهله إذا تتذكر، وسعود يعرفها حق المعرفة، وفلاح كما تعرف شاب ذكي وأمامه مستقبل كبير وفيه مزايا كثيرة لم أجدها عند غيره من الشباب.

- سمر هذه مهمة صعبة أنتِ تضعيني في موقف حرج يمس كرامتي، أنا أرى أنكم شباب أنتِ وسعود وفلاح، وبمساعدة أصدقائكم محمود وسارة ممكن أن تضعوا حلاً للموضوع وتعفوني... غدًا سأترك لكم كل الوقت وحاولوا التفاهم وأنا سأنتظرك هنا في الفندق.

سمر تدعو الجميع إلى الغداء وترتب الأمور مع سارة ومحمود ومع سعود وترجوهم مساعدتها بإقناع فلاح بخطبتها من أبيها، محمود يسرب الاتفاق إلى فلاح... فلاح في حيرة وكأن موضوع المسكينة سهى يُعاد من جديد...

- محمود، أنت تقنع سارة بعدم التدخل بالموضوع وتقولان: هذا موضوع خاص، تناقشان الأمر بينكم يكون أفضل... وأنا كفيل بسعود.

يلتقي بصديقه سعود في المقهى:

- سعود أنا خجلان منك ولكن يجب أن أناقش معك موضوع حساس ومهم، لأني أحبك وأحترمك يا صديقي العزيز، أنت تعرف أن سمر أختي مثلما هي أختك وتعرف أنني مرتبط بحبيبتي سميرة من زمن، سمر أختنا تعتبرني فارس أحلامها وتتمنى أن تتزوج مني، أرجوك أن تساعدني أن أكون أخًا مخلصًا لك ولسمر وأن نحافظ على علاقة الحب والصداقة بين عائلتينا، أرجوك أن تساعدني في إنهاء الموضوع لتستقر نفسيتي وأرتاح لأني لا أحب أن أجرح مشاعر أختي سمر.

- فلاح، أنت لا تعرف شقيقتي سمر جيدًا، فأنا توأمها وتربيت معها، سمر أكبر مني بساعة فقط، إذن فهي الكبيرة وتنظر لي أني أخوها الأصغر، سمر عنيدة ومدللة وكل ما تريده تحصل عليه بسبب عنادها كما قلت وبسبب حب أمي وأبي لها لذكائها المتميز وخفة دمها وتفوقها في الدراسة وشخصيتها القوية، أعدك أني سأحاول، ولكني أشك أني سأنجح في مسعاي الصعب هذا، ولهذا أنصحك أنا وأنت أن نقنع أمي عند عودتنا للكويت ونكلفها بهذه المهمة لإقناعها وننهي الموضوع بهدوء ودون تدخل أبي وإحراجه.

أبو سعود وسعود يرجوان فلاح أن يسافر معهم للكويت أولاً للاحتفال بتخرجه هو وسمر، ومن هناك سعود كفيل بتوصيله إلى البصرة.

سمر سعادتها بسفر فلاح معهم على نفس الطائرة إلى الكويت ضيفًا عزيزًا عليهم، تحدث نفسها:

- أكيد فلاح عندما يكون وسط عائلتنا ويعيش أيام وسط العز ويطلع على مستوانا المعاشي وعلاقاتنا وإمكانياتنا سيلين ويغيِّر رأيه وتتم الخطوبة، ولو موافقة أولية من فلاح نطورها إلى خطوبة رسمية وزواج بإذن الله.

سمر تمني النفس وربما نست سهى وإمكانات أهلها والوعود التي قطعها أبو سهى على نفسه لإرضاء فلاح بخطبة سهى، وتنازل الرجل وداس على كرامته وخطبه لبنته... وانتهت النتيجة إلى كارثة وفلاح مازال متمسكًا بحبه الحقيقي لسميرة على بساطتها وضعف إمكاناتها.

في اليوم التالي يقام احتفال جميل في رستزانت وسط البلد يدعى إليه وجهاء البلد وعوائلهم وبناتهم وأولادهم، سمر في منتهى السعادة والزهو وهي

تتقبل التهاني، يبادر سعود فيعلن أن صديقه وصديق العائلة فلاح قد حصل على شهادة الماجستير في هندسة الطيران من إنجلترا بدرجة امتياز مع شهادة الشرف وهو يقدم له أسمى آيات الحب والتقدير كما يقدمها لأخته الغالية سمر لتخرجها من كلية الطب بدرجة جيد جيدًا فألف مبروك للإخوة الأعزاء. سمر تمتعض من جملة الأخوة الأعزاء، تنهال التهاني على فلاح وسمر ويلاحظ سعود تهافت البنات على تهنئة فلاح والشد على يديه ومعظم الورد المفروض أن يقدم إلى سمر قدمته البنات إلى فلاح.

تبدأ الموسيقى الهادئة ويدعو سعود وسمر الشباب إلى الرقص الكلاسيكي الهادئ فتتدافع البنات على فلاح فتتدخل سمر وتسحبه من يده، وتطلب من سعود أن يرقص مع صديقتها التي أمسكت بفلاح للرقص معه، على الستيج سمر ترقص معه محاطين بالأصدقاء المنسجمين مع الموسيقى الراقصة.

- فلاح، هذا مجتمعنا الراقي وهؤلاء أصدقاؤنا وأقاربنا وهؤلاء وجهاء بلدنا أصدقاء عائلتنا، أرجوك فكِّر بعقل وموضوعية واحسب حساب المستقبل فأنا أطلب منك وللمرة الأخيرة ضرورة ارتباطنا لأحقق أنا رغبتي وتعلقي بك وتحقق أنت أمانيك وتطورك السريع وسأكون خير عون لك وزوجة صالحة بكل المقاييس.
- أنتِ تعرفين البئر وغطاءه، وسبق أن تكلمنا في هذا الموضوع عدة مرات ولا أريد أن أكرر تجربة المسكينة سهى مع الفارق لأني شرحت لك كل شيء بصراحة ووضوح... أرجوكِ لنكن أخوة ولتعامليني كما تعاملين سعود أرجوك يا سمر ولننهي هذا الموضوع بدون مشاكل وزعل، فأنا والله أقدرك وأحترمك وأمنياتي لك بالسعادة والنجاح في حياتك.

هنا تتوقف الموسيقى ويعود الجميع إلى أماكنهم وسمر على وجهها مسحة من الحزن يلاحظها سعود فيعرف ما دار من حديث بينهما.

تنتهي الحفلة الساهرة الجميلة وعدد من البنات يدسسن تليفوناتهن بيد فلاح خلسة وفلاح يخبئها في جيبه.

صباح اليوم التالي أبو سعود يذهب للعمل وسمر تطلب من سعود أن يأخذها لوزارة الخارجية لتصديق أوراقها وإلى وزارة الصحة لتقديم طلباتها... أم سعود تختلي بفلاح في الصالة:

- اسمع يا ولدي؛ أنا كان بودي أن أفاتح أمك بالموضوع لتفاتح أباك على عادة أهلنا أيام زمان، ولكن لأختصر الطريق ولأكلمك بصراحة ولدي، ابنتي سمر التي تعرفها حق المعرفة طلبت مني أن أكلمك ولم أتعود أن أرد طلبًا لها، هي تحبك ومتعلقة بك، فإن كانت عندك الرغبة بها حتى أخبر أباها لنأخذ موافقته ونعلن الخطبة ونستدعي أهلك إذا تحب، وهذه هي الأصول ونحقق رغباتكم ورغباتنا، فماذا تقول؟

- خالتي العزيزة والله والزاد والملح الذي بيننا وحبي واحترامي لكم جميعًا أنا أعتبر سمر أختي وأنا يا خالتي مرتبط وعندي خطيبتي التي أحبها ومخلص لها، ولا يمكن أن أخذلها وأكسر قلبها ولا يمكن أن أبدلها بكل كنوز الأرض ونساء العالم، خالتي العزيزة سامحوني أرجوكم واعذروني فأنا ابنكم وأحبكم والله ولكن ما تطلبوه مني غير قادر على تنفيذه وسمر تستحق كل خير، وألف من يتمناها جمال وذكاء وحال ومال، ولكن سميرة ليس لها في الدنيا غيري فلا أستطيع قتلها بيدي إن تزوجت غيرها، أرجوكِ لا تزعلي مني فأنا ولدك مثل سعود.

أم سعود تخجل من نفسها ومن الورطة التي وضعتها بها سمر والحمد لله هي ولا أبو سعود، تسترد أنفاسها ورباطة جأشها وتعدل جلستها...

- ابني فلاح انسَ ما قلته لك يا ولدي وفعلاً أنت ولدي وأنا أشكرك على صراحتك ونبلك وإخلاصك لحبيبتك سميرة... خلاص انتهى الموضوع وأنا سأتكلم مع ابنتي سمر بهدوء وأقنعها، وتبقيان أخوة إن شاء الله سبحانه وتعالى.

(٢٨)

يعود فلاح إلى أهله برفقة سعود معززًا مكرمًا فيستقبله أهله بالأحضان والهلاهل والأفراح... وبعد أن يشربوا الشاي يذهب مع سعود للعشار ليسلم على أبيه وأخيه صباح ويترك المجال إلى سعود ليشتري بعض الحاجات من أسواق البصرة على أن يعود إليه بعد ساعتين.

أبو فلاح يكاد أن يطير من الفرح بولده... فلاح يحتضن أخاه صباح ويقبله عدة قبلات ويشكره لمساعدة أبيه فيرد عليه أبوه: صباح ساعدي الأيمن.

يطلع من خلال شرح أبيه على تطور المحل والأرباح المتحققة بالشهور الماضية ومصادر الاستيراد ومبيعات المحل والمقاولات الكثيرة... ويطمئن أباه أنه سيكون عونًا له لأن أعمالهم توسعت وستتوسع أكثر... ويسأل والده عن سميرة وأهلها وعن معاشهم، فيطمئنه أبوه:

- اطمئن يا ولدي أحوالهم جيدة ومعيشتهم جيدة وحالهم من حالنا ، وباستمرار نزورهم ويزورونا وخاصة سميرة ، إنها ابنتنا وتأتي لزيارتنا في الأسبوع أكثر من مرة، وخاصة يوم الخميس والجمعة، وكثيراً ما تنام عندنا لتساعد أمك في أعمال المنزل... فتاة طيبة وبسيطة وتحبنا، ولكن تقلقني صحتها.
- ماذا بها يا أبي؟!
- لا ابني اطمئن ولكن يقلقني هزالها رغم أنها تؤكد أنها ليست مريضة.

- أبي أقلقتني، أنا ذاهب لأراها.

سميرة تفتح الباب فتجد فلاح أمامها، تخر وتسقط بباب البيت... يتلقفها ويحملها إلى فراشها، إنها وزن الريشة خفيفة لم يبقَ شيء من شحمها... يغسل وجهها وأمها خائفة... تفتح عينيها وتمسك به بقوة...

- فلاح حبيبي حقيقي أنا أكحِّل عيني برؤيتك الغالية... مرَّت علي أيام متعبة جافاني فيها النوم وضعفت شهيتي للطعام.

- سميرة، كم كيلو بقى لي من وزنك؟.

تبتسم:

- والله بقى لك ماديًا اثنان وأربعون كيلو، ولكن بقى لك الشيء الكثير روحانيًا، حبي وروحي وأحلامي وهيامي يا ملاكي.

- لقد تخرجت وانتهى كل شيء وغدًا نذهب إلى المحكمة الشرعية لإنجاز عقد الزواج.

- ياه... أكيد حلمي تحقق.

- نعم صبرتِ وما قصرتِ، وهذه قُبلة الزواج.

القبلة تمنحها طاقة فتنهض من الفراش وتغلق باب الغرفة وتمسك بفلاح وتدعوه أن يحتضنها بقوة ويقبلها لتسترد قوتها وعزيمتها...

- والله توقعت لو طال غيابك عني أكثر لما وجدت مني شيئًا... الحمد لله فرجت... وهل صحيح غدًا نكتب الكتاب؟

- نعم، وفي الأسبوع القادم نتزوج، فهل أنتِ موافقة؟

- وماذا تريدني أن أقول؟

- أحسن قوليها أمام القاضي غدًا... على فكرة كم الحاضر وكم الغائب؟!.

- الحاضر فلاح... والغائب الحاضر فلاح... وكل شيء فلاح.

- أنا أكلمك بجد لأن القاضي سيسألنا هذا السؤال.

- أنت تجيب... أنا سأقول لا أريد شيئًا غير حبيبي فلاح...

يتفق أهل فلاح وأهل سميرة على إقامة حفلة في نادي الميناء الأسبوع القادم ودعوة الأحبة والأهل والأصدقاء، وأبي كرم وأبي شهد، وسلام وجانيت، وبيت أبي سعود، وصديقات سميرة من المعلمات، وعدد من أهل محلة الجمهورية جيرانهم القدماء.

فلاح يتذكر سهى ويتألم عليها، وسيحكي في يوم قصتها لسميرة ولماذا حاولت قتلهم ، ويفكر بضرورة إعادة الخاتم الألماس ولكن بعد موافقة سميرة ورضاها إكرامًا لأبي سهى وعائلتها لأنهم أحبوه وأكرموه وجعلوه ابنًا لهم ، فضروري يرد جزءًا من جميلهم.

يذهب فلاح وسميرة في صباح اليوم التالي للمحكمة الشرعية ومعهم أبو فلاح والشهود، ويسألهم القاضي عن الحاضر والغائب... فيجيب أبو فلاح:

- سيادة القاضي ألف دينار حاضر وألف دينار غائب.

- العروسان موافقان؟

- نعم موافقان.

يوقع القاضي العقد ويختمه.

سميرة تسأل فلاح:

-هذا كل شيء ؟ وبهذه البساطة ؟ وأنا أنتظر كل هذه السنين وتحملت كل هذا العذاب من أجل هذا السؤال البسيط السهل الإجابة ؟ ولماذا لم نعمل هذا من زمان يا فلاح؟

- سميرة
- يا روح سميرة.
- تعديني أن تستعيدي وزنك وصحتك ونضارتك خلال أربعة أشهر من اليوم أي بمعدل ستة كيلوات في الشهر على أقل تقدير ، وأرجوكِ أن تبذلي قصارى جهدك.
- والله يا فلاح وحياتك سأكون عند حسن ظنك وتستطيع الاعتماد على حبيبتك سميرة.
- والآن نذهب للسلام ودعوة أبا كرم وأبا شهد ونرجوه للذهاب معنا في المساء لحجز قاعة الأعراس في نادي الميناء وحجز الطعام والشراب ومظاهر الزينة والورود والفرقة الموسيقية ونتفق مع المطرب المحبوب فؤاد سالم، والمطربة المبدعة شوقية وأحب أن أسمع منهما أغنية يا عشقنا ، وبعد الزيارة نعود للبيت لترتيب غرفتنا.
- أنا أنظفها في الأسبوع مرتين وأبخرها وكل شيء تمام التمام.
- على كل حال ضروري نتصل ببيت أبي سعود لدعوتهم وحقيقي أنا أشك بحضورهم بسبب زعل سمر، وسأحكي لكِ ولكن بعد الزواج.

• • • •

فلاح وسميرة في غرفتهما بمفردهما لأنهما أصبحا رسميًا زوجين شرعيين...
- سميرة ، تعرفين أنا أحبك لدرجة أموت فيك وحقيقي أنتِ عندي ملاك مقدس، ملاك نقي طاهر أخاف عليه وأخاف منه ومن قدسيته...

- وأنت كذلك يا فلاح.

- سميرة، أنا إنسان ولست ملاكًا، ولي أخطائي وزلاتي فأرجو أن تسامحيني وتغفري لي أخطائي حبيبتي، لكني والله وحقك كنت مخلصًا لك حد الموت في سبيلك وتحقيق حلمك هذا... وحقيقي يا سميرة قاومت إغراءات هائلة ووعودًا كثيرة وكبيرة ورفضت كل العروض مهما كان نوعها ومصدرها... لأني أحبك حبًا حقيقيًا صادقًا يسري بكل قطرة من دمي وبكل خلية حية في بدني... أرجو أن تشعريني أنك إنسانة مثلي وليس ملاكًا لنبني عش الزوجية السعيد... أرجوكِ ساعديني وتقربي مني كثيرًا فأنا كلي حياء منك لأني أجلّك وأحترمك.

••••

مساء الخميس تبدأ الحفلة بإشراف أبي شهد وبرعاية أبي كرم والأحباء والأصدقاء ويتفاجأون بحضور أبي سعود وسعود وسمر وكل العائلة، ويتفاجأ فلاح بتهنئة سمر له ولسميرة وتقبيلهما وإعطائهما هدايا جميلة وثمينة.

يبدع فؤاد سالم وفرقة البصرة الموسيقية بتقديم أروع الأغاني ويطرب الجميع على أنغام الأغاني البصرية وفرقة الخشابة والهيوا والصفكة البصراوية المشهورة...

كان الودُّ وده لو أن سهى وأهلها حضروا الحفلة وقدموا التهاني...

ولكن... لكل حي نصيب.



المؤلف في سطور

- الدكتور بشير عبد الواحد يوسف.
- وُلِد في مدينة العمارة (محافظة ميسان) في ١٢ - ٨ - ١٩٤٣م وانتقل مع أهله في نفس العام إلى مدينة البصرة وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدارسها.

- حصل على الشهادات:

١- بكالوريوس هندسة طيران.

٢- ماجستير هندسة طيران.

٣- دكتوراه علوم سياسية.

٤- دكتوراه دراسات مندائية (أديان مقارنة).

- صدر له:

١- بناء هيكل الطائرات ومنظوماتها.

٢- بناء محرك الطائرات النفاذة ومنظوماتها.

٣- صيانة الطائرات النفاذة ومنظوماتها.

٤- رئيس اللجنة المشرفة على ترجمة الكتاب المقدس لطائفة الصابئة المندائيين (الكنز العظيم).

٥- حكايات صغيرة: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٦م

٦- الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف : شمس للنشر والإعلام ، ٢٠١٧م

٧- الموسوعة المندائية: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٨م

٨- الحب الحقيقي: رواية. شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٨م

٩- الفريضة: رواية. شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٨م

- البريد الإلكتروني: bashir_1208:yahoo.com



Tel:(+2) 01288890065

www.shams-group.ne